الجمهورية الجزائريَّة الدِّيمقراطيَّة الشَّعبيَّة

المجلس الأعلى للغة العربية

رئاسة الجمهوريّة

الذكرى العشرون
2018-1998



أ. د. صالح بلعيد

الجزء الثّاني

منشورات المجلس 2018

الجمهورية الجزائريَّة الدِّيمقراطيَّة الشَّعبيَّة





مناسبة وكلمة

أ . د . صالح بلعيد

الجزء الثّاني

منشورات المجلس 2018

كتاب : **مناسبة وكلمة** (الجزء الثّاني)

- **قياس الصفحة:** 23/15.5
- **عدد الصفحات:** 208

منشورات المجلس **2018**

ردمك: 978-9931-681-37-3

الإيداع القانوني: السداسي الثّاني 2018

المجلس الأعلى للّغة العربيّة

العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت

ص.ب 525، ديدوش مراد، الجزائر.

الهاتف: 16/17 07 23 21 213+

النّاسوخ: 07 07 23 21 213+

الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz





الفهرس

الأمن الثّقافي واللّغوي والانسجام الجمعيّ♥

ــ **مقدّمة:** إنّ الحديث المتكرّر عن الأمن الثّقافي واللغوي، يجب أن لا نضعَه في القول المكرور؛ فهو حديث يَعرِف التجدّدَ حسب آليات كلّ عصر، هذا من جهّة، ومن جهّة أخرى، لا يقلّ أهميّة عن الأمن الغذائي والعسكري والاقتصادي والبيئي، وسوى ذلك من الحاجات والخصائص والتحصينات التي يحتاجها الإنسان كي يحميَ نفسَه من الغزو/ الذوبان/ الانسلاخ/ الزوال. والأمن الثقافي واللغوي عُمدة الأمان فلا يمكن للأمن الغذائي أو العسكري أو الاقتصادي أو البيئي أن يَعمّ وينشُرَ الرخاءَ إذا افتُقد الأمنُ الثقافيُّ لما لهما من علاقة مباشرة بالثقافة وباللغة السائدة في المجتمع. فالثقافة هي التي تؤطّر البنيات القاعدية لكلّ تطوّر منشود، فإذا لم تُحْتوَ الأفكارُ في وجهة نظر متقاربة تتعدّد الرؤى،وتكثر الأسلحةُ؛ لأنّ الأمن الفكري مُتعدّد وغير مُنسجم وقد يُستغلّ في باب نشْر الفتن؛ حيث لا يقرّ الإنسانُ بذلك التعدّد إذا اختلفت الأفكار والتوجّهات، ولا يعني ذلك اختلاف المنهجيات، بل يحصل من وراء التضارب اختلاف الهدف الواحد الذي لا تسيطر عليه الأفكار المشتركة، ولذا، فإنّ الأمن الثقافي يسدّ باب الخلاف ويغلق دونه ما ليس من المشترك، وهذا ما يجب أن يُغرس في ثقافة المجتمع من القضايا المشتركة التي تجمعهم ويدافعون عنها بصورة عينية، ويكون من الصغر. وكذا بالنسبة للأمن اللغوي الذي يحصل بلسان المجتمع الجامع، ويكون بلغة التعليم بدءاً من البيت والكُتّاب والمدرسة؛ وصولاً إلى مراحل مُكمّلة تعضدها وسائل الإعلام، وما له علاقة بالجمعيات الحزبية أو المدنية في إطار المشترك الجامع.

ــ **الأمن في القرآن الكريم وفي العُرف:** لقد أكّد القرآن الكريم مسألة الأمن عامّة في مختلف آياته متحدّثاً عن الأمن الشخصي ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ

♥ كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية في الملتقى الوطني حول (الأمن الثقافيّ واللغويّ والانسجام الجمعيّ) يوم 9 فيفري 2018م، المكتبة الوطنيّة، الحامّة، الجزائر .

ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾النساء83، والأمن المسكني ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ سبأ 15، وأمن البلاد ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾إبراهيم35، وأمن الأشخاص﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾الأنعام83، وأمن استقرار البلاد ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ النحل 112... لدرجة أنّ مُشتقّات لفظة (الأمن) كثيرة جداً، وبخاصّة ما يُلاحظ على مستوى ألفاظ: المؤمنون+ آمن+ آمنوا+ يؤمنون، وهي ألفاظ ذات دلالات؛ تعني انتظام النشاط الإنساني أو الجمعوي الذي كان يجب أن يسود في المجتمع. وبإلحاح تؤكّد الآيات على السلم والسلام ونشدان الصُلح، المؤدّي إلى الهناء والهدوء والاستقرار؛ بغية تعمير الأرض وتجسيد خلافة الله في الأرض وهذا ضمن ثقافة الاختلاف في المنهج، لا الخلاف في القاسم المشترك.

ومن هذا الباب، فإنّ العُرف أو المتّفق عليه –والجماعة لا تتّفق على ضلالة– يعمل على المحافظة على الشأن العامّ؛ بمقتضى الاتّفاق الطوعي دون التضارب فيه، مع الاختلاف في المنهج ربّما، وأخطر الظواهر التي تُصيب المجتمعاتِ ظاهرةُ الخروج عن عُرف المجتمع وثوابته وثقافته، والتضارب في الهدف أو في ما يَجمَع عليه الناسُ لدرجة أنّ الإجماع من أصول الدين، وكلّ خروج عنه يُعدّ خروجاً عن القاسم المشترك ولذلك نسمع كلمات من مثل (أنا وبعدي الطوفان+ تخْطي راسِي+ للكعبة ربٌّ يحميها+ المهمّ تبعد المشكلة عن بيتي+ لا رأسمال لي في هذا البلد+ اللغة وسيلة تواصل فقط...) وهذا كلّه يعود إلى غياب دور الفرد العضوي في السفينة التي يركبها مع الجماعة، وهنا وجوب المحافظة على المكان الخاصّ لحماية المكان العامّ، ومثل هذا

مثل البيئة التي يجب الاهتمام بثقافتها؛ لأنّ المحافظة على هذا الكون قاسم مشترك في بيئة مشتركة، وكلّ خلل فيها إخلال بالتوازن الكوني المؤدّي إلى عواقب جماعية. وهكذا فالرؤية المشتركة ينتظمها الفكرُ المشتركُ، وباب تعدُّد الرؤى المتضاربة يفتح الشقوقَ لعمليات اللاأمن، ويحصل كلّ هذا بسبب ضعف عمليات الأمن الثقافي واللغوي. وهنا يلعب الإعلام دوره سلباً أو إيجاباً، فضلاً عن دور القادة السياسيين والنخب الثقافية والمعلّمين؛ فهم المسؤولون عن تنقيح الشوائب التي تعلق بالثقافة؛ لأنّ الثقافة هي الوعاء والبوتقة العليا الصافية والتي تنصهر فيها كلّ قدرات ومعطيات المجتمع، وما يتبعه من قيَم ودلالات وبُنى فكرية في مسيرة التطوّر العلمي والثقافي والتي كان لابدّ لها من هُوية أو ناظم يحملها ويُوجّهها، وإلا كان التطوّر بغير أهداف لا معنى له، ولا يخدم رسالة أيّ مجتمع.

تنشطر محدّدات هذه المداخلة إلى ما يلي:

1ـ الأمن الثقافي: يتكوّن مصطلح الأمن الثقافي من كلمتين ذات معنيين مختلفين هما: الأمن والثقافة؛ **فالأمن** هو توفير الجوّ الآمن لتداول الحريات التي نمارسها ودلالته تشير إلى الدفاع وتوفير الحماية المطلوبة. وأما **الثقافة** فتتضمّن النشاطات المتعدّدة التي ينتجها الفكر في وقت ما وعبر التاريخ. وتبعاً لهذا الربط، فتعدّ الثقافة قوّة لا يُستهان بها في مختلف الشؤون والعلاقات، واللغة غير مفصولة عمّا تحمله من مضامين وتوجّهات وأفكار، وهنا نقول بأنّ الثقافة واللغة وجهان لعُملة واحدة، وكلتاهما تدخلان في تحديد الأهداف ورسم السياسات وتحديد الأولويات وأسلوب الأداء، ممّا يجعل الوصف الأقرب للثقافة هي الأفكار التي تحمل المضامين، وأنّ اللغة هي الحروف التي نُدوّن بها تاريخَنا البشري.

لا نريد الحديث عن خصائص **الأمن الثقافي** من جوانبه الكثيرة، بقدر ما نركّز على ما يلزمنا من إعداد وتنفيذ خطط ثقافية، وسياسات وطنية؛ ترسم برامج مدروسة ومعالم واضحة لمستقبل ثقافي يدفعنا إلى اللحاق بركب الحضارة المعاصرة، بما يتمشى مع واقعنا وتاريخنا وحضارتنا. ورغم أنّ التخطيط من صلاحية الدول، لكن

يمكن أن نمُدّ الدولَ العربيةَ ببعض ما بصُرنا به من آليات تعمل على حسن التدبير وكذلك يمكننا الإسهام الفكري وتقديم الاستشارة في ما تصدره من تنظيمات وقائية وتشجيعية غايتها الدفاع عن عناصر وخصوصيات هُويتنا الثقافية؛ وذلك بما يجاري روح الخصائص المشتركة؛ ببناء ثقافة التواصل والاكتمال المؤدّية إلى تحقيق الأمن الثقافي العربي على قدم المساواة مع الأمم المتحضّرة، وكسر طوق الحصار التكنولوجي والهيمنة الثقافية، وربّما نصل إلى إنجاز مادي يُخصّص لنا مكاناً محترماً بين أمم العالم، فنضفي لعزّتنا عزّة ولهيبتنا هيبة.

2ـ الأمن اللغوي: تبقى كلمة (اللغوي) والمراد بها اللسان الذي تتلاغى به الجماعة، ونعلم بأنّ للمجتمعات لُغَيات عديدة، تقضي بها مصالحها، وهذه عبارة عن وسائل وظيفية تواصلية في غالبها تكون محدودة. وغرضنا في ما نريد الوصول إليه هو الاتّكاء على اللسان الجامع الذي يلغي حواجز الأداءات الضيّقة. وهذا لا يحصل في المجتمعات إلاّ بما هو مشترك، وعادة تكون له مواصفات العلم أو الأدبية أو القدم... وهذا هو المطلوب في أدبياتنا المعاصرة بأنّ المواطنة اللغوية لا تلغي تعدّد الأداءات، ولكن تستهدف التراتب اللغوي بحسب المرجعيات التي يتوفّر عليها المجتمع وتكون اللغة المشتركة صفة لازمة للقاسم المشترك الجامع. وهذه المسألة تؤكّدها أدبيات المجتمعات التي تكون من المشترك التاريخي والحضاري والديني والعلمي. ولا نريد الوقوف كثيراً في هذه النقطة لأنّ قاسمنا اللساني واضح، وتعود جذوره إلى اختيار السلف للغة ارتضاها بعد ذلك الخلف، وكانت المرجعية المشتركة في مسيرة بلادنا منذ الفتح الإسلامي، ولا يمكن أن يكون الخيار محلّ مناقشة أو مساومة بقدر ما يمكن أن يكون محلّ اختيار المنهج الأفضل، والطريقة المثلى لربح الوقت ليس إلاّ.

3ـ في مفهوم الثقافة اللغوية: إنّ الثقافة أساسُ للوجود، والثقافة في وقتنا تعيش المنافسة، وعلينا أن نُدرك الخطرَ الذي يحدق باللغة العربية، وهي لم تدخل بثقلها سوق المنافسة، ولم تتحقّق عمليات التعريب بكلّ أطرها، فلا يكفي أن نُعرب شكلاً استعمال الحرف العربي والكلمة العربية، بل ينبغي أن نقدُم على التعريب الحقيقي للغة العربية

ذاتها، ونقصد بذلك التعريب الحضاري للغتنا. ذلك أنّنا أصبحنا في كثير من مجتمعاتنا نستهلك الثقافة الأجنبية، والقيَم الداخلية لا باللغة الأجنبية، ولكن بلغتنا الوطنية، وقد يكون هذا أخطر من استهلاك هذه الثقافات باللغة الأجنبية. لقد أصبحنا نقوم بهذا في المجالات السياسية والفكرية والاجتماعية والفنّية، وأصبح معجمُنا العربي يأخذ الحرفَ والكلمةَ من لغتنا، والمضامينَ السياسيةَ والفكريةَ والاقتصاديةَ من مضامين الثقافة الأجنبية. والواقع أنّ لغتنا إذا أخذناها كلغة لم تزدهر ولم تتطوّر إلاّ بمضمون الثقافة الإسلامية، فيجب إذاً أن تكون لهذه الثقافة المكانة الأولى في حياتنا بصفة عامّة. إنّ الثقافة مفهوم وطني لا تحصل إلاّ باللغات الوطنية، وعليه، فإنّ العبءَ الكبيرَ في هذا المجال يقع على ضرورة التعليم، وعن طريق التعليم تتطوّر الثقافة؛ إذ لا فكرَ إلاّ ما ينطلق من المبادئ ومن واقع المجتمع في آن واحد، ولا أثرَ للفكر في المجتمع إلاّ بالإدراك الشعبي الفاعل الذي ينقل الفكرة من نظرية إلى سلوك اجتماعي ملموس. وعلى هذا فليس من الغريب أن نعتبر تعميم الثقافة العربية عن طريق التعليم أمراً واجباً، وأن تكون الثقافة فرضَ عين لا فرضَ كفاية.

وبعيداً عن الطهرانية والتمجيد، كان لا بدّ أن نقول بأنّ تساوق معالم الثقافة العربية/ الوطنية تُسْهِم في تعيين حاضر الهُوية وفي مستقبلها، بل في إنضاج معالمها، باعتبار الهُوية الثقافية اللغوية مشتركة تجعلنا جماعةً واحدةً؛ لأنّها تنتمي إلى الإطار المرجعي المتواصل، وفيها صفات الثبات، وصفات التحوّل وتقلّبات التاريخ الحيّ. وعلى هذا فإنّ مراجعة الذات اللغوية أو التراجع عنها باب من أبواب الفتن التي يجب أن يُسدّ بابُها، وكان الأحرى بنا أن نراجع التذبذبَ في عدم تعميم استعمال لغاتنا، ومراجعةَ مضايقات الازدواجية في التفكير وفي البرامج التعليمية وعلاج التحدّيات التقانية التي تواجه العربية وبخاصّة الكلفة الباهظة للترجمة... ولا بدّ من علاج المسائل علاجاً عقلانياً بمنهجية واضحة في العمل؛ لأنّ الفوضى والغوغائية لا تأتي إلاّ بنتائج ضعيفة ولا تخدم إلاّ فئات في أصلها مستفيدة.

4ـ المثقّف العضوي: إذا تحدّثنا عن مفهوم الثقافة الوطنية، يستتبع الحديث عن المثقّف، فما هي مواصفات المثقف الوطني المطلوب أو المثقّف العضوي الذي يخدم الشأن، وينخرط في آليات المجتمع؟ وبهذا نروم من المثقّف الوطني المعاصر أن يكون خادمَ النّاس؛ باعتباره منتجَ الأفكار، وموجّهَ الأنظار وتعدّه النّاسُ من الأخيار، أضف إلى ذلك أنّه يعمل على تقديم المبادرات، ومكانته بين العامّة في المفضليات، ومعروف أنّه يُؤثّر غيرَه في كلّ الوضعيّات. ونريد مثقّفاً وطنياً عضوياً مندمجاً في مجتمعه ضمن التزامات المثقّف الفكرية الوطنية، ويسمّيها (محمد عابد الجابري) بـ "التزامات المثقّف بقضايا الفكر والشّأن العامّ". فالفائدة من وراء هذا؛ كيف يكون المثقّف العضوي وفيّاً لمقتضيات مجتمعه، فما الفائدة من المثقّف إذا لم يشمّ همومَ المجتمع، وينقل معاناتهم، ويعبّر عنها، فالقُرب من المجتمع حالةٌ واقعيةٌ ومسؤوليةٌ أخلاقية. ولذا، فإنّ مقتضياتِ الحال تستدعي من هذا المُثقّف أن يكون فاعلاً في مشاريع التّطوير التي يحتاجها مجتمعُه ويكون صوتاً لهم للتعبير عن همومهم؛ لأنّ المثقّفَ-في الحقيقة- فاعلٌ اجتماعي عليه أن يدُسّ أنفَه في الشّأن العامّ، ويحاولَ التأثيرَ في وعْي المجتمع وفي السلطة والمنظّمات المدنية، ويحملَ هموم الآخرين، مستثمراً وسائطَ الإعلام ومؤسّسات المجتمع، والحال هذه تدعو المثقّف أن يكون كالواعظ ينزل إلى المَحال العموميّة، ويتكلّم للنّاس وينصح لهم. إنّ مثقّف الشأن العامّ يعمل على التّغيّير الإيجابي ويتحمّل مسؤوليات عمليّة وأخلاقيّة لمواجهة المجتمع بكلّ ما يحمل من تناقضات وله دوره في البناء وفي الممارسات الحقيقية لكلّ أشكال التّواصل البينيّ بما تحمل الممارسات من برامج لتحصين ثقافته وأمنه الثقافيّ.

يجب القول بأنّ بعضَ المثقّفين عندنا تَخَلَّوْا عن الإبداع النّقديّ الذي يحمل مرجعيّات الإصلاح، كما تَخَلَّوْا عن دورهم في خِضَم التحوّلات المُعاصرة، وأصبحوا لا يبذلون جهداً تجاه مصالح الآخرين؛ فانكفؤوا على أنفسهم، فلم يُصبحوا أولئك المثقّفين الذين يُشكّلون امتداداً للمثقّفين النّقديّين؛ والذين كانوا يلعبون دورهم في كشف الممارسات السّلبية، بل نجد الآن الصّحافيّين أكثر جُرأة من أولئك المثقّفين النخبة الذين

يتفرّجون وينتظرون الفرصة المتاحة للظهور والتي لا تأتي دون حَراك. نعم لا ننكر أنّه لدينا مثقّفون ولكنّ الكثير منهم لا يحملون مشاريع القوم. ما أحوجنا إلى مثقفين يحملون أفكاراً، إلى مثقفين مُواطِنين متّقفين يقدّسون المواطنة في صورتها المثاليّة من حيث الوعي بالمسؤوليّة الأخلاقيّة والأدبيّة تجاه تأدية الواجبات قبل المطالبة بالحقوق. فالمثقّف في هذا المجال مثله مثل المعلّم الذي يحمل خطاباً ديداكتيكياً ويسهر على تبليغه بما أُوتيَ من حكمة وحِنكة وسهولة، وبأيسر الطّرائق، وكذا المثقّف النبيه، فهو يتلمّس الحدّ الأدنى المشترك، ويبني عليه الحدّ الأقصى المشترك من المحافظة على الثّوابت الوطنيّة، وبخاصّة الشّأن العامّ، ويعمل على الخروج من اليوميات السّطحيّة إلى عُمق النّهوض، واستثمار العناصر الكليّة وفق نموذج اجتماعيّ حضاريّ؛ ينطلق من قيَمِه الإسلاميّة، ويعيد بناء مستقبل حضاري؛ بتنزيل تلك القيَم على الواقع، وكأنّه يحمل رسالةَ التّطوير التي ترتقي بسلوك **(الجماعة الأمّة)** إلى مستوى قيَم الاجتهاد والإخلاص. وإنّه جاء الوقت الذي نقول فيه: إلى متى –أيّها المثقّفون– حضورنا غياب، وغيابنا ذهاب دون إياب؟ إلى متى نقرأ المستقبل بعيون الماضيّ؟ هل يلذّ لنا أن نبقى في أبراجنا متفرّجين على واقع مهترئ بالعدميات، وإذا اشتدّ بنا الحال؛ فإنّ حقائبنا جاهزةٌ للتّوجّه إلى بلاد الغرب.

إخواني الحضور نريد مثقّفاً وطنياً مصلحاً يملك وسائل الإصلاح، وتلك هي البداية الصحيّة والخطوة التّاريخيّة لفتح أبواب تُمهّد الطّريق لمسيرة التّصحيح، والمُهمّ أن نبدأ، فالطريق تصنعه الأقدام، نبدأ في التّوجّه الصّحيح نحو هدف الإصلاح الشّامل دون تأخير وتسويف، فمسيرة الإصلاح هي الإصرار والصّبر والتّخطيط.ولتحقيق الأمن اللغوي كان علينا –نحن المثقفين– أن نتحدّث عن مناهج العمل وخطط المستقبل لتطوير لغتنا العربية من خلال رفع المضايقات التقنية، وما تواجهه من سرعة المتغيّرات الرقمية، والبحث في أسباب ضعف مشاركتها في إنتاج المعرفة، والدفع بمؤسّسات الدولة إلى تحقيق الإبداع، واقتراح القوانين الحامية للعربية، وتعبئة المجتمع المدني، ودعم الإنتاج الفكري والثقافي والإبداعي، والإبداع في العربية فيها وبها.

5ـ الأمن اللغوي: نعرف بأنّ اللغةَ عُمدةُ الفكر، فلا تفكير دون لغة، واللغـة لهـا حمولة فكرية مرجعية: فتارة آمرة مُوجّهة مُكمّلة، وتارة ناقمة غاضبة ثـائرة، واللغـة ليست بريئة من التأثير والتأثّر بل تقود عمليات التفكير؛ كما تعمل على غسـل الـدماغ وتطعيمه بما تختاره، فاللغة ثقافة لها امتداد وتعيش نمواً لغوياً تستهلك أساليب، وتولـد أساليب، وكما يعرّفها البعض بأنّها "... نسق من الرموز والإشارات التـي يسـتخدمها الإنسان بهدف التواصل مع البشر، والتعبير عن مشاعره واكتسـاب المعرفـة، وتعـدّ إحدى وسائل التفاهم بين الناس داخل المجتمع، ولكلّ مجتمع لغة خاصّة بـه[1]". واللغـة في عمومها ترتكز على منظومة لغوية وقيَم وأفكـار وإيـديولوجيات تُرسّـخها فـي متعلّميها، فيصبحوا حاملي أفكار لغة بما لها من توجّهات تعمل على تحقيـق غايـات وهذا ما هو حاصل مثلاً في اللغة الصينية التي نهضت مؤخّراً، لم تكن لتظهـر لـولا ارتكازُها على منظومة ثقافيّة لغوية، وبها أصبحت عملاقاً اقتصادياً وسياسياً، ولم يـتمّ لها ذلك لو لم تكن مرتكزة على منظومة ثقافيّة لغوية "وكلّنا نعرف أنّ الشعب الصـيني والجمهوريات الصينية كانت أشتاتاً لا حدّ لها، وهو أمر ما زال قائماً، ولكـنّ القـرار السياسي جعل اللّغة الصينية لغة رسمية وحّدت الأمّةَ الصينيّة[2]". وهذا مـا كـان عنـد العرب حيث وحّدتهم اللغة الفصحى؛ باعتبارها لغةً جامعةً وحاملـةً لمنظومـة فكـر إسلامية.

لا ننكر التطوّر الحاصل في اللغة العربية في وقتنا المعاصر، وفي ذات الوقـت لا ننكر بعض الهنات والارتكاسات التي تعيشها العربية، ومن هنا نقول: إنّ وظيفّة اللّغـة العربيّة في مجتمعاتنا العربيّة ليست على أحسن حال مثلما هي اللّغات في المجتمعّـات غير العربيّة، وهذه حقيقة نقرّ بها، وما نشاهده من جنوح اللغـات الأجنبيـة، واعتبـار الفرنسية تمثّل العقل[3]، والعربية تمثّل الشعر، والسعي إلى نقـل اللغـة المؤقّتـة إلـى الديمومة والعمل على تشجيع الخليط اللغوي، ومراجعة المسائل اللغوية التي بُتّ فيهـا والسكوت عن فيضان التهجين اللغوي، وعن تراجع استعمال العربية في قطاعات سبق لها أن نالت مساحاتها، ونرى اللّغات الأجنبيّة تزرع فينا النقص والشـعور بالدونيّـة؛

مصحوبة بالازدواجية الأمارة التي دفعت بنا إلى الفساد اللّغوي المتمثّل في فقدان التطبيع الكامل للعلاقّة مع اللغة العربية الفصحى، والحداثّة المغشوشّة الخاليّة من الأصالّة والإبداع. وهنا ما كان يجب أن نُفهم على أنّها دعوة لعدم تعلّم اللغات الأجنبية وهي من الضروري الإلزامية بالتحّكم فيها، ويستفاد منها في تطوير لغتنا العربية ولكن ما كان يجب على تلك اللغات الأجنبية التي نتعلّمها أن تُحدث شرْخاً في الخصوبّة اللّغوية للعربية، أو تعمل على أن تنقلنا إلى حضارة ليست من حضارتنا، أو أن تقلعَنا من أصالتنا، وتجعلَ الانفصّامَ في شخصيتنا، ويكون ذلك من أبواب الاغتراب الذي يمسّ الهُويّات وأصبح فرانكو أراب/ أنجلو أراب بقبعة غربية في أوطاننا وبِبُؤْس محلي في لغتنا. يجب أن يكون لنا الحقّ في استعمال العربيّة في جميع الظروف الحياتية لضمان الأمن اللّغوي، والحصول على النصوص بالعربية والمعلّومة بالعربية والتعليم والتعلّم بالعربية، وقضاء الخدمات الحكوميّة والخِدْمات اليومية بالعربية.

5ـــ اللغة العربية ومُعطيات العصر: لا يجب أن تأخذنا العزة بالإثم، ونقول على العربية أن تعُمَّ وتنالَ مساحاتها كاملة، وتكون لغة كلّ الوسائل والمحال، وتكون لها السيادة في كلّ المواقع، إلى غير ذلك من المنافحات الخطابية. ولكن جميل أن نصوّر الواقعَ، ونخاطب العقلَ، فماذا أعددنا لهذه اللغة ضمن مُعطيات العصر لتنالَ مساحاتِها؟ وهذا ما يجب أن يكون في الحسبان لربح معركة الأمن الثقافي واللغوي.

يجب أن نعيش العصر بسلاح الثّقافة الذي يستمدّ قوّته من خطّ الدفاع عن الهويّة اللغوية التراتبية ونحن تعلّمنا بأنّ أية لغة تملك قوة ذاتية تساعدها على صياغة الفكر صياغة مناسبة لأذهان المتكلّمين بها إذا لم تفتقد آلياتها من الداخل "... لماذا فقدت هذه تلك القوة، ولم تصلح لتكون مُعبّرة عن الأفكار والمفاهيم، فلا تستحقّ أن تُصنّف في زمرة اللّغات، فيجب عندئذ إلقاؤها في سلّة المهملات إذا كان هذا هو شأن اللغة الضعيفة، فكيف بلغة لها ماضٍ مجيد، وتاريخ عريق".[4] يجب العلم بأنّ العربية بحاجة إلى خوض ميدان التطوّر التكنولوجي الهائل والتغيير في جغرافية الزمان والمكان

والدول والأشخاص كي تعود إلى ألَقها التليد، وتزدهر ضمن خصوصياتها المؤثّرة وفي إطار التعايش الثقافي واللغوي الفاعل. وهذا ليس سهلاً أمام ما عرفته العربية من تأخير، فماذا نحن فاعلون؟

إنّ واقعنا الثقافي واللغوي يدعونا إلى عمل قوّي ومستعجل لنشر ثقافتنا وتعميمها بعربية تحمل المضامين الإسلامية والإنسانية، ونعلم بأنّ الطريق طويل، وليس مفروشاً بالورود، فهل نكسب الرهان؟ وما كان يجب أن نبقى دون العيش في مغامرات التنافس القائمة بين الثقافات واللغات، ونكون على دراية بأنّ المسألة تتطلّب العديد من الجوانب الإبداعية، وتهمّنا الجوانب الثقافية واللغوية، وما تقوم به المؤسّسات ذات العلاقة باللغة العربية لاحتواء التنافس والعيش داخله والتأثير فيه والوقوف نداً للندّ، بَلْهَ الحديثَ عن التجهيزات الثقافية كعملية فكرية تتحدّى الحواجز الثقافية، باستعمال أفضل للوسائل التقانية المعاصرة لربح معركة التنافس. ولهذا نرى ضرورة تطوير هذه المؤسّسات وما يلحقها من الأجهزة المسموعة والمرئية بما يعمل على التأثير والتفعيل، وتوضيح خطورة التبعية الفكرية أو اللغوية، وهذا ما ينبغي أن ننتبه إليه. أضف إلى هذا يجب أن ندرك أنّ بعض الحاجات التكنولوجية الحديثة التي غزت أسواقنا ينبغي ألا نكتفي بنقلها كما هي، بل نعمل على أن نتحكّم فيها حتى تسخر لأهداف ثقافتنا وحضارتنا "فالآلات التي خلقتها التكنولوجيا نشأت عن معطيات وحاجات معيّنة مرتبطة بطبيعة العيش وبفلسفة اجتماعية معيّنة في مجتمع معيّن، ولذلك فلا يمكن إلاّ التأكيد على ضرورة الاستفادة من العلم ومن المخترعات والاكتشافات في مجال الطبّ والبيولوجيا والزراعة والهندسة والإعلام ووسائل النقل والاتّصال ولكن يجب في نفس الوقت تكييف كلّ الاكتشافات والمخترعات مع معطيات مجتمعنا، وبالتالي مع القيم التي تعد التكنولوجيا وسيلة لخدمته". وعلى العموم، فإنّه لا يمكن أن يحصل التطوّر إلاّ ذاتياً، فإذا نقلنا العلوم والتكنولوجيا بدون فهم وحسن استعمال فسيؤدّي ذلك إلى مسخ شخصيتنا بتشويه حضارتنا، بما فيها اللغة العربية التي لا يمكن أن تزدهر وتحيا وتتطوّر إلا بحمولتها الثقافية والحضارية الغنية.

6ـ الانسجام الجمعي: إذا جئنا لاستنطاق التاريخ نرى بأنّ الفترة التي ازدهرت فيها المجتمعات الإسلامية في كلّ المجالات هي تلك الفترات التي عمّت فيها الثقافة العربية فئات المجتمع؛ فالعصر الأموي والعباسي عرف التأسيس والازدهار، وفي جنوب غرب أوربا نالت العربية الإشهار، وفي الأندلس عرفت التألّق، وفي بلاد المغارب عمّت ونافست اللغات المحلية، وأخذت مكانة عليا... أمثلة حيّة لتعميم الثقافة العربية من أثر داخلي وخارجي في أعلى تجلّيات العلو، فقد ازدهرت العلوم الإنسانية والعلوم البحتة والعلوم التجريبية حتى إنّ جامعات أوربية ظلّت تستند في دراساتها إلى الكتب العربية، وذلك إلى نهاية القرن الثامن عشر، بل إنّ الفقه الإسلامي بقيَ في بعض جوانب القانون الأوربي الحديث.ويمكن تأكيد المسألة بأنّ بريطانيا لم تنطلق فيها حركات التطوّر السياسي والاقتصادي والاجتماعي إلاّ في القرن السادس عشر ووصل مرتكزاً على أسس علمية في القرن الثامن عشر؛ حيث عرفت ثورة صناعية وتحوّلاً دستورياً، وإدخال الديموقراطية والحرية، وهذا بعدما أخذت الثقافة تعمّ مختلف فئات المجتمع البريطاني. كما يمكن أن نُشير إلى حالة اليابان الذي عمّم الثقافة حتى أصبحت نسبة 85% من اليابانيين النشيطين في مختلف ميادين العمل حاصلة على المستوى الثانوي، وازدهر الاقتصاد الياباني لا بتعميم التعليم وحسب، ولكن بتعميم الثقافة؛ أي الإيمان والعمل بالقيَم الأخلاقية والحضارية، مما جعل المجتمعَ الياباني يصون شخصيتَه وهُويتَه الثقافية، ويتطوّر بروح حضارية متميزة أعطت لمؤسّساته السياسية والاقتصادية والاجتماعية السند الفكري والروحي للتنمية الماديةوالروحية.وهكذا نقول: نحن في وضعنا المعاصر بحاجة إلى **تعميم وتعويم الثقافة**، ولا يمكن أن نتطوّر بغير هذا التعويم والتعميم الثقافي، ويعني هذا بحاجة إلى مخطّط ثقافي يوازي المخطّطات الاقتصادية ويدعّمها... وينبغي ألا نتردّد في ربط التنمية المحلية بالتنمية الثقافية واللغوية **فلم يثبت أنّ أمّة من الأمم ارتقت بغير لغتها** فلمَ التعطيل إذاً؟ وهذا لا يعني أنّنا ننغلق دون اللغات، أو ننكر بأنّ أوربا متقدّمة علينا وإنّها لم تنهض إلاّ بفعل تلك التّأثيرات العميقة والجذريّة التي أدخلتها الثّورات الفكريّة

لعصر التنوير، فلذا من الضّرورة الاستفادة من الخبرة الغربيّة مع الحفاظ على مُقوّمات حضارتنا الروحية حتى نحصّن أصالتَنَا؛ لأنّ الأصالة إسمنتٌ قوّيٌ تضمن الاستمراريةَ والتميّزَ، ولا مانعَ أن نأخذ العلومَ بلغتهم، فالحكمة ضالةُ المؤمن يأخذها من أية لغة تعلّمها، ودراسة العلوم الحديثة لازمة؛ لأنّ العلوم الدّنياويّة واجبة بغية العِمران، والدّينيّة هامّة بغية الفضيلة. ولهذا **يُعتبر التعليمُ باللغات الوطنية الخطوةَ الأولى في عملية الإصلاح**؛ بل هو رهان التّحدّي، أو أساس في عمليات النّهوض، ولا يكون التّعليم جيّداً إلاّ بالتّجديد في المناهج وفي طرائق التبليغ وفي المضامين. وإنّ الإصلاح التّربويّ باب لإصلاح المجتمع، فهل نتّعظ بأنّ الدّول الآسيويّة تراهن لحدّ الآن على هذا القطاع لأنّه حسّاس، ومنه تخرج إطارات التّسيّير في المستقبل.

ـ خاتمة: إنّ الوضع المعاصر، في صالح العربيّة بعدما خرجت من الارتهان في الطقوس التعبديّة وفي الإبداع الضيّق، وهي الآن تعيش التداولَ المعاصرَ في مستواها الوسطي، وهذا بمبادرات كثيرة من مثل: مسلسلات الأطفّال العاليّة اللغّة، التشريعّات السياسية والتربويّة، وإنجاز المشاريع الكبرى، وإقامّة المؤسّسات ذات التوسّع العالمي لاكتساب مساحات في الشابكة، كما يمكن الإشارة إلى أنّ الهجمات العولمية زادتها اتّساعاً وتباثاً، وأصبح لها أتباع ورجال إعلام، فهي تعلو في المقام، وتزداد في الانتشّار. ومع كلّ هذا يبقى الأمن الثقافي واللغوي هو المسؤول عن سائر العناصر التي تشكّل مقوّمات التطوّر، ونشدان المحافظة على الهوية في مفهومها العامّ. **والأمن الثقافي واللغوي يشكلان وقاءً لحماية الأجيال من الاختراقات الفكريّة الهدّامة** وكلّ زعزعة الأمن الثقافي أو اللغوي قد يكون هدفاً للبلبلة، وعلينا الاحتياط من اتّساع الفضاء المفتوح عبر وسائل التواصل الاجتماعي والذي يتطلّب مزيداً من التوجيه والرعاية والمتابعة والتحصين، كلّ من موقعه وفي موقعه.

أيّها الباحثون والمثقّفون، عليكم أن ترفعوا من شأن العربية بما تُبدعون، فلا تتركوها تنتحر أمام التّهجين اللّغوي، لا تجعلّوا خدمة العربيّة من صلاحية المجامع اللغوية، ولا تكِلوها للزوايا التعليميّة المنعزلة، ولا تبقوا مترصدين الأخطاء دون

تصحيحها أو دون توجيه شهود الإصلاح اللّغوي، لا تبقوا في زاوية (قل ولا تقل) لا تكونوا بعيدين عن استيعاب ثقافة اللّغة العربية وتنوّع مجالاتها. اعملوا على تفجير العربية من خلال اشتقاقاتها، ولِّدوا ألفاظاً حديثة، شكلّوا خطابات ثقافية لغوية واقعية واجعلوا للّغة العربية أوعيةً ومناطيق ذَكيةً، وافسحوا لها مجالاتِ التفكير، شدّدوا على عقد الصحافيين؛ ليكونوا أعواناً لكم، وأحسنوا الظّن بمن يبغي التّوسع اللّغوي العربي.

أيّها المثقّفون، أوصيكم بعدم السكوت عن الحوادث اللّغوية، ولا الإصابّات البالغّة بلّغة التعليم، ولا تسكتوا عن الجروح اللّغوية التي لا تندمل. اخرجوا من خطاب الوعظ إلى خطاب الوعي اللغوي وإلى خطاب الرقي والتطوّر الثقافي، وحاربوا الفساد اللّغوي... ونختم لنقول: ليس المقصود في حديثنا عن **الأمن الثقافي واللغوي** أن نُوصد الأبوابَ في وجه تعلّم اللغات، أو الوقوف ضد طوفان الثقافات المتدفّق عبر وسائل التواصل الاجتماعي، أو تقييد الحريات اللغوية والتعدّد في استعمال اللغات، والإفادة من أفكار الآخرين، بل المطلوب أن نُحسن اختيار ما ينفعنا ممّا تشتمل عليه هذه الثقافات واللغات، ونتجنّب ما يضرّنا ويلحق الأذى بنا، ويأخذنا في طريق "الغالب مولع بالمغلوب في ملّته ولغته وعاداته".

ــ توصيات:

1ــنشر مفهوم (الأمن الثقافي واللغوي) بين الجماهير على نحو دائم ومُستمرّ.

2ــ تجسيد مفهوم الأمن الثقافي والعلمي بما يستلزمه من: تعميم استعمال اللغات الوطنية+ توفير المكتبات+ توفير مُستلزمات نجاح عملية نشر الأمن الثقافي واللغوي.

3ــ قيام الإعلام بوسائله بحملات دورية تقوم بنشر مفهوم (الأمن الثقافي واللغوي).

4ــ حثّ المجتمع المدني على تطوير الثقافة واللغة، على أن يكون الهدف الأول هو تحقيق (الأمن الثقافي واللغوي) للمجتمع وللمؤسّسات وللدولة.

5ــ إيلاء أهمية خاصّة من قبل الأسرة؛ بالعمل على مُحاربة الانحرافات الأخلاقية وتحصين الأولاد من الاختراقات الثقافية واللغوية الهدّامة.

الهوامش

[1]ـــ فوّاز محمد الراشد العبد الحق+ عبد الرحمن حسني أحمد أبو ملحم "التصوّرات الشعبية والوعي اللغوي نحو العربية" عمل جماعي. الرياض: 2017، منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، ص 249.

[2]– محمد منير سعد الدين، الهجمة الإعلامية على العربية (لغتنا معلم من معالم الهوية). الجزائر: 2017، دار الخلدونية، ص21.

[3]ـــ محمد صلاح الدين الشريف "صورة العربية في التصوّرات الشائعة وما تثيره من قضايا منهجية" عمل جماعي. الرياض: 2017، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية (سلسلة مباحث لغوية 31) ص 86.

[4]–ندير محمد، القصص في مواجهة التحدّيات بيروت: 1991، دار البشائر الإسلامية ص.

اللّغة الأمّ♥

ــ **ديباجة:** لقد أعلنت اليونسكو عن برنامج سمّته (**اللّغــة الأمّ**) واتّخذت له يوماً عالمياً وهو 21 فبراير من كلّ سنة، وكان ذلك في إطار إعلان سنة 2000 السّــنة الدوليّة لثقافة السّلام. وقد حدّدت اليونسكو هدفها من كلّ ذلك، وهو حماية نحو ستّة (6000) آلاف لغة إنسانيّة من الاندثار. ولقد كان ذلك الإعلان بمثابة حثّ الشّعوب على الاحتفاء بلغاتها الأمّ لتُحمى من الانقراض، ويكون ذلــك ترســيخاً لاحتــرام الهُوية اللغويّة للشعوب في الاعتزاز باللغات الأمّ التي تُحمى بالاحتفاء وما يقابلهــا من سنّ رمز وطني يكون محلّ إكبار من كلّ الناطقين باللغة، إلى جانب القــوانين والتّشريعات الضامنة لاستمرار التّواصل بين السابقين واللاحقــين ونقــل التــراث القديم للمعاصرين الذين يعملون على الحفاظ في ثبات الكلم، مع تغيّر الدلالة، وهذه سمّة التّغيّر في منظومة اللغات. علماً أنّ تحديد مصطلح (اللغة الأمّ) كان موضــع اختلاف، إلاّ أنّ الباحثين حدّدوا بعض المعايير، وأهمّ معيار هو التّرسيم، ونعلم أنّ اللغات الرّسميّة في العالم لا تتجاوز اثنتين وثلاثين (32) لغة رسميّة.

ــ **في مفهوم اللّغة الأمّ:** هي تلك اللّغة الّتي يتشــرّبها الإنســان فــي حياتــه وتصاحبه في وسطه البيئي والمدرسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ، وهي أكثر سهولة لتلقي العلوم؛ لأنّه يفهمها فهماً جيّداً دون تصنُّع، وهي خير مساعد على التّحصــيل العلميّ السّريع. ولا تعني اللّغة الأمّ اللغة المنطوقة، بل تعني تلك اللّغــة المكتوبــة والّتي تحمل هُويّتَه وحضارتَه وكينونتَه وهي شخصــيّتُه الرّســميّة، ولهــا صــفة الاعتراف الوطنيّ والدّوليّ واللّغويّ. كما أنّ معنى اللّغــة الأمّ، لا يعنــي اســتثناء الأب؛ لأنّ مدلولَ الأمّ المجازيّ شريكةُ الثديّ التّي يرضعها في صِــغَرِه، وكــذلك

♥ــ أُلْقِيَت الكلمة بمناسبة اليوم العالمي للغة الأمّ 21 فيفري، وهذا في مقرّ المجلس الإسلامي الأعلى بالأبيار بتاريخ: 21- 2- 2018م.

اللّغة يرضعها وهو صبيّ يحبو وتنمو معه إلى أن يموت، فهي اللغة الأمّ التي تنمو مع نموّه.

ولكي لا يقع اللبس في مصطلح (اللغة الأمّ) ومن باب التأكيد كذلك، فإنّه يجــب العلم بأنّ اللغة التي يسمعها الصبّي/ الوليد من أمّه عبارة عن أصــوات ومقــاطع خفيفة يبدأ بها ويحاكيها ويحذو حذو ما يسمعه من عبارات ومسكوكات من المحيط، والمدرسة والإدارة والخطاب المنبري والسّياسيّ، هي سلسلة متكاملة من اللغة الأمّ التي تتنامى عبر التّنشئة، وتكون تلك السلسلة هي اللغة الأمّ في مفهومها العامّ.

إنّ اللّغة الأمّ تحمل المجتمع في جوفها، فهي الهواء الّذي تتنفّسه الجماعة واللّغة الأمّ هي الهُويّة والثّقافة، وهي لسان معجمها ونصوصها ونموّها وفنّها وأدبهــا. إنّ اللّغة الأمّ هي اللغة التي تنسج الغزَل المجتمعيّ في شبكة علاقــات الوفــاق بــين الأفراد والمؤسّسات والمعتقدات والأعراف، وفي مختلف الخطابات وما يتبع ذلــك من روافد تقوم بها الدولة تجاه حماية اللغة الأمّ. وهكذا أصبحت اللّغــة الأمّ مثــارَ اهتمام المؤسّسات الحقوقيّة في مفهوم (حقوق اللغات) ونادت الأمم المتّحــدة عبــر اليونسكو إلى الاحتفاء بيوم 21 فبراير من كلّ سنة باليوم العالمي للّغة الأمّ باعتبار اللغة الأمّ إرثاً إنسانياً وحضارياً متوارثاً، وحقاً من حقوق الإنسان اللغويّة والدينيّــة والثقافيّة والوراثيّة، كما أنّها من الآليات القويّة للمحافظة على التّــراث اللامــاديّ الحامل لفكر الأمّة الذي يجب أن يُصان بكلّ القوانين ويعمل على تطــويره بشــكل إيجابيّ.

ــ **مثال:** اللغة اللاتينيّة هي **اللغة الأمّ** بالنّسبة للغات المنبثقة عنها: الفرنســيّة+ الإسپانيّة+ الإيطاليّة+ المالطيّة. وهذه اللغات فروع عن اللغة الأمّ، ولكن هي **لغات أمّ** بالنّسبة للناطقين بها في مناطقها في ذات الوقــت، ولكــن اللغــة الأمّ الجامعــة المشتركة هي اللاتينيّة، ويعني هذا يمكن للإنسان أن يكون له أكثر مــن لغــة أمّ. وكذلك الكلام عن العربيّة، فاللغة الأمّ **هي اللغة الفصحى الجامعة** وكانت قبــل أن تكون الفصحى أكثر من لغات أمّ في شبه الجزيرة العربية، وكلّ قبيلة كانــت لهــا

لغتها الأمّ، وتوحّدت في **اللغة الأمّ وهي الفُصحى**، وهي لغة الشعر الجاهليّ، ولغـــة المكان المقدّس (أستار الكعبة) وهي لغة التّعامل في مكة؛ باعتبار مكّة مَجْمَعاً للدين وللعقائد وللتّجارة الداخليّة والخارجيّة، ولغة المدينة باسم العصـــبيّة العربيـــة **(لغـــة قريش)** والتي أصبحت لغةَ العربِ الجامعة، ومن ثـــمّ أصـــبحت لغـــةَ الخطـــابِ الرسميّ.

ــ **لغاتُ الأمّ في الجزائر**: لدينا لغتان وطنيّتان رسميتان، فالعربيّة لا جدال فيها حتى بالنّسبة للهجاتها التي انحرفت عن الفصحى أو عن المستوى العـــاليّ، ولـــدينا اللغة الأمّ الثانيّة، وهي المازيغيّة وهي لغتنا المشتركة التي تجمع الجزائريّين بجانب العربيّة وهي اللغة الأمّ والرّسميّة ولغة الدولة وكذلك المازيغيّة؛ فهي لغة أمّ/ واللغة الأمّ لما لها من معايير اللغة الأمّ، وهي:

1ــ مِعْيار التّرسيم.

2ــ مِعْيار الاستعمال.

3ــ معْيار التّدريس.

4ــ مِعْيار الأبجديّة.

فَأَنْعِمْ به من لغتين (2) متكاملتيْن! وهذا بفضل ذلك الانصهار المَـــوْروث مـــن أجدادنا الذين جعلوا لكلّ لغة وظيفةً ومكاناً تخـــتصّ بهـــا، وهـــي ســـمّة الـــتّلاقح والتّصاهر الذي أنتج مجتمعاً مُتنوّع اللسان مُتّحد الفكـــر. والتّعـــدّد اللغـــويّ فـــي المجتمعات صفة انمازيّة، مع الاختلاف في اللسان وفي المنهجيّة ولكن الوصـــول إلى مكان/ هدف واحد. إنّ مجتمعنا عبر التّصاهر البينيّ ألْغَى الحواجز اللسانيّة كما مَتَّنَ الهويّةَ اللغويّةَ بإسمنت طبيعـــيّ شـــعاره: **الإســـلام والعُروبَـــة والمُزوغَـــة. فبالمازغيّة نبقى وبالعربيّة نرقى، وبالاثنتيْن نشكّلُ العروةَ الوُثقى.**

ــ **وختاماً**: إخواني الحضور، يحتفي المجلسُ الأعلى للغة العربيّة باليوم العالميّ للغة الأمّ، وهذا استجابة للاحتفائيات القارّة التي نصّت عليها اليونسكو، وتَرَوَنّنا في هذه الاحتفائية نتحدّث عن المواطنة اللغويّة فـــي تجلّياتهـــا الكبـــرى؛ باستضـــافتنا

للمُحاضِرَتيْن اللتيْن تتحدّثان عن قضايا اللغة الأمّ/ لغة أمّ/ التّجانس اللغويّ دسترة الأمازيغيّة/ التّصاهر اللغويّ/ التّمازج اللغويّ، وما له علاقة بميدان التّواصل بلغتيْن رسميتيْن. واستضفنا شاعريْن نروم أن يُشنِّفا أذاننا بما جاءهم شيْطان الشّعر من الإبداع بخصوص المناسبة. ولا شكّ أنّكم تسمعون وتستمتعون بما سوف يُعرَض عليكم، ونبارك لكم وفاءَكم للمجلس، وحضورَكم الدائمَ والمُستأنسَ فَبِكُم نُفاخر، وبِكُم نُجاهر، فنِعْمَ الحضورُ أنتم، ونِعْمَ الأصدقاءُ كنتم، وخَيْرُ الأحبابِ تبقون، وللعهد راعون. ونحن لكم من الشّاكرين، وأن نلقاكم قريباً غانِمِين. والسلامُ عليكم أجمعين.

استراتيجيّة المجلس الأعلى للّغة العربيّة
في البحث العلميّ في الجزائر♥

ــ **ديباجة:** إنّه من دواعي الافتخار أن نُشيد بتلك الجهود النّوعية لمعالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي الذي فتح للمجلس الأعلى للّغة العربيّة أبواب الجامعات الوطنية والمراكز الجامعية والمدارس العليا ومراكز البحوث؛ لإجراء الفعاليات العلمية والملتقيات والأيام الدراسية، والقيام بإنجازات مشتركة مع الجامعات الوطنية بخصوص وضع أدلّة ومعاجم وقوامس تخصّ مجالاتِ اللّغة العربيّة. فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله. فالشكر كلّ الشكر لمن يفكّر في خدمة الشأن العامّ وخدمة العربيّة من الشأن العامّ. ونسعد بهذا اللقاء الذي نعقده في جامعة عمّار ثليجي بالأغواط ويحضره المجلس بدعوة من المديرية العامّة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي، وبمرافقة كلّ من:

ــ مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربيّة، ببوزريعة.

2ــ مركز البحث في العلوم الإنسانية والحضارة، بجامعة الأغواط.

3ــ مركز البحث العلمي

4ــ المراكز الجهوية العلمية والتقنية لتطوير اللّغة العربيّة.

ونشكر معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي على ما يقدّمه للبحث العلمي عامّة، وعلى الحراك النّوعي في تحريك فعاليات المخابر الجامعية، وعلى التقييم والتقويم الذي يجري بصورة دورية، وهذا إنْ دلّ على شيء، فإنّه يدلّ على

♥ــ مشروع قدّمناه في جامعة عمّار ثليجي بالأغواط، في اليوم الدراسي حول استراتيجية البحث العلمي في الجزائر. بدعوة من المديرية العامّة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي. بتاريخ: 03/03/ 2018.

حصيلة واحدة هي: تثمين جهد الباحثين، وتنبيه المتقاعسين، وشطب غير العاملين فأَنْعِمْ به من عمل!

في الحقيقة إنّ هذه الاستراتيجية هي خلاصة أفكار لتلك التقارير التي تُقدّم لمن يهمّه الأمر بخصوص البحث العلمي في الجزائر، وموقع العربيّة من البحث العلمي الوطني، وما يُقدّم لها من أولويات لتطويرها، وترقية ثقافتها ومضامينها اللغوية والأدبية والعلمية والتقانية.

وإنّ هذا اللقاء العلمي بنخبة أساتيذ وباحثي جامعاتنا لهي فرصة لتبادل الأفكار في البحث العلمي؛ ولوضع مسار البحث في اللّغة العربيّة وفق الأفكار التي تأتينا من المسيّرين السياسيين ولبرامج الحكومة وبما يقترحه المختصّون في مجال البحث العلمي حول اللّغة العربيّة. وإنّه للقاء تدبيري تنسيقي، ونراه ثمرةً من ثمرات الجهد العملي والتنسيق الجادّ بين وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مُمثّلة في أجهزتها البحثية، والمجلس الأعلى للّغة العربيّة كهيأة له خططه السنوية والتي يقدمها لترقية البحث العلمي في اللّغة العربيّة. وباعتباري رئيساً للمجلس الأعلى للّغة العربيّة أثمّن هذا العمل التشاركي بتدبير من المديرية العامّة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي، ومن خلاله أروم أن نجد القواسم المشتركة التي نعمل من خلالها على تفعيل البحث العلمي، ومواجهة الرهانات المعاصرة، وفكّ التحدّيات والمضايقات التقنية في تداعيات تحريك آليات اللّغة العربيّة؛ لتكون العربيّة نداً للندّ أمام لغات العلم، وجعلها تخوض ميدان البحوث العلمية بإغماسها في آليات العصر؛ لأنّه لا يمكن للّغة أن تعيش المعاصرة إذا أُبعدت عن البحث العلمي وعن ميدان العلوم، وكيف نجعل العربيّة تستجيب للمعاصرة ولا يكون ذلك إلاّ في إطار البحوث الأكاديمية التي تقدّم من أساتذتنا وخبراتنا.

ونشكر بالمناسبة المدير العامّ، وفريقَه النَّشِط على اهتمامهم بالبحث العلمي في الجزائر؛ وبخاصّة ما يقدّمونه بخصوص المواطنة اللغوية، والتهيئات اللغوية للّغة الأمازيغية، بالإضافة إلى مسايرتهم التقانية والشبكية؛ لترقية المحتوى الرقمي

للجامعات الوطنية لتنال التصنيف الدولي، وكذلك ما يقوم به هذا الفريق في العمل على تجسيد برامج الحكومة الخماسية، المصاحبة لصندوق البحث العلمي. والشكر يمتدّ إلى كلّ الحضور من رؤساء المخابر، وأعضاء المخابر الوطنية ولكلّ الذين حَضّروا لهذا الفعل في جامعة الأغواط، ولكلّ من يحضُر ويُحاضر.

ـ مقدّمة: كان عليَ –في البداية–الحديث عن مهام المجلس الأعلى للّغة العربيّة؛ بغية استكناه استراتيجية المجلس في البحث العلمي، وسبق أن قدّمنا إلى من يهمّه الأمر هذه الاستراتيجية العامّة في السنة الماضية 2016، وهي صالحة في كثير من أبعادها، ويمكن أن تُحيَّن في بعض أفكارها؛ لتنال موقعها في البحث العلمي العالمي، ويكون تجسيدها بمعية من يهمّهم الأمر. والشريك الأساس هي وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. ومهام المجلس حدّدها دستور 2016 في النقاط الثلاث وهي:

1ـ العمل على ازدهار اللّغة العربيّة.

2ـ العمل على تعميم استعمال العربيّة في العلوم وفي التكنولوجية.

3ـ العمل على الترجمة إلى العربيّة.

ويضاف إلى هذا تلك البرامج الحكومية التي تُعتمد في استراتيجية البحث العلمي، وقد تحدّد ذلك في ضرورة البحث في:

ـ الصناعات التحويلية؛

ـ المقاولاتية؛

ـ البيئة والطاقات المتجدّدة؛

ـ علوم التربية والتكوين.

فإذا ألقينا تحليلاً على النقاط الثلاث، نقول: إنّها تبدأ بكلمة (العمل) مكرّرة ثلاث مرات، وهي مهام كبيرة تحتاج إلى أرمادة من البَحَثَة والمؤسّسات ومراكز البحوث، والوزارات، والجمعيات وكلّ الفاعلين في البحوث العلمية والأدبية والتربوية والثقافية والقانونية والتقنية... هي نقاط تحمل مضامين كبيرة، وتحتاج

إلى تفعيل الرأي، وحسن التدبير، والتخطيط اللازم على الآماد الثلاث، مع حسن التسيير للوصول إلى ضبط حُسن التدبير. ولذلك عملنا على إنتاج أفكار وسمّيناها **باستراتيجية البحث العلمي في الجزائر.**

وأما برامج الحكومة؛ فهي تدخل في قطاعات معيّنة، والغرض منها تطوير آليات البحث العلمي؛ للحدّ من التبعية للخارج، وبغرض تكوين الأُطُر الوطنية في التصنيع المقاولاتي، أضف إلى ذلك ضرورة الاهتمام بالبيئة التي تجمعنا ويجب المحافظة عليها والاستفادة من مواردها التي لا تزول وهي من الطاقات المستديمة بل يقع البحث في تقديم براءات اختراع للطاقة وهي قابلة للتحويل. وقد رصد **فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة** جائزة بهذا الخصوص.

أوّلاً: استراتيجية البحث العلمي في الجزائر: لا يخفى عليكم بأنّ مرجعياتنا في هذه الاستراتيجية عمادها:

- دستور 2016، المادة الثالثة منه؛
- القوانين المنشئة للمجلس الأعلى للّغة العربيّة؛
- البرامج الحكومية الخماسية.

وإنّ البحث العلمي يرتكز على قواعد ونظريات علمية، ويحتاج إلى مؤسّسات وهيآت ووزارات تنفيذية. فأما القواعد فهي المبادئ القاعدية النظرية والتطبيقية التي يقوم عليها البحث العلمي. وأما المؤسّسات فهي كثيرة، منها العمومية ومنها الخصوصية، ومنها الوطنية، ومنها الأجنبية. وأما الوزارات فهي كذلك مُتعدّدة ونحتاج في هذا المقام إلى التذكير بأهمّ وزارة يتعلّق بها البحث العلمي هي **وزارة التعليم العالي والبحث العلمي** وهي عُمدة البحث لما لها من مراكز البحث والمخابر ووحدات مركزية، وأخرى جهوية، بالإضافة إلى وحدات داعمة، ومشاريع خماسية مع برامج الحكومات، بالإضافة إلى بعض البرامج الزمنية المرتبطة بصناديق دعم البحث العلمي، وهي كذلك مرتبطة بمدّة زمنية محدّدة.

ونكرّر القول بأنّ استراتيجية المجلس الأعلى للّغة العربيّة، في **تطوير اللّغة العربيّة**، تُستخلص من مهامه الدستورية، كما تساير برامج الحكومة، ولهذا الغرض، فإنّ هذه الاستراتيجية قسّمناها على الآماد الثلاث (3):

ــ **المدى السريع**: يتعلّق البحث العلمي فيها بخصوص **ازدهار اللّغة العربيّة** وفيها يقع التعامل مع الجامعات الوطنية لتجسيد صورة الازدهار بما تعرفه أيّة لغة من حركة ثقافية حضارية علمية وتكون خططُها مبنيةً على تقديم الأفكار المُضيفة للقيمة بخصوص الازدهار في الماضي وآلياته الناجحة، وكيفيات تكييفها وفق الحاضر، ولا يمنع ذلك من التركيز على إحياء الاحتفائيات القارّة: 18 ديسمبر+ 21 فبراير+ 1 مارس من كلّ سنة. ويضاف إليها تلك المنتديات والورشات الولائية التي تحتفي بذات المناسبة، أو تلك الملتقيات ذات العلاقة بقضايا اللسانيات، وراهن تطوير العربيّة. وأما المشاريع التي **نقترحها** في هذا المجال فهي:

ــ مشاريع الازدهار اللغوي في الماضي؛
ــ منهجيات الازدهار وآليات البحوث التطبيقية في المجال؛
ــ مشاريع الانغماس اللغوي؛
ــ المواطنة اللغوية في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل؛
ــ مشاريع الانسجام والتكامل اللغوي بين اللغات الوطنية؛
ــ مشاريع تطوير البحوث التربوية؛
ــ مشاريع ترقية الدوارج إلى لغة وسطى؛
ــ مشاريع في محاربة آفة لتلوّث اللغوي/ الهجين اللغوي؛
ــ مشاريع في المختصرات اللغوية العلمية؛
ــ مشاريع في تطوير لغة الإعلام؛
ــ المشاريع الناجحة: تجربة البلدان المفتوحة-تجربة الأندلس؛
ــ التواصل الحضاري بين اللغات: تكامل لا تصادم؛
ــ البحوث اللسانية البرمجية؛

ــ مشروع الحضارة العربيّة في موضع النّقد؛

ــ اللّغة والمجتمع، وآليات النمو اللغوي؛

ــ التعدّد اللغوي والتنمية البشرية؛

ــ التكامل اللغوي بين اللغات الوطنية والرسمية؛

ــ الخطط المرحلية في البحث اللساني؛

ــ مشاريع في التصويب اللغوي: وزارة الداخلية والجماعات المحلية والتهيئة العمرانية / وزارة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية والتكنولوجيات والرقمنة/ وزارة السياحة والصناعة التقليدية / وزارة الأشغال العمومية والنقل/ وزارة الطاقة/ وزارة التكوين والتعليم المهنيين/ وزارة الخرجية / وزارة الصحة والسكان وإصلاح المستشفيات /وزارة العدل / وزارة الاتّصال / وزارة الابيئة والطاقات المتجددة / وزارة الثقافة/ وزارة السكن والعمران والمدينة .

ــ إنجاز معاجم وأدلّة مُتخصّصة.

ولا بدّ من الإشارة بأنّ هذه المشاريع لا يمكن أن تقف في المدى السريع/ المستعجل، بقدر ما تفرض نفسها حتى على المديين الآخرين، حيث يتجدّد فيهما البحث بصورة تلقائية. والمهمّ أن يقع الاهتمام بازدهار اللّغة العربيّة والأمازيغية وفق واقع الحال، ولكلّ مقام مقال، وكلّ لغة وظيفتها الخاصّة.

ــ **المدى المتوسّط:** يقع التركيز بقوّة على الجوانب التقنية، ولا نعدم مواصلة المشاريع المفتوحة في المدى السريع.

ــ مشاريع في الصناعة المعجمية؛

ــ مشاريع في اللسانيات الحاسوبية؛

ــ مشاريع في التهيئة اللغوية؛

ــ مشاريع في التنوّع اللغوي وآليات التعدّد اللغوي؛

ــ مشاريع في المعاجم الموحّدة: الطاقات المتجدّدة–العلوم القانونية–السياحة–الصناعة التقليدية–لغة الفلاحة–الصناعات الميكانيكية.

ـ مشاريع في بناء المناهج التربوية المعاصرة؛

ـ مشاريع في اللغات المُتخصّصة؛

ـ مشاريع في حسن استعمال لغة الإعلام: العربيّة+ الأمازيغية؛

ـ مشاريع في إنجاز المدوّنات الصغيرة؛

ـ مشاريع في الأطالس اللغوية في الجزائر؛

ـ مشاريع في الحوسبة اللغوية؛

ـ البرمجيات العربيّة الذكية؛

آليات تطوير المدوّنات؛

ـ المُحتوى الرقمي بالعربيّة؛

ـ وضع أرضيات لرقمنة المكتبات والمشاريع الخاصّة؛

ـ رقمنة بوابات الوزارات مسايرة للبيومترية؛

ـ التشبيك الرقمي بين المؤسّسات.

ـ **المدى الطويل:** يقع التركيز فيها على المشاريع الطويلة، وقد وقع التفريق بين مسألتين:

المسألة الأولى: تتعلّق بالمشاريع الكبرى؛ وحدّدناها كما يلي:

ـ البرامج الحاسوبية الشاملة؛

ـ مشروع الذخيرة اللغوية؛

ـ مشروع المعجم التاريخي للّغة العربيّة؛

ـ مشروع موسوعة الجزائر؛

ـ مشروع حوسبة النصوص بالعربيّة بدءاً من عصر النقائش؛

ـ مشاريع بخصوص حلّ المُضايقات التقنية في الكتابة العربيّة؛

ـ مشروع مَعْلَمَة الجزائر في المخطوطات؛

ـ مشروع وحدات المعجماتية النمطية الموحّدة؛

ـ مشروع أرضية الجاحظ.

المسألة الثانية: وخصّصناها للترجمة، وهذا وفق المشاريع التالية:

ــ جمع المدوّنات اللغوية: الفصيحة القديمة+ الشعبية+ الحكايات الخرافية+ الأقوال والأمثال+ حكايات الجدّات... بكلّ من اللغتين: **العربيّة والأمازيغية؛**

ــ الترجمة البينية: العربيّة والأمازيغية/ الأمازيغية والعربيّة؛

ــ ترجمة مُدوّنات الروائع الشعرية والأدبية؛

ــ ترجمة الكتب من وإلى العربيّة والأمازيغية؛

ــ ترجمة الكتب العلمية وفق:

ــ في العلوم؛

ــ في التكنولوجيا.

ــ مشاريع الترجمة الفردية والجماعية؛

ــ ترجمة المواقع الشبكية الترجمية: Google – المسبار – التراث – ترجمْ لي...

ــ الترجمة الآلية.

ثانياً: منهجية تجسيد هذه المشاريع: في الحقيقة هناك آليات بسيطة جداً تقوم على ما يلي:

1ــ تحضير إشكالية المشروع.

2ــ نشر المشروع في موقع المجلس، وفي الفسبكة، وفي مختلف وسائل التواصل.

3ــ الاستماع للمعنيين عن طريق: الملتقيات/ الأيام الدراسية/ النّدوات/ حوار الأفكار/ فرسان البيان/ نقاش مفتوح.

4ــ طبع أعمال كلّ المنتديات.

5ــ استخلاص مكامن النقص في اللّغة العربيّة، والعمل على جعلها إشكالية للمعالجة.

6ــ بعض النقاط تكون محلّ علاج نعمل على رفعها للمختصين.

7ـ بعض النقاط نعمل على رفعها للمعنيين.

ثالثاً: حيثيات استقبال المشاريع: هي من خصوصيات الوزارة، ونـروم أن تكون وفق المنهج التالي:

1ـ تقديم المشاريع في مناقصة وطنية.

2ـ تقديم المشروع في صورته الأولية.

3ـ ارتباط العمل بفرقة/ فِرَق بحث.

4ـ يخضع المشروع في مرحلة تقديمه لخبرة علمية: قبول/ رفض/ تعديل؛

5ـ متابعة دائمة للمُنجز من المشروع، وبصورة آلية؛

6ـ مُدّة المشروع أربع (4) سنوات قابلة للتجديد لسنة واحدة.

7ـ يَخضع المشروع للتقييم والتقويم، وعلى ضوء ذلك تُصرَف الميزانيةُ.

8ـ تُطبع المشاريع كاملة من ميزانية الفرقة/ الفِرَق.

رابعاً: توزيع الأبحاث على الآماد الثلاث: نـروم مـن المعنيـين أن نقـوم بتخطيط علمي دقيق في بداية استقبال المشاريع على توزيعها على الآماد الـثلاث وفق الموضوعات:

ـ المدى السريع/ المستعجل: ومدّته تكون عامين (2) تخصّ الأبحاث البسـيطة التي لا تحتاج إلى خرجات ميدانية، بل يعود البحث فيهـا إلـى الشـابكة أو إلـى مصادر ومراجع مكتبية.

ـ المدى المتوسّط: ومدّته (5) سنوات، وتتعلّق بتلك الأبحاث التي تحتـاج إلـى مَسْحٍ أو دراساتٍ ميدانيةٍ، ويمكن توزيعُ الفرقةِ إلى فِرَق ثانوية أخرى.

ـ المدى الطويل: ومدّته عشر (10) سنوات، وتتعلّق بتلك الأبحاث التي تحتـاج إلى نَفَس طويل، بخصوص إنجاز الموسـوعات والمعـاجم والأطـاليس اللغويـة والخرْجات الميدانية، وإجراء البحوث الاسـتطلاعية، وكـذلك إجـراء البحـوث الاستشرافية في الميادين اللغوية.

خامساً: المشروعات والموضوعات المقترحة من المجلس الأعلى للّغة العربيّة: بخصوص المشاريع/ المواضيع المقترحة من المجلس الأعلى للّغة العربيّة، فهي محلّ نظر، وقابلة للتغيير أو الحذف أو الزيادة، والمهمّ في ذلك ألاّ تخرجَ من اهتمامات مُؤسّساتنا واحتياجاتنا وبرامج حكوماتنا. وللمُختصّين أفكار إضافية في الاقتراح، على أن يقع علاجها واختيار الأفيد منها من لجنة تختارها المديرية العامّة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي. والمهمّ أن يكون التنسيق بين هذه الهيآت في:

- قبول المشاريع أو تعديلها أو رفضها؛
- التقويم الجماعي للمشاريع؛
- التنسيق بين المؤسّسات في تنظيم الملتقيات/ الأيام الدراسية/ المنتديات...؛
- متابعة صارمة لمَسيرة المشروع من البداية إلى النهاية.

ــ **مقترحات:** نروم من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي أن تبقى وفيةً لمشاريعها المستعجلة والمتوسّطة أو الطويلة الأمد، وتبقى الوزارة مُحافِظةً على التمويل، مع التماسنا بتدخّل المجلس الأعلى للّغة العربيّة في قبول المشاريع التي نحن بحاجة إلى فتحها أو تطويرها أو تعديلها أو ترجيحها، ولكي لا نقع في القول المكرور أو تبقى المشاريع خارج اهتماماتنا البحثية، أو ليست من الأولويات المعاصرة، أو تكون خارج برامج الدولة الجزائرية.

وفي هذا المجال من المقترحات، نروم من المعنيين الاهتمام باللغات الوطنية وبالبحث العلمي في العلوم الإنسانية، لأنّها عُمدة تكوين الموارد البشرية، ونقترح التسويةَ بين المشاريع العلمية ومشاريع العلوم الإنسانية. والمُهمّ أن يقع التقييم والتقويم في النتائج وفي المشاريع العاملة على تطوير نوعي في البحث العلمي. وقضية **التساوي**؛ فالمقصود منها ألاّ تكون مشاريع العلوم اللسانية أو الإنسانية في الرتبة الثانية.

مستجدّات الدّرس اللّساني في التعليميات♥

ــ **مقدّمة:** كثُر الحديثُ عن أسباب ضعف التلاميذ فـي التحصـيل الدراسـي ومردّه عدّة أسباب متداخلة وكلّها تعمل على الـوهن اللغـوي، وتعيـق عمليـات التواصل الأدبي والعلمي في مختلف مجالات الحياة العلميـة والثقافيـة، وتُغلـف بضعف اللّغة العربيّة. وكان من الضروري العمل على الحدّ من هذه الظاهرة التي تنال مواقع في منظوماتنا التربوية، وفي كلّ أشكال منظوماتنا التواصلية. ويكـون البدء من الاهتمام بالبحوث التربوية باعتماد منهج اللّسانيات التطبيقية التـي تعمـل على إيجاد حلول للمُشكلات التي تُعيـق تعلّـم اللّغـة، والبحـث عـن تفسـيرات موضوعية، والعمل على تيسير تعلّم اللّغة لأهلها ولغير أهلها، واعتمـاد طرائـق تلقين جديدة تعمل على الترسيخ اللغوي السليم، والذي يقرب في بعض مقاماته إلى المحاكاة اللّغوية أو الترسيخ العفوي للغة على أنّها تؤخذ بالفطرة.

ونروم الحديث عن بعض متعلّقات الدرس اللّساني لنبـيّن أهميـة تفـتّح اللّغـة العربيّة على اللّسانيات بغية حصول التواصل اللغوي السليم، والـذي لا يتـأتّى إلاّ بتمكين المتعلّم من الاستقلالية في التفكير وتقديم الشواهد والأمثلة من الواقع وكـذا تدريس ما يتلاءم مع الميول وأنماط التفكير للمتعلّم. وهذا ما يجب أن يكـون فـي مفكّرات وتخطيطات القائمين على الشأن التربوي في وقتنا المعاصر. ومـن هنـا نرى أن تكون اللّسانيات مشروعاً لتطوير الفكر اللغوي العربي القديم بما يتناسـب وواقع العصر وتحديث أنماط التعامل اللغوي مع الطرائق الحديثة؛ بمـا يجعـل

♥ ــ ألقيت المحاضرة في الملتقى الوطني الأوّل حول اللّسانيات (مستجدات الدرس اللّسـاني وتعليمية اللّغة العربيّة بالمدرسة الجزائرية) جامعة البشير الإبراهيمي ببرج– بـوعريرج، تنظـيم كلية الآداب واللغات، بالتعاون مع المجلس الأعلى للغة العربيّة في 5–6 مارس 2018، بمناسـبة **الاحتفاء بلغة الضاد.**

اللّغة العربيّة في واقعها غير فاقدة للشرعية اللّغوية سواء في مستوياتها اللّغوية أم في حدود النمط المعياري الذي لا يُخرق بقانون التجويز بدعوى التيسير أو التسهيل، أو الأخذ بلغة العَوام، مع التجوّز في حدود ما يسمح به منطق اللّغة.

1ـ محدّدات المحاضرة: ينبغي الإشارة بدءاً إلى تحديد عناصر العنوان وهي:

1/1ـ المُستجدات: بالنسبة للمُستجدات يعني الجديد، أو ما هو من المشروع الذي بدأ تنفيذه ولمّا يحصل تقييمه، ولكنّه ضمن التطبيق، والمستجدّ ما يتنامى يومياً عبْر البحوث التربوية المتسارعة بفعل تقانات العصر التي تفرض النقلات النّوعية في عالم التعليم، فهي كرة ثلج غير ذائبة، بل أضحت المستجدات تنال كلَّ اللغات الطبيعية لما يجمعها من منطق ومَعْيَرَة، وما ينالها من تطوّر دون الخروج عن القوانين التي تحملها كلّ اللغات في طبيعتها.

ومن طبيعة الأمور أنّ قضية المنظومات التربوية تحتاط بسلسلة من التخطيطات التربوية التي تخضع للنماء عبر الآماد الثلاث (3): القصير فالمتوسط فالطويل، وكلّ مدة تخضع لتخطيط وتقييم وتقويم حتى يتواصل الفعل التربوي وفق التخطيط العامّ وهو تخطيط السياسة اللّغوية للبلد. وإلى جانب ذلك يكون موازناً لبرامج خماسية تسنّ من قبل الحكومات. وفي كلّ ذلك يكون المستجدّ الذي يحتاج إلى مراجعة في كلّ عشرية (10) من الزمان، وهذا بفعل السنة الكونية التي لا تقبل المجايلة النسخية بين الأجيال، فلكلّ جيل نمط عيش منفردة. وكان حقاً على كلّ واحد أن يعيش عصره بما يراه من أفكار تناسب الخصوصية الحضارية والثقافية. فإذاً، من الطبيعي أن تحصل المراجعة أو التراجع أو الإضافة في المنظومة الفكرية، بلْهَ الحديثَ عن المنظومة التربوية فهي الأولى بالمراجعة. وفي كلّ ذلك يظهر الجديد الذي يجعل ذلك الجيل ينماز عن غيره من السابق أو اللاحق.

1/ 2ـ الدرس اللّساني: بالنسبة للدرس اللّساني المقصود هو تلك الدراسات الحديثة التي أنتجها الغرب كنظريات لسانية منطقية تصلح لكلّ اللغات، وتقبل أن

تطبّق على كلّ اللغات، باعتماد ما يلي: الاتّساق اللغوي+ الشمول+ الامتداد الزماني+ الامتداد المكاني+ وجود المريدين+ قبول التكيّف. وهذه من بدهيات الأمور اللّسانية في النّظريات اللّغوية. ولا نخفي بأنّ البحث اللّساني في العالم العربي لم يخرج عن الإحالات التالية: اللّسانيات البنوية–اللّسانيات الوظيفية– اللّسانيات التوليدية التحويلية. ومؤخّرا وقع الانفتاح حول الدراسات التداولية والسيميائية، وفي كلّ هذا ندور في مدى تطبيق النظريات اللّسانية الغربية بمنطق تلك اللغات، مع من يتحفّظ على بعض الخصوصيات التي لا تنطبق على العربيّة مثلما فعل (مازن الوعر) وكان تعاملنا معها وصفياً وفي بعض المقامات نتعامل معها بصورة انتقائية وهذا ما سبّب لنا بعض الهنات في تعاملنا السطحي مع اللّسانيات، ويضاف إليها غياب المنهجية الدقيقة وهذا ما جعل تحليلاتنا لبعض المقاطع اللّسانية تفتقد إلى الدقّة المطلوبة. بلْهَ الحديثَ عن توزيع الجهود بين مُتشيّع لمدرسة ضد مدرسة، ولمنهج دون غيره، وتوزّعت جهود الباحثين العرب شَذَرَ مَذَرَ، من أنيس فريحة، إلى عبد الرحمن أيوب، وإلى ريمون طحّان، وداود عبده وتمام حسان، وكمال بشر... مع ما صاحب ذلك من تطبيقات على المتن العربي Corpus فقالوا بأنّ النّحو العربي قابل للتطبيق على أنحاء تلك اللغات بما لها من خصوصية، ولكنّهم افتقروا إلى منهجية علمية في التطبيق، فلم يفلحوا بل هناك من عدّل رأيه، وعاملَ فقهَ اللّغة العربيّة معاملة اللّسانيات المعاصرة بما للعربية من خصائص.

وهناك من الباحثين من غرق في التوليدية التحويلية بأن جعلوها تستجيب لخصائص العربيّة في كثير من أبعادها، ولكن كانت محاولاتهم تطبيقية انتقائية كما فعل مصطفى غلفان ومازن الوعر وغرق الفاسي الفهري في كوب التوليدية بتعقيد أنماطها. ويأتي أحمد المتوكّل يغوص في الوظيفية المارتينية، مع ميل قليل إلى التوزيعية الأمركية، وفيها بعض اجتهادات مدرسة براغ، ويتعسّف في بعض تطبيقاتها دون تكيّف على العربيّة مهما كلّفه ذلك من تمحّل. ويأتي الوسطيون:

إبراهيم أنيس والحاج صالح، وعبد القادر المهيري، والمسدي وما لفّ لفّهم، بأن يقولوا: بأنّ تراثنا له من النظريات ما كان مرجعية للدراسات الغربية فالأحرى استكناه مكنوزه، مع ضرورة التعامل معه بالانتقائية والأخذ بما يخدم نظرياتنا من اللّسانيات الغربية الحديثة. ويرون بأنّ ليس كلّ النّحو العربي جيّدا بل فيه بعض الغثّ الذي يعامل بالحذر، كما أنّ الفيلولوجية الغربية كلّها تصلح لكلّ اللغات، فلا بدّ من رِجْل هنا ورِجل هناك... ومن هنا نرى من يدافع عن النّحو العربي ويقول: بأنّ أصل نشأة النّحو العربي للتصدّي لظاهرة اللحن وتقويم اللسان، والعمل على فهم النصّ القرآني وتأويله، وهذا ملمح من ملامح التعليمية. وعن طريق النّحو العربي ظهرت النظرية اللّغوية اللّسانية العربيّة القائمة بذاتها وهذا ما جعل النّحو العربي ينضج في عزّ نضجه ويمثّل نظريّة لسانيّة قائمة بذاتها، تضاهي الكثير من النظريّات اللّسانية الحديثة؛ وذلك بالنظر إلى كلّيّتها وتكاملها، مع الفارق في الزمان والمكان. وملامح النظرية النّحوية تكمن في: السماع+ القياس+ العلّة... فضلا عن الاستقراء والاستنباط والوصف والتصنيف. وهناك من التوليديين العرب الذين ينحون منحى أهل الملكة اللّسانية بمقارنتهم بين النّحو العربي وبعض التوافقات التوليدية لدى تشومسكي؛ في اللّجوء في التحليل اللّساني إلى الاستعمال والتعويل على الحدس اللّغوي أو ما يُطلق عليه السجيّة اللّغوية عند اللّغويّين العرب القدامى، والمتكلم المثالي عند تشومسكي والتحوّل من الصيغة المفترضة إلى الصيغة المنجزة، ويتمّ هذا وفق تطبيق جملة من القواعد، وتكون هذه القواعد نسقاً نحويّا تخضع فيه لترتيب معيّن، بحيث لا يمكن تقديم قاعدة على أخرى، أو الإخلال بهذا الترتيب؛ انطلاقاً من الصيغة الافتراضية للوصول إلى الصيغة السليمة: سلم= يسلم= السلام. وما تمكن ملاحظته بشأن أولويات في التطبيق وتراعي هذه القواعد حالات أمن اللبس فيمنع تطبيق قاعدة إذا كان تطبيقها يؤدّي إلى اللبس حتى ولو تشابهت الصيَغ...

وتتوالى الأبحاث لتلد أفكار التداولية والسيميائيات، وتنشـط الحركـة اللّغويـة والأدبية في ظلّ المستجدات التي لا توقفها التيارات الفكرية من الانتقال بين اللغات والأخذ عن بعضها، إلى جانب الهجرات الفكرية بفعل المثاقفة، ويحصل الاقتراض والتوالد والتجديد، وفي كلّ ذلك المخاض نرى البديل وكثيراً مـا يكـون الأفضـل لاستكمال النظريات للسانيات في الوقت المعاصر. وبذلك تعرف النماذج اللّسـانية تطوّرات متلاحقة، وقد فرضت على كلّ باحث مواكبة المسـتجدات والمتغيّـرات الطارئة، وكان ذلك دافعاً لتحقيق مجموعة من الأهداف من مثل:

1ـ صياغة مجموعة من الظواهر اللّغوية على اعتبار أنّهـا مبـادئ لنظريـة لسانية عربية ؛

2ـ إثراء البحث اللّساني بأطر وصفية مُكمّلة للمتن القديم ؛

3ـ تقريب الدرس اللّساني العربي من واقع البحث اللّساني العالمي ؛

4ـ تعميق المعرفة العلمية باللّغة العربيّة ؛

5ـ إثارة إشكالات جديدة واقتراح الحلول المنهجية الممكنة ؛

تلكم بعض السمات النظرية والمنهجية التي وسمت البحث اللّساني العربي وهي سمات تكشف عن اختلاف وتفاوت واضحين بين اللّسانيين العرب، فعجـزوا عـن تحقيق أهداف السمو بالدرس اللّساني العربي وتوجيهه وجهة سليمة؛ يكـون فيهـا الاتّساق والمنطق والشمول. ولكن ما يشفع لهم بأنّهم اسـتطاعوا تأكيـد مسـلّمات البحث اللّساني الذي ينطلق مـن المسـتويات الأربعـة: الصـوتي+ الصـرفي+ المعجمي+ التركيبي، والفصل بين هذه المستويات اللّسانية هو فصل إجرائي فقـط إذ تتفاعل هذه المستويات في ما بينها وتتكامل. وكان هذا مـن الإطـار اللّسـاني المؤكّد جزماً من De Saussure ومن جاء بعده من الباحثين المجتهدين، إلى غاية الأبحاث المعاصرة الجادة. إن لم نقل إنّ هذا كان وجهة نظر فقهاء العربيّـة فـي الممارسات اللّغوية أثناء وصفهم للعربية.

1/ 3ـ التّعليميات: إنّ الهدف التعليمي هو ما ترومه اللّسانيات في عمومها بغية ترسيخ أنماط اللّغة بما تحمله من مستويات ووظائف وغايات؛ وُصولاً إلى مُخرجات نوعية في الممارسة اللّغوية. ولهذا تركّز على الوظيفة التواصلية للغة بما لها من إحالات: علم الأصوات+ علم الدلالة+ السيميائيات... وهي من خصائص النظريات اللسانية المعاصرة في غايتها الكبرى في العملية التعليمية للغات، وتظهر الغايات التعليمية في النصوص، وفي اختيار العنوان، وكلّ ما يثير غايات الإثارة والإغراء والتهيئة والمنهج والتبسيط، وما يصحب ذلك من الوظيفة الانفعالية التأثرية، باعتبار موضوع اللسانيات هو دراسة اللّغة. واللّغة تدور حولها مباحث علم اللّغة وعلومها، وتتّخذها موضوعا لدراساتها ليست لغة بعينها وإنّما هي اللّغة التي تتمثّل في كلّ الكلام الإنساني، فالأصول والخصائص الجوهرية التي تجمع بين سائر اللغات في كلّ صورها هي موضوعات علم اللّغة، وهي كلّها تدخل في باب التّعليميات.

إن الغاية التعليمية التي تصدح بها أغلب الكتابات اللسانية تنصّ على ضرورة تعميق البحث اللساني لتلافي الإشكال المنهجي، ومن ثمّ طلب المعرفة بالأصول الابستيمولوجية لكلّ علم؛ وصولاً إلى تلافي الاختلاف والتعدّد في التوجّهات الكبرى ولهدف واحد هو خدمة تعليم العربيّة لأهلها، أو لغير الناطقين بها، وفق المعرفة الدقيقة بآليات الاختصاص عن طريق الدراية بفقهها اللغوي. ولهذا يعزُو اللسانيون العرب المعاصرون بأنّ العربيّة تحتاج إلى تعزيز تعليمها وتحسينها وفق نمطية المنطق النّحوي، بما تديره لغة العصر من أساليب تحذو حذو الصواب، مع ما يلحق ذلك من تجديد تعليم اللّغة العربيّة وتقويته، مع جعله إلزاميا لكلّ الأطفال، وفي كلّ المؤسّسات التربوية. مع ما يلحق ذلك من فتح شعب للبحث العلمي المتطوّر بالعربيّة ومسايرة تشجيع حركة التوليد والمعجم، وتشجيع الترجمة، والتفتّح على المازيغيات، والتحكّم في اللغات الأجنبية، والاهتمام القوي بالتكوين؛ باعتماد التكوين المستمرّ مع وضع المناهج البيداغوجية والوسائل الديداكتيكية الملائمة وتحديد اختبارات للتقويم مع توقيت تنفيذها، ورصد الموارد المالية لها.

ومع ذلك يمكن أن نقول بأنّ في التّعليميات علم يطلق عليه (علم اللّغة التطبيقي) وهو علم قائم بذاته وهو فرع من فروع اللسانيات، وله مجالات كثيرة وأهمّ مجال يعمل عليه هو التعليمية. فيمكن استغلال طريقة هذا العلم للرفع من كفاءة حسن تعليم العربيّة وفق خصوصية الانغماس اللغوي، ووفق قواعد الترويض، وما تنصّ عليه عملية ترسيخ الملكة اللسانية. إضافة إلى ضرورة تدبير شأن النّحو العربي مع اللسانيات، والعمل على ربط الصلة بينهما، وإعادة قراءة بعض المسائل الصرفية والنّحوية بمنهجية حديثة نراها مفيدة لإعادة قراءة النظريّة النّحوية العربيّة أو التراثية بوجه حديث قديم، بغية الوصول إلى النّحو الميسّر والأفضل، وهذا ما تنشده التّعليميات في عصرنا. ومن الضروري كذلك تطبيق النظريات اللسانية العربيّة على الدّرس القديم أو المعاصر مثل النظرية الخليلية الحديثة التي أثبتت نجاعتها في التّعليميات.

ونروم من هذا الملتقى تسليط الضوء على الأهمية القصوى التي يكتسيها استثمار اللسانيات في تطوير تعليم اللّغة العربيّة؛ وذلك بالانكباب على دراسة الجوانب النظرية والتطبيقية والإجرائية التي يقتضيها هذا التطوير، مع الانفتاح على التجارب الدولية، وما تُتيحه التقنياتُ المعلوماتية المعاصرة من إمكانات. والعهدة على البَحَثَة الذين نأمل أن يُوجّهوا أفكارهم نحو قضايا العلاقة القائمة بين الاكتساب والتعلّم، أو بين اللّغة الأمّ وبين اللّغة الأجنبية، والفروق القائمة بين تعليم اللّغة العربيّة للناطقين بها وبين تعليمها لغير الناطقين بها، وانعكاس تلك الفروق في بناء المنهاج التعليمي، ومدى كفاية البرامج والمناهج اللّغوية المخصّصة للفئتين من المتعلّمين، ومدى أهمية القواعد في تعليم اللّغة العربيّة ووجوه الجدوى من المقاربة التواصلية في تعليم اللغات، وغيرها من القضايا المماثلة.

كما نفيد الحضور بأنّه من الضروري استكناه التجارب الناجحة في تعليميات اللغات لدى الغرب وكيف يستفيدون من الانغماس اللغوي، ومن الإقامات اللّغوية والرحلات اللسانية، ومن المناهج المعاصرة في تعليم اللغات في حدود ساعات

معدودة. وعليكم أيّها الباحثون يقع العول في رفع مؤهّلات النجاح بلغتكم وفي لغتكم، ليحصل الاتّصال الحقيقي بين علماء فقه اللّغة وعلماء اللسانيات، والعمل معاً لمدّ جسر التكامل بين اللسانيات العالمية والعربيّة، والإسهام في تطوير الدّرس اللساني والمشاركة في المجهود العالمي في الدراسات اللسانية؛ لأنّ وسائل الاتّصال السريع تحمل بشرى بناء علاقة لسانيّة إيجابيّة بين اللسانيات من جهّة والثقافة العربيّة من جهّة أخرى.

ولا يجب الانغلاق على الذات العربيّة في عصر اللسانيات التي غزت كلّ العلوم، فمن مؤهّلات النجاح استثمار منجزات الدّرس اللساني العالمي في التعليم في مختلف مراحله؛ حيث أحدثت اللسانيات تحوّلات عميقة في البحث التربوي وفي فروعها المختلفة، وتعدّدت تطبيقاتها في مجالات تعليم اللغات والترجمة وتحليل الخطاب، وكان من أهمّ نتائج هذه التحوّلات ظهور مجال علمي تُستثمَر فيه النظريات اللسانية في مجالات المجتمع الحيوية: الإنسانية والاجتماعية والتعليمية وغيرها. ويعدّ علم تعليميات اللغات مجالاً رحباً وهاماً لما حقّقه من نتائج في اكتساب اللّغة وتعلّمها. أليس من الأحرى أن نستفيد من تلك المناهج والآليات للرفع من مستوى الأداء التربوي للغاتنا؟

ذلك مبتغانا، ونروم أن يكون مبتغاكم، ونستهدف الرفع من سويّة حسن الأداء اللغوي في مدارسنا وفي إعلامنا وفي مخابرنا، وفي كلّ وسائل التواصل التي نعمل معاً على ان تكون في خدمة حسن استعمال العربيّة، وهي اللّغة التي نعمل على تطويرها بالبحوث التربوية الميدانية، وعلاج قضاياها التي تعمل على تأخير تطوّرها. وهكذا نعمل بما وسعنا الجهد لنجسّد المقولة التاريخية: نكون خير خلف لخير سلف، وهذا ليس بالصعب إذا شدّت العزائم يا طلاب العزم.

الطِّفل والكتاب

ــ **ديباجة:** يسْعدُ المجلسُ الأعلى للّغة العربيّة أن يحضر في هذا الملتقى الدوليّ الخامس ويُزجي خالص الشّكر والتقدير لجمعية الطّفولة السعيدة لولايــة غردايــة على حسن التواصل في تنظيم هذا الملتقى، ويمتدّ الشّكر لكلّ من حضّــر وســوف يحاضر في هذا المَحفل، ويكبر الشّكر لكلّ الذين أحسنوا اختيار موضوع هذه السنة لما يُشكّله من أهميّة في الثنائي المتّصل: **الطِّفل+ الكتاب.** تحت شعار **(حتى تكــون المطالعة حقَّ كلِّ طفلٍ في العالم) ف(حتّى)** حرف يُفيــد التّحقيــق بــلا تصــديق **و(تكون)** فعل كينونيٌّ يقصد به أمل التّطبيق. **و(المطالعة)** تعنــي إنجــاز التّثقيــف **و(حقّ)** هو ما لا ينتظر التّسويف. **و(كلّ)** ضميمة تنتظر التّعميم، **و(طفل)** بشــر لا حول له ينتظر التّعليم. **و(في)** حرف يفيد التضمين، **و(العــالَم)** اســم تحقّــق فيــه التّخمين. ونفيكم أيّها الحضور بأنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة سبق لــه أن اقــام مسابقة وطنية سنة 2009م، بخصوص مجال مسرح الطفل، وقد صدرت أعمــال الجائزة تحت مسمّى (نصوص مسرحية للأطفال). كما نشر ثلاثة أعمال بخصوص ثقافة الطّفل، وهي: ثقافة الطّفل+ ثقافة الطّفل خارج المدرسةّ ثقافــة الطّفــل فــي الأسرة.

إخواني الحضور؛ إذا كان الكتابُ لعامّة الناس خيرَ جليسٍ للأنام، فإنّ الكتــاب للطفل خيرُ مٌؤنسٍ في المَرام. وتحدُوني تلك الأفعال التي تقوم بها الأمــمُ الراقيــةُ والتي تَستثمِر بقوّة في التنميّة البشريّة؛ بدءاً من الرّوضة؛ إلى الجامعــة، لإخــراج مسيّرين/ علماء/ مبدعين/ فلاسفة/ صنّاع/ مهرة/ حرفيين... يبدعون في الموجبات والصناعات والتكنولوجيات والأخلاقيات والرافعات لبناء الناطحات. وتنفق الــدول من ميزانياتها أموالاً طائلة في بناء شخصية المواطن؛ لأنّ تكــوين العقــل يخلــق

♥- أعدّت المحاضرة للملتقى الدوليّ الخامس حول **(الطّفل والكتاب)** غرداية: يومي 24-25 مارس 2018.

التنميّة، والتنميّة الوطنية تأتي من عقول أبنائها؛ مثلما التكنولوجيا تُستورد في البداية ولكنّها تُستوطن في النّهاية، وبشكل دائم يكون لها المقام ويستغنى بها عن استيراد كلّ عوام. ولا يمكن أن يحصل ذلك إلاّ في شَعْب له استعداد لتملّك العِلْم ومن ثمّ السّعي لتملّك الفَهْم وتملّك العلْم والفهْم لا يأتيان إلاّ عن طريق القراءة وحبّ القراءة، وكلّ أفعال القراءة. ولذلك قيل: شعبٌ يقرأ شعبٌ لا يُستعبدُ، وكلّما قرأنا أكثر، كلّما عرفنا أشياء أعظم وأكبر، وإنّ العالِمَ يذهبُ، وتبقى كتُبه تُرغِبُ ويذهب العقلُ، ويبقى أثرُه في الصقل، والقراءة هي مُتعة التّجوال بالمنوال، وأن تقرأ يعني أن تجدَ الصديقَ الذي يليقُ بك، وأن تكونَ مع مُؤنس يُحيط بك، وما أعظم الكُتب! الكتب عُصارة الفكر والحضارة في الرتب وما أعظم الكُتب! الكتب خلاصة الأفهام في المعاني وهي حديقة التّجارب في المباني، وما أعظم القراءة! القراءة رائدة كلّ خلاصة، وما أعظم المطالعة! المطالعة ثمرة العبقرية بلا مراجعة.

ــ **مقدّمة**: ماذا عساني أقول في القراءة؛ فهي فِعْل طوعيٌّ لاختيار ما نقرأ وبالفعل؛ فإنّ الكتابَ خيرُ صديقٍ للكبار، بلهَ الحديثَ عن الصِّغار، وهو منبع المعرفة في كلّ حال، ولهذا يقع الاهتمام بفِعْل القراءة دون مُحال، لما للقراءة من ترسيخ حبِّ المعرفة التي يحملها مَضمون الكتاب، وما يُطلعُكَ عليه من خلال محموله باكتساب، إضافةً إلى ما تُجلبه القراءة من مُتعة وزيادة، وما تُعطيكه من شخصيّة ورِيادة. وأما الكتابُ لدى الطِّفل؛ فيعني القراءة والتي تساوي المُتعة، وفي ذات الوقت تساوي المَنْعَة، كما أنّ تكوينَ الدماغ وحُسن التّفكير، مَجْلبة لحُسن التّدبير، فالقراءة تُنمّي الجانبَ اللغويَّ بشكل كبير، وتزيد في توسيع المعارف بشكل كثير؛ لأنّ السَّماع للقراءة لدى الطِّفل يجعله يتعرّف على مصطلحات كلِّ قُفْل مصطلحاتٌ لغويةٌ مُختلفة ومَسْكوكاتُ العلوم المُجتلبة، وبهما يحفظ مختلف المناويل اللّغوية، وتجري اللّغة في فمه بصورة عفوية، ويدخلها في قاموسه بصورة فِطْرِية ويستذكرها في مختلف المناسبات، وبها يتواصل في كلّ المقامات، وفي أحوال الخطاب وعلى مقتضى الحال، وموسيقى المنوال.

ــ **القراءة لدى الطّفل:** وليعلمْ من يريد أن يعلم، بأنّ تحبيب القراءة للطّفل فِعلٌ نبيل؛ وبخاصّة عندما تأتي على شكل قصص تميل، إلى تمثّل عادات الطِّفل الوديع إذا أردفته باستعمال علم البديع، أو من خلال ما يُقصُّ عليه من روايات الصِّغار وعادةً هي التي تُنمّي فيه فِعْل الكبار. وهكذا ستعمل القراءةُ على مِلْء خزّانه الباطنيّ، بمشاعر إيجابية في علمه الظاهريّ، تجاه الكتب بسبب الذكريات الجميلة وتجاه تغليب صور خياله الفنّية. وبذا يُعدّ الكتابُ الصديقَ الوفيَّ للأطفال ومُنيةَ الجابر للخاطر للأعمال، فمن خلاله يتمكّن الطِّفل من مشاهدة الصُّور ذات العُجاب ويكون راضياً عن كلّ خاطر مُجاب، ويرتاح لما في قلبه من سُؤال، ويكون له حظّ المِنْوال، من خلال ما يكشفه من حُبّ المعرفة، ومما يزيده رفعاً في السمعة. ويليق بنا السؤال في هذا المقام، كيف نختار الكتابَ الموصلَ للمَرام؟

ــ **اختيار الكتاب المُناسب للطفل في عمره المناسب:** يمكن تلخيصُ ذلك في القول: إنّ كتابَ الطِّفل له خصوصية؛ وتتمثّل في المتانة، وفي الألوان، وفي عدد الصفحات، وفي عدد الكلمات في كلّ صفحة، وفي مَلْمَس الكتاب. ومن هنا تنوّعت كتبُ الطِّفل وتعدّدت، وتنافست في استقطاب الطِّفل واتّسعت. وكادت تُغرقُه في الخيارات، والطِّفل يستهويه كلّ كتاب يقدّم المنافرات، أو تلك التي تقدّم المغامرات. ولذلك يؤكّد خبراء الأطفال ضرورة اختيار الكتاب الذي يقرأه الطِّفل وضمان معايير الجودة، واختيار مواصفات بناء الكتاب؛ بناءً يليق بسنّه العمري. ولهذا تقتضي الضرورات التباري في إطلاق المبادرات الفردية والجماعيّة والتي تعني ببرامج الأطفال الدقيقة، وما تحمله متون كتبه، والبحث عن أجدى وسائل الحلول وأسرعها والتّأسيس لأجيال تتحمّل مسؤولياتها في نهضة مجتمعيّة. وما يجب القيام به حالياً هو السّعي الحثيث لبناء مجتمع يقرأ ويقرأ ثمّ يقرأ؛ وهو يرتحل أو ينتظر أو يسافر، وفي جيبه الكتاب وذلك يكون مَدعاة لترسيخ أولادنا حبّ القراءة ونحن نقرأ في البيت أمامه، ونكتب ونكوّن المكتبات، ونزور معارض الكتاب، ونشجّع على القراءة وننقله اليوم إلى العيش في العالم الافتراضي للكتاب

الإلكترونيّ الناطق الذي يحمله في جيبه في جهاز السمارتفون، أو على ظهره في اللوَيْحَة. وبكلّ تلك الأوعية المُعاصرة والمُصنّعة، ومُختلف وسائط التواصل المُعاصرة.

ــ **لماذا الاهتمام بكتاب الطِّفل؟** هو السُّؤال الجوهريّ في قلب حَدَث اليوم الداعيّ إلى مجتمع المعرفة؛ الذي يتأسّس عبره بناء فكر الطِّفل، فهو العُمدة في المُستقبل الذي يعتمد على المعرفة ليس إلاّ، وعُمدة السؤال **لماذا كتاب الطِّفل؟** هي إجابات مُقتضبة تقتضيها إبراقيات قريبة من مناقشة قضايا أهميّة كتاب الطِّفل وتعود إلى أهميّة بناء جيل قارئ، ولتحرير الجيل كذلك من عقد القمْع والمنْع والوصاية، ومن سائر القيود التي فقدت مُسوّغاتها مع الانفجار المعرفيّ الراهن وإطلاق طاقاته، ولتقوية جهاز مناعه الفكريّ، ويستدعي كلُّ ذلك حبّ ترسيخ القِيَم الإسلاميّة والأخلاقيّة والإنسانيّة والعلميّة وغرس الخصوصيات الثّقافيّة الوطنيّة وترسيخ مفاهيم الاختلاف لا الخلاف واختلاف المنهجيّة لا يعني الخلاف في الهدف، والتّشجيع على التّنافس والتّباري في مَنْ يقدّم الأفضلَ، وتنمية الرصيد المعرفيّ لدى الطِّفل الذي سيكون له عُمدة الاستشهاد بحُسْن الكلام في لاحقٍ من مسؤولياته.

ــ **تعلّم العربيّة واللغات في مرحلة الطفولة:** يرى المختصّون بأنّ مرحلة الطفولة مرحلة خصبة، ولذا يمكن استغلالها في تعلّم/ أخذ اللغات بالفطرة، بدءاً من مرحلة الروضة، واتّخاذ هذه المرحلة في استعمال الفصحى استماعاً وتحدّثاً وقراءة وكتابة بشكل كامل في نهاية المرحلة الابتدائية، وذلك ما يؤدّي إلى امتلاك ناصية اللّغة في مبانيها وفي معانيها: وإنّ حبّ الأطفال للمطالعة هو حبّهم للبحث والإبداع بالعمل على تأصيل حبّ القراءة. ويكون المنطلق بإغماس الطِّفل في لغته بالفطرة واللغات الأخرى بالنّطق السليم، والترويض المبين في مختلف المقامات والسياقات ويكون لها التّمثيل العينيّ الذي يجعل الطّفل يعيش استعمالات اللغات بما لها من مواقف وخطابات، وتتنامى لديه المسكوكات اللّغوية التي يتعامل بها في مختلف

أحوال الخطاب. ولهذا يولي المختصّون هذه المرحلة أهميّة لما لخصوبة فكر الطّفل من استيعاب، ويقع التركيز على الحصص التي تجعل الطّفل يدرك جمال اللغات وبلاغتها، والتقليل من قواعد النّحو. هي مرحلة يجب مراعاتها والاهتمام بها؛ لأنّها تعمل على ترسيخ كلّ أنماط المعرفة بشكل دقيق ومنظّم، وبما أخذه من الصّواب ومن الخطأ، فلا مجال للخطأ الذي سوف يرسخ في الذهن ويبقى عائقاً في التواصل. ولا يكون الترسيخ قوياً إلاّ بالقراءات الكثيرة، وبالكتاب المنهجيّ المتدرّج وباللّغة العالية التي تساعده على التّفكير والإبداع، ولا للعاميات التي تخلق فيه التّضييّق في فكره، والبلاهة في ذهنه.

ــ **مُتضمّنات كتاب الطِّفل:** لا بدّ لي أن أعرج على بعض مُتضمّنات كتاب الطِّفل التي يجمل بها، وهي ما تؤكّده البحوث والدراسات:

ــ التّفريق بين المراحل العُمْرِية ؛

ــ مراعاة الخصوصيّة الجنسيّة: ذكر/ أنثى ؛

ــ الميل إلى الخيال العلميّ ؛

ــ الموضوعيّة الأدبيّة ؛

ــ البداية بترسيخ أدب الطِّفل.

كما يتعلّق المضمون بالجوانب التالية: الغلاف+ الصُّور+ الورق+ حجم الكتاب+ مقاسات الحروف+ خُلَو الكتاب من الأخطاء+ كثرة الألوان. وكلّ هذا لا يُحقّق عمليةُ كسبِ ودّ الطِّفل إلاّ بطريقة مُثلى لتبليغ مُحتويات الكتاب بعمليات التّشويق، والتّدرّج في تبليغ المعلومات والتّبسيط والتّنويع، والتّلوين، والتّفاعل والتّصنيف، والتّجريب.

ــ **رفع تحدّي القراءة:** لقد أقامت الجزائرُ مؤسّسات التّثقيف، ففي كلّ بلدية ما لا يقلّ عن مركز ثقافيّ/ قاعة للمطالعة، بل هناك دور للثّقافة في كلّ ولاية ومكتبات عموميّة وخاصّة في كلّ المدن الجزائرية. والجزائريّون يرفعون التّحدّي في هذا الجانب، وما حصولُ الجزائرِ على المراتب الأولى عالمياً إلاّ دلالة على أنّ

لدينا من يقرأ؛ فهذا (محمد فرح) و(زهرة الطبيبة) و(فاطمة الزهراء غولام) الــذين حصدوا المراتب الأولى في جائزة التّحدّيّ العربيّ بِدُبَيْ، وتعود الجوائز الأولى في كتارا، وفي الألكسو لطلابنا وأساتذتنا... وهذه دلالة على إيلاء الأهميّة والتنــافس في مَنْ يقدّم الأفضلَ في كلّ شيء. ومع هذا لا تزال مُتطلّبات رفْعِ التّحدّي قائمــةً بحاجةٍ إلى التّباريّ في منهجيات القراءة، وفــي البحــث عــن تأسـيس قنــوات مَوْضُوعاتيّة تعمل على تربيةِ ذوقِ القراءة لدى الصِّغار والكبــار. بحاجــةٍ إلــى خطوات التّميّز، بحاجةٍ إلى مزيد من رُواد القراءة، بحاجةٍ إلى مُختصّين في تحبيب القراءة، وجمال التّذوق وبلاغة الشّعر، بحاجةٍ إلى قوانين خاصّة بدُور الثّقافة على أنْ تتخلّى عن نِظام الدَّوام العامّ. فالمكتباتُ تُرْتاد بعد الدَّوام العامّ، والقارئ يتفــرّغ ويأتيها للقراءة وسماع المُحاضرة وما يتبع ذلك من فنّون القول بعد الــدوام العــامّ. فكان عليها أن تعيشَ الاستثناءَ، وترفع التَّحَدّيَّ بنشاطات نهارية ليلية دون انقطــاع نشاطات وبرامج ومشاريع تثقيفيّة يكون لها الأثرُ في المجتمع، وهذا هو المُبتغَــى من دَوْر المكتبات التي تعمل على تنميّة ذوق المُطالعة والتّرغيب فيها.

ـ **خاتمة:** أدعو المُختصّين إلى تكثيف الدراسات الميدانيّة في مجــال القــراءة لدى الطِّفل وفي لغة الطِّفل، وفي كتاب الطِّفل؛ قبل أن تُفاجئَنا المُتغيّــرات، فتُخــلَّ بتوازننا، وتُلقي بنا بعيداً على هامش التاريخ. وأدعو إلى الاســتثمار فــي كتــاب الطِّفل، وإنتاجه حسب المُواصفات العالميّة؛ مُحتوى وشَكلاً وإخْراجاً وَوَرَقاً. وأدعو إلى التّباري في إسْداء الجوائزِ للتّرغيب في القــراءة وفــي الإنتــاج فــي أدب الأطفال، وفي بناء عقولٍ تُفكّر وتُوجّه وتُنتج.

وقبل أن نهجو زمانَنا نقول: إنّ العيبَ فينا، وعلينا ترميمَ ثقافتنا؛ لكي نقرأَ أكثرَ من الشّعوب الأخرى، فنحن أمّة (اقْرَأْ) فلماذا لا نَقْرَأُ؟ ما هو السَّبيل إلــى تغيّيــر الوضع الحاليّ لنكونَ أفضلَ؟ ألا يمكن أن يقع التّغيّير إذا شُدّتِ العزائمُ، وتغيّــرتِ المَنْهَجياتُ، ووقع الاهتمامُ بتدريب الذِّهْنِيات. ولله درُّ من قال:

نَعِيبُ زَمانَنا والعيْبُ فينـــــا   وما لِزمانِنا عيْبٌ ســــِوانا

ونهْجُو الزمانَ بِغيْرِ ذَنْبٍ ولوْ نَطَقَ الزمانُ بنا هَجانا

ـ توْصِيات:

1ـ يُوصِي المجلسُ الأعلى للّغة العربيّة بمواصلة تنظيم هذا الملتقى الدوليّ سنوياً. ويرفع تحياته لكلّ الحضور، ويأمل منهم تقديم مشاريع في القراءة/ المُطالعة، ورَفْعها إلى من يُهمّه الأمرُ ؛

2ـ نروم البحثَ عن السُّبُل المنطقيّة، والمشاريع الكفيلة بجعلنا **نقرأ ونقرأ ثمّ نقرأ** ؛

3ـ يُوصِي المجلسُ بإشراك مُختلف المُؤسّسات العالميّة والوطنيّة من: اليونسكو+ اليونسيف+ الألكسو+ الأسيسكو+ مُنظّمات وطنيّة للطفولة، إلى جانب مُنظّمات المُجتمع المَدنيّ ؛

4ـ الدعوة إلى تخصيص يوم وطنيّ للتّباري في القراءة وفي الإملاء؛ يُسْهِم فيه كلُّ الناس ؛

5ـ تخصيص أجنحة للقراءات النموذجيّة في مَعارض الكتاب، وإقامة تنافس في حُسْن الحفظ، وفي جمال الأداء ؛

6ـ إيلاء الاهتمام بالقراءة لدى ذوي الحاجات الخاصّة ؛

7ـ الدعوة إلى تكثيف تنظيم معارضِ كتابِ الطّفل ؛

8ـ الدعوة إلى تنظيمِ وَرْشات للتباري في القراءة ؛

9ـ الدعوة إلى تقديمِ مشاريع في تحْبيب فِعْلِ القراءة ؛

10ـ الدعوة إلى زياراتٍ ميْدانيّةٍ للمعارض الوطنيّة للكتاب ؛

11ـ إشراك أطفالنا في مُختلف المُناسبات الوطنيّة والدوليّة للإسْهام في المُناسبات ذات العلاقة بفِعْل القراءة ؛

12ـ دعوة المَعْنيّين إلى تجسيد ثقافةِ فتْحِ المكتبات/ قاعات المطالعة في الأماسي وفي الليالي ؛

13ـ العمل على تواصل المَعرفة بين مُؤسّسات الدراسة وقاعــات المُطالعــة لتجسيد المُدُن التي لا تنام ؛

14ـ تدعيم وتوسيع قاعات المطالعــة/ دُور الثّقافــة علــى كــلّ المُســتويات وبخاصّة في البلديات وفي الأرياف، وخَلْق جوّ المُطالعة والمُناقشة، والتَّباري فــي مَنْ يُقدّمُ الأفضلَ.

التربية الرّوحيّة ودورها في تعزيز السِّلْم♥

ــ **ديباجة:** يسعدُ المجلسُ الأعلى للغة العربيّة أن يحضرَ في هذا المحفل الدوليّ الموسوم (**التّربية الروحيّة ودورها في تعزيز السّلم**) الذي يأتي انعقاده فــي شــهر النّصر، وهو التوقيت المناسب لنتواصل مع صانعي النّصــر، وبــدورنا نوصــل الرِّسالة إلى هذا الجيل الذي يحتاج منّا إلى محاورته والعمل على مرافقته، وتقــديم الحلول الممكنة لمضايقاته. إضافة إلى ما تمّ اقتراحه من محاور هذا الملتقى الــذي يسعى إلى مناقشة أثر التّربية الروحيّة في تعزيز قيم السّلم والأمن ونشر الوسطيّة ومحاربة التّعصب والتّطرف والانحراف، لغرض حماية الفــرد والجماعــة مــن الأخطار المحدقة بنا، وكأنّي أجِدُكم –أيّها المنظّمــون–تُطبّقــون توصــيةَ الطبعــة التاسعة عشرة (19) للأسبوع الوطني للقرآن الكريم بعنابــة ومفادهــا (ضــرورة استغلال القيَم الروحيّة القرآنية لبناء الإنسان السويّ نفسياً وسلوكياً وتكوين المواطن الصالح) فأنْعِمْ به من تجسيد! ومن خلال كلّ هذا أقول: لقــد أتقنــتم فــنّ اختيــار المناسبة والموضوع، وأجدتم صياغةَ محاوره، لما لها من طــرْح قضــية التّربيــة الروحيّة التي تشكّل عُمدة تكوين الفرد والمجتمــع، ولمــا لهــذا الموضــوع مــن مرجعيات الاستهداء بكتابنا الكريم، وبالهَدْي النّبــويّ الشّــريف، ثــمّ يــأتي دور المُصلحين العاملين على إصلاح النّفوس؛ بحمْلها على منهج الله في الاستقامة. وبذا نرى أنّ التّربية عامّة ركيزة مُهمّة يقوم عليها صلاح الفرد والمجتمع. ولذلك نجــد تعاليم القرآن والسّنة تركّز على مسألة التّربية والتّزكية وإصلاح الــنّفس البشــرية حتى تستقيمَ الحياةُ وتحفظَ المجتمعاتِ من الانهيار والانحراف، ومن انتشار الآفات والفوضى وعموم الفساد.

♥ ــ أعدّت المحاضرة للملتقى الدولي في طبعته السادسة حول التصوّف، بمســمّى (التربيــة الروحيّة ودورها في تعزيز السّلم). غليزان: 26– 27 مارس 2018م.

أيّها الجمع الكريم، للمرّة الثانية أكون معكم لحضـــور هـــذه الفعاليـــة العلميـــة وتؤسرني ولاية غليزان الونشريسية بتاريخها العريق عراقة هذا البلد، بمعالمها في جبل بومنجل، إلى قلعة بني راشد، تاريخ يعود إلى مملكة نوميديا وملكها صـــفاكس ومنها إلى قبيلة مغراوة التي تنصّلت هنا. غليزان العظمة بعلمائها وأعيانها؛ فهـــذا الشيخ مولاي محمد، والشيخ واضح خليل، وقاسم الجعدي، وعبد القادر حاج علـــي وأحمد فرانسيس والصادق الحميسي المازوني. غليزان الجمال بطبيعتها وبمخزونها الغذائي. غليزان والملاحم البطولية في الحركات الوطنية وفـــي ثـــورة التّحريـــر. غليزان مرّ بها ابن باديس، وتأسّس فيها فرع جمعية العلماء المسلمين. غليزان كان هنا محمد الصالح رمضان، وعمر أسياخم... وتجمل المدينةُ وهي تستقبل علمـــاء من خارج الوطن ومن داخله، وتُعالج هذا الموضوع الذي يعمل على ترسيخ قـــيَم التّربية الرّوحيّة، وما أحْوَجَنا إليها ونحـــن نعـــيش مختلـــف التّفـــاعلات الوطنيّـــة والعالميّة.

ــ **مقدّمـــة:** إنّ التّربية الرّوحيّة وسيلة مهمّة لتعزيز قيَم السّلم والأمن والطمأنينة من خلال دعوات القرآن والسُّنة لهذه القيَم العُليا، ومحاربة كلّ أشـــكال التّطـــرف والتّعصب المذهبيّ، وكلّ انحراف وتمييع لثوابت الـــدين وأخـــلاق الإســـلام. فـــلا مندوحةَ –أيّها الحضور–أن تتكثّف مجهوداتنا أفراداً ومؤسّسات للَعِب دورِ إرســـاءِ قيَم السِّلم والأمن والتّسامح من خلال تعزيز وتفعيل القيَم الرّوحيّة والمبادئ الدينيـــة وإصلاح الفرد والمجتمع، من خـــلال الأســـرة والمســـاجد والزوايـــا والمـــدارس والجمعيات التي تعمل في هذا الإطار. وإنّ تربية الروح هي الفلاح من خلال مـــا نتيحه من صوفيّة الجانب الروحيّ، ومقامات ساميّة، ومن دروس الوعي أولاً، إلى دروس الوعظ في بعض المقامات ثانياً؛ وهي كلّها كفيلة بسدّ الكثير من الفجـــوات وهذا دورنا جميعاً لتوفير الاطمئنان للفرد والمجتمع.

أيّها الحضور، لستُ هنا في مقام من يقدّم نصيحةً للحضور، ولكنّي واحد مـــن الذين ركبوا السفينة، فأيّ خرق فيها أغرق، ونغرق جميعاً، ولهذا أرى الأمرَ مـــن

زاوية حَمْله بالشّراكة؛ وبخاصّة الأسرةَ والمسجدَ والمدرسةَ والزاويةَ لتفعيل أداءاتها في التّربية الرّوحيّة والاستثمار في الطرائق والمناهج الحديثة التي تواكب مقتضيات العصر. ولا يغيب عن بالنا أنّ معطيات أولادنا خلقوا لغير جيلنا، وهي من الأهميّة أن تؤخذ بعين الاعتبار، بقياس بعض المعطيات على الراهن وهم رجال القرن الحادي والعشرين الذين سيكونون في سباق مع الزمن وسيواجهون تحدّيات جسام بطغيان القيَم المادية على القيَم المعنوية، وبالتّقدم التّقنيّ الذي بات يقفز قفزات خيالية، ولذا علينا ألاّ نجبرهم على بعض عاداتنا التي لا تتمشى ومعطياتهم، وإنّما علينا أن نغرس فيهم حسن التلاؤم مع مجتمعهم المستقبليّ وذلك لأنّهم قد خلقوا لزمان غير زماننا. علينا وضع محاذير أمام التقانات المعاصرة في جانبها اللاحضاري، والوعي بالعِلمانية الشّاملة التي تسعى لإلغاء الخصوصيات والعمل على التّنميط. ولهذا لا يقف أمامها إلاّ الاهتمام بالتصوّف المنير، تصوّف الإنيّة التّراثية، تصوّف السّلف الصالح المبني على رموزنا التاريخيّة والحضاريّة تصوّف الاعتبار بالشخصيات الصوفيّة، والاعتبار بالماضي المجيد.

الحضور الكرام، دلّونا على السّبيل القويم للتنقيب عن حيثيات تحيين موروثنا الحضاريّ والعلميّ والثقافي في مجال التّربية الروحية لصناعة وعيٍّ فردي وجمعيّ مدنيّ معاصر ملائم لأولادنا، بما لنا من مؤسّسات تعمل على أخلقة النشاط الإنسانيّ في مختلف مجالات الحياة؛ وصولاً إلى تعزيز ثقافة السِّلم والعيش المشترك والتواصل ما بين الشّعوب بالإضافة إلى دعم مفهوم المواطنة. واعلموا –أيّها الإخوة–أنّ الأمن الروحي هو نقطة الارتكاز التي تستند عليها جميع أنواع الأمان الأخرى والتي ينشدها الإنسان، وكان علينا معرفة الاختلالات الذاتية ومعالجتها، مع التّصالح مع الذات وتحقيق التّواصل معها، وعبر هذا التّصالح والتّواصل الذاتيين يتحقّق أمنُ الأمان. وأمنُ الأمام في التّربية الرّوحيّة هي التي تتصدّى لجوهر الإنسان وترتقي بالنّفس اللوّامة إلى النفس المطمئنة الهادئة

الصالحة، وبدروها تسير في تصوّف طبيعيّ تُسهم في إشاعة قِيَم المحبّة والرحمة وحُسْن التّعايش والتّواصل، ولا يأتي بعد ذلك إلاّ الأمان.

ــ **ميثاق السّلم والمصالحة الوطنيّة:** إنّ الجزائر أضحت لها الريادة، بل تُعدّ مرجعية يَستهدي بفعلها الآخرون، بفضل **فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة** في مشروعه الوطني (المصالحة الوطنية) الذي أنزل السكينة في قلوبنا من سنوات الجمر التي أرعبت البلاد قبل العباد، وقال الجزائريون كلمتهم وداعاً للعنف، نعم للسِّلم، ونرى الجزائري يقول: عاش السّلم والمتضرّر يقول: نعم للسَّلام في الجزائر. وها هي الجزائر تُحيي بفخر اليوم العالمي للسَّلام الذي له معنى وقيمة منذ أن أُرسيَ ميثاق السلم والمصالحة وحدة الجزائريين، وهي من أشدّ ضروريات استمرار الحياة البشريّة.

ــ **دورنا في إشاعة ثقافة السّلم:** تبدأ ثقافة السّلم من التّربية الأسريّة، وهي ثقافة استرضائية يأتي تعزيزها في المدرسة باعتبارها عشَّ تفريخها، ومن ثمّ يأتي دور الكُتّاب/ المسجد ومطلوب منه صحوة فاعلة ويقظة دائمة تدعو إلى التّوافق بين المادة والروح؛ حتى يُظْهِرَ المسجدُ الصوفيةَ بمعناها الحقيقي، بأخلاق الوسطية والاعتدال والتّسامح والانفتاح، وحُسْن التعايش؛ وذلك ما يُسهم في إيجاد روح حيوية ورؤية فاعلة تُصلح ولا تُفسد، وتُوحّد ولا تُفرّق، وتتحلّى بالعفاف والحياء وحبّ الخير والاحترام، والمحافظة على الذات الجسدية. ولهذا نروم تحقيق ثقافة السّلم الإيجابيّ التي تتربّى وتنمو، ولها أسس قاعدية، فعلينا أن ننشدها بالتزامات الأسرة باعتبارها النواة للمجتمع ومنوط بها التّربية والحصانة وتحقيق الأمن العقَدي، بعد تحقيق الأمن الاقتصادي، ومن ثمّ غرس الأمان في عمومه. وننتقل إلى دور المدرسة ودورها في ترسيخ القيم الأخلاقية، ودورها الكبير في العمل على التّربية الرّوحيّة بالتأكيد على الأمن التربوي، وهو مجلبة السِّلم الفرديّ والاجتماعيّ. وننتقل إلى دور المسجد ونروم منه رفع سقف الخطاب إلى مستوى الوعي في موضوعات ذات العلاقة بالمسلمات الأخلاقية والآداب والتّربية وعدم

ترويع الآخر، وتنزيل الآيات والأحاديث منزلة نقول المتصوّفة الزّهاد في الترغيب والتدبّر لتحقيق السّلم في أعلى حدوده ونتعامل مع :﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)﴾ النور 55. وقوله ﷺ (لا يحلّ لمسلم أن يروع مسلما) / (من نظر إلى أخيه نظرةً يخيفه بها أخافه الله يوم القيامة)/ (من حمل علينا السّلاح فليس منّا)/ (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه، ولا يحقره التّقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشّر أن يحقر أخاه المسلم، كلّ المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه). بشروح فِقْه الواقع.

ولا بدّ لي من التّأكيد على دور المؤسّستين لما لهما من دور التّثقيف والتّهذيب والتّوجيه وحفظ الأمن ودورهما في السّلم الاجتماعي. ويا حبّذا أن يقع التّركيز على ترسيخ القيم والمثل العُليا التي يؤمن بها الناس، ويتّفقون في ما بينهم ويتخذون منها ميزانا يزنون بها أعمالهم ويحكمون بها على تصرّفاتهم المادية والمعنوية. وهنا دور المعلّم/ الإمام/ المرشدة بما يجب أن يقوموا به من حمْلات توعية في قضايا غرْس مفاهيم القصص القرآني+ السيرة النبويّة+ قيَم الأخلاق+ القيَم العقلية+ القيَم الاجتماعيَة+ القيم الجسمانيّة+ القيَم الجماليّة، وما يتبع ذلك من ضرب الأمثال والوعظ والقدوة وأسلوب الشورى، والأمر بالمعروف، والتّشجيع على العادات الحسنة، وأسلوب حلّ الخلافات البينيّة...

ــ **العمل المشترك:** هي ورشة يجب أن نفتحها للقيام بواجباتنا تجاه ما نعيله أو ما نعلّمه أو من نلقي عليه خطبَنا ووعظَنا هو عمل مشترك نُسهم فيه جميعاً في غرس القيم التي أوصانا بها ديننا وعرفنا وتقاليدنا وثقافتنا العربيّة، وهي مكمّلات بعضها البعض، تسهم كلّها في صدّ البلاوي التي تحدق بمجتمعنا، وبما نراه من عنف في ملاعبنا، وما نسمعه من بعض تصرفات المراهقين تجاه بعضهم البعض

بالمعاملات اللاإنسانية، وكلّها تحمّلنا المسؤولية المشتركة، ولذا علينا العمل المشترك لردْم هذه الفجوات المُخلّة بتربيتنا وبثقافتنا. وكان علينا العمل بثقافة الاعتدال والوسطية في كلّ معاملاتنا وتصرّفاتنا لنكون مرجعيات يُستهدى بها. وعلى العموم تتكامل المؤسّسات والأفراد لأخلقة المجتمع وِفْق تصوّر دينيّ ومدنيّ يرتضيه قانون الجمهوريّة، وهو التّربية على القيَم والأخلاق والاتّجاهات والتّنشئة الصالحة التي تخلق المواطن الصالح الخادم لنفسه ومواطنه ووطنه.

ــ **خاتمة:** إخواني، إنّ ما قدّمته بضع كلمات موجزة، فالكلمة تعود للمختصّين الذين نروم أن يعملوا بما أوتوا من حكمة وعلم وتبصّر أن ينيروا عقولنا وعقول شبابنا بمخاطر فكّ العروة الوثقى التي بناها السّلف الصالح، وحافظنا عليها ونريد مواصلة إسمنتها وبالحديد، في درب المسيرة والتّشييد لدولتنا المَجيدة، وليس هذا بماء البحر الذي لا يُشرب، بل هي وصفات يمكن أن تكون، وتحتاج إلى تفعيل عبر مداخلاتكم، لتمكين شبابنا من تربية روحية متينة، وبناء ثقافة سلمية هادئة. كما نريد تكثيف أمثال هذه اللقاءات، والخروج بتوصيات قابلة للتّحقيق والعمل على تقديم مشاريع تحدّ من مختلف الآفات، والوقوف جميعاً لمعالجة آفة **الحرقة** وما يتبعها من رمي النّفس في البالون المنتفخ؛ الذي لا يوصِل إلى بلاد الجنّ والملائكة. وعلينا العملَ لتوقيف هذا النّزيف؛ كلّ في مكانه، ومن خلال مقترحاته ومن الإبداع في الحلول النوعيّة.

والسّلام عليكم ورحمة الله.

النصّ الادبيّ الجزائريّ وسؤال الكتابة♥

ــ ديباجة: ماذا عساني أقول في هذا اليوم الذي نكون في مدينة خميس مليانة هذه المدينة الساحرة والتي تطلّ عليها مليانة المحروسة. مدينة أفروفيل كما يطلق عليها الفرنسيون تحريفاتهم. مدينة التاريخ: من العهد الفينيقي إلى الوندالي. وعاشت الازدهار في العهد الإسلامي؛ بملوك صنهاجة وبولوغين بن زيري الذي بناها واتّخذها عاصمة سياسيّة لأجزاء واسعة من بلاد المغرب العربي وخلال هذه الفترة ازدهرت العديد من القطاعات الاقتصاديّة. مدينة مليانة العالمة بما تزخر به من كتاتيب ومساجد ومدارس عامرة بالزوايا، وبالمصلحين والثائرين ضد المحتلّ الفرنسي. مدينة مليانة المقاومة واستطاعت أن تخرج منتصرة من كلّ الأزمات التي عاشتها؛ بفضل رجالها ونسائها ومخلصيها. وها هي تتألّق اليوم بجامعتها الشّابة التي تخرج إطارات الدولة الجزائرية في كلّ التخصصات، فأَنْعِمْ بهم من رجال مُصلحين، وأولياء صالحين وأساتذة مُبجّلين، وطلاب علم مُفلحين.

ــ النصّ الأدبيّ الجزائريّ وسؤال الكتابة: منذ أن دخل الاستعمار إلى الجزائر والنصّ الجزائريّ في معركة صراع ومقاومة من أجل البقاء فقد جسّد –عبر مراحل المُقاومة والحركة الوطنية، ثم خلال ثورة التحرير–أداة للنضال بالكلمة وإعلاء صوت الحقّ في الحياة، وكان أيضاً فضاءً قرأنا من خلاله التّحوّلات الاجتماعيّة وانصهار الثوابت والقيَم العُليا، في هُوية جامعةٍ، حافظت على الشّخصيّة الوطنية.

وفي سياقات فرضتها مرحلة الاستقلال الوطني، انخرط النصّ الجزائريّ في المشروع المجتمعيّ التحديثيّ، وجسّد الكُتاب والروائيّون والشّعراء، طموحات

♥– كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة في الملتقى الوطني حول (النصّ الأدبي الجزائري وسؤال الكتابة) بجامعة خميس مليانة، يوم 9 أفريل 2018م.

جمالية واستشرافات مستقبليّة؛ لثورة البنـاء والتّشـييد، انعكسـت علـى أشـكال النّصوص ومضامينها...

لقد كان السؤال الاجتماعيّ مبتدأ الأسئلة في هذا الفصل الجديـد مـن الكـون الروائيّ وكانت تقوده رؤية فكرية وأسلوبيّة واقعية، كان هذا السؤال وقتها، طبيعياً وكانت دعائمه الأسلوبية منسجمة مع النّظام البلاغي الذي كانت تعيش عليه الرواية العربيّة في الوطن العربيّ، ومُنسجمةً مع المرحلـة الزمنيـة للكاتـب والمجتمـع ومنظومة الأفكار الثّقافيّة والسياسيّة في الربع الأخير من القرن العشرين. وكان هذا السؤال تأسيسياً لتجربة الكاتب باللغة العربيّة مثلما كان السُّؤال الاجتماعيّ تأسيسـياً في النصّ الجزائريّ ذي التّعبير الفرنسيّ، وكان كلّ سؤال آخر سواه قد يعدّ نشازا بالنظر الى سلطة الواقعي سياسياً وأدبياً آنئذ وانقياد الكتابة الأدبيّة بمختلف أشـكالها له. وكان أيضاً موضةً يُروّج لها الإعلام والمؤسّسات الثّقافيّة والنُّقاد ممـا ضـيّق على الكاتب حينها رؤيتَه وأفقَه المعرفيّ والجماليّ.

لم تستطع الكتابة ذات الطابع الاجتماعيّ المدعومة بنسق صلب من الـدوغمات من أن تحرّر نفسها من قيودها الإيديولوجيّة إلا ترميزاً، لكنّهـا مهّـدت للتّجـارب التالية، وارتبط السُّؤال الاجتماعيّ بالسُّؤال التاريخي، وبخاصّـة تـاريخ الثّـورة القريب جداً من الروائيين، فتمّ تصوير المصائر الفردية والجماعية وتحوّلاتها فـي مَسَار الثورة التّحريريّة، وواقع ما بعد الاستقلال.

في عشرية الفتنة، أو ما يسمّى بالعشرية السوداء، عكـس الـنصّ الجزائـريّ الوجود الضائع في ظلّ موجة العُنف، وشهدنا إعادة النظر في كلّ شـيء، حيـث عرفت الكتابة موجة من التّحوّلات السَّريعة التي وسمتها بالاستعجاليّة، على الرُّغم من أنّها أرّخت لأحداث العُنف وآثارها على الإنسان والمجتمع الجزائريّ. ولم يكن النقدُ ساعتها قادراً على متابعة هذه التحوّلات السَّريعة، والوقـوف علـى منطقهـا وتسمية أشكالها وإطلاق مصطلحات عليها، لأنّنا أصبحنا أمام كتابة منفلتة من كـلّ توصيف وتصنيف، وانخرط الكلّ في الكتابة من جميع أطياف المجتمـع ودخلـت

المرأة لتُسهم في التّعبير عن موقفها من العنف فشهدنا كماً هائلاً من النّصوص على الرغم من الجدل الكبير الذي أثير حول ما سميَ بالكتابة الاستعجالية التي لم تختلف عن التأريخ اليوميّ للأحداث في صفحات الجرائد ولكن توسّع الجدالُ ليصبح بمثابة المحاكمة للنصّ الذي لم يتأثّر بتلك الأحكام بل استمرَّ الكُتّاب الجزائريون يكتبون ليؤسّسوا لحركة جديدة تغيّرت فيها العادات القرائية، وفرضت منطقاً خاصّاً للتعامل معها.

وهكذا كانت أحداث التسعينيات بمثابة المحرّك المركزيّ انبثقت منه منظومة تمثيلية جديدة، قدّم فيها كلّ كاتب نموذجاً مختلفاً في تمثيل الواقع والوجود والعلاقة مع الذات والهُوية والآخر. وهكذا انخرط النصّ الجزائريّ في تفعيل كثير من الأسئلة الكبرى في تجربة الكتابة، كحوار الأديان، والتسامح والموقف من العولمة وإعادة قراءة الخطاب الدينيّ والموقف من التاريخ، ومفهوم القيَم، ونقد أساليب الهيمنة، والعنف الرمزيّ، وغيرها من الموضوعات التي أسْهَمَت في خلق توجُّهات جديدة في الكتابة وبخاصة مع الألفية الثالثة.

كان للتكنولوجيات الجديدة، وانفتاح المجتمع الجزائريّ على وسائل الاتّصال الجديدة ونشأة فضاءات أخرى كالشابكة دور في تغيير التّعاطي مع عملية الكتابة لنجد النصّ الجزائريّ ينسجم مع هذه المُعطيات الجديدة، فينخرط الكتَّابُ في فضاء التكنولوجيا، الأمر الذي سمح لهم بتجاوز الرقابة التقليديّة، ومنحتهم الحريةَ التي تتيحها هذه الوسائل في النشر الحرّ فرصة للتجريب، وتنوّعت النّصوص بتنوّع واختلاف كتابها، كما اختلفت مقاصدُهم، فشهدنا نصوصاً موجّهةً لقرّاء التواصل الاجتماعيّ، وانخرطت المرأة بقوّة في كتابة مُضادة للذكورة، قامت على مواجهة الأسرة والمجتمع الأبويّ، واتّجه بعض الكُتّاب إلى ما وراء الضفة؛ بحثاً عن قارئ إنسانيّ، وموضوعات تنفتح على فضاءات أرحب. كما حضر النصُّ الجزائريُّ في المحافل الدوليّة، وشارك كتّابنا في مسابقات دولية أخرجت النصّ الجزائريّ من

محلّيته وخطا خطوات ثابتة نحو العالميّة، ولذلك نشهد اليوم ما يشبه الثّــورة فــي الكتابة بمختلف اللغات والتوجّهات والموضوعات...

كانت اللغة العربيّة ولا تزال الشّرط الأساس للكتابة في الجزائر، لأنّها المنطلق الروحيّ الذي وحَّد الجزائريين منذ أن دخل الإسلامُ هذه الدِّيار، ولذلك يعدّ ازدهــار الكتابة باللغة العربيّة جزءاً من ازدهار هذه اللغة، ولذلك ينتظر من النصّ المكتوب بالعربيّة وبالمازيغيّة أن يكون شرطاً مُشتركاً لإنقاذ الهُوية الجزائريّــة، واســتعادة الذاكرة التي كانت الثّقافة الشّعبيّة المازيغيّة واللغة العربيّة إسمنتها الذي حــالَ دون العبور إلى هُوية مفروضة، وهجين لغويّ مقيت. وهكذا يكون الــنصّ الجزائــريّ اليوم بتنوّعه، وثرائه سيكون صمّامَ الأمان الوحيد في مواجهة أيّة محاولة تفــرض الهيمنةَ على الثّقافة والمجتمع الجزائريّ لأنّه استطاع أن يُرســيَ أُسُــس مؤسّســة الكتابة بكلّ معانيها العالميّة، ويكون النصّ الأدبيّ الجزائريّ خيرَ مُعبّر عن ســؤال الكتابة، لمن أكتب؟ ومن يقرأ ما أكتب؟ وكيف أكتب للمحليّة؟ وكيف أكــون خيــر معبّر في أفق العولمة؟

تلكم إخواني الحضور، الزميلات والزملاء البَحَثَة والطلبة ما ينتظره منكم هــذا الملتقى الذي نأمل أن تجيبوا عن أسئلة الحاضر لأسئلة الحاضر، وقياس الحاضــر على الحاضر وموجبات الماضي باحترام قواعد الماضي، في ظلّ رهانات الحاضر المتغيّر. ونسعد أن تكونوا من الباحثين الذين ينيرون درب استكمال فِعْــل الســلف وإنْ أحْسَنَ اللاحق، فإنّ الفضل للسابق، وهل تكونون مُجيبين مُضيفين لما يحتاجــه الإبداع الجزائريّ في ربطه بين المتن القديم وهو يعتب تحوّلات الــنصّ الجديــد. نصّ الأدب الرقميّ، نصّ المدوّنات الرقمية الجديدة ووسائل التواصل الاجتمــاعي وعالم الشابكة، نصّ الإبداع التفاعليّ، فهل نكون أو لا نكــون؟ وأتــرك كلامــي للتداول والتناول في ما هو من المُباح، وتردّون ما ليس من المُتاح، ونأمل الخيــرَ فيكم، وفي كلّ من يقوم على خدمة الوطن، **فأنْعِمْ بكم يا سَدَنَةَ الأدبِ الجزائريّ!**

اللّسانيّون العرب:
نحو تأصيل لنظريّة لسانيّة عربيّة♥

ــ **ديباجة:** إنّ من يتفحّص عنوان هذا الملتقى يفهم أنّ العربَ لا يملكون نظريّـــة لسانيّة ويتنادى العنوانُ لتأصيل نظرية عربية لسانيّة تقوم على أُسس الدّرس اللســـانيّ المعاصر؛ بمعنى الدّرس الغربيّ. وغير بعيد عـــن مرامـــي هـــذا الملتقـــى أرى أن يحرص الباحثون الذين اختاروا هذا العنوان لمثل هذا الملتقى تفادي النيّل من العربيّة أو الانتقاص من ثقافتها، بل العمل على إيجاد سبل تأصيل نظريـــة عربيـــة تُراعـــي الخصوصيات اللغوية، على غرار فِعْل الباحثين الغربيين الذين نظّروا لهذه المســـألة من أبعادها الكبرى، وهي استيطان النظريات اللّسانيّة ضمن الاجتهادات التي تراهـــا النّزعات/ المذاهب/ المدارس اللسانية، ولكنّها لا تخرج عن حـــدود المتّفـــق عليـــه: الشمول+ الوضوح والدقّة في الصياغة+ الاتّساق والمنطق+ البُعد الزمـــانيّ+ البُعـــد المكانيّ+ الإحاطة بالمُريد+ قبول التّكيّف. والجمع بين هذه الخصائص لا يكـــون إلاّ بعد تركيم البحث اللسانيّ وصولاً إلى تأصيل نظرية لسانيّة عربيّة.

ــ **مقدّمة:** ماذا نعني بهذا العنوان؟ اللسانيّون العرب: (نحو تأصيل لنظرية لسانية عربية) إنّ اللسانيّين العرب كُثُر، ولهم بحوثهم الجادّة في مجـــال اللســـانيات أو لهـــم اجتهاداتهم التي استطاعت فهم الدّرس اللسانيّ الغربي، والعمل على احتـــذاء بعـــض مناويله، بغية الوصول إلى بناء نظرية عربية بخصوصية فقه لغتها ومتونها القديمة، وإلاّ ماذا نقول في اجتهادات: إبراهيم أنيس+ ريمون طحّان+ عبد الـــرحمن أيُّـــوب+ تمّام حسان+ المسعدي+ محمود السّعران+ كمال بشر+ عبد السّلام المسدي+ أحمـــد مختار عمر+ نِهاد الموسى+ الفاسي الفهري+ أحمد المتوكّل+ أحمد محمد المعتوق+

♥ ــ أُلقيت المداخلة في الملتقى الوطني الثّاني في اللسانيات. كلية الآداب واللغات، قسم اللّغة العربية وآدابها في جامعة البشير الإبراهيمي، برج-بوعريرج، بتاريخ: 9-10 أفريل 2018م.

وليد أحمد العناتي+ هادي نَهْر+ محمد أحمد الضبيب+ منتصر أمين عبد الرحيم+ عزّ الدين البوشيخي+ رشيد العُبيدي+ حمزة بن قبلان المزيني+ محي الدين محسب+ منصور بن محمد الغامدي+ عبد العزيز بن عبد الله المهيوب+ أحمد روبي محمد بن عبد الرحمن+ صلاح راشد الناجم+ خولة طالب الإبراهيمي+ عبد الرزاق دوراري+ محمد الأوزاعي+ مرتضى جواد باقر+ محمد الحنّاش+ شكري المبخوت+ الطيّب البكوش+ مازن الوعر+ مبارك حنون+ أحمد العلوي+ المنصف عاشور+ هدى صلاح رشيد+ حسن خميس الملخ+ نادية العمري+ عبد الرحمن الحاج صالح+ مسعود صحراوي+ محمد غاليم+ خلود العموش+ عبد الجليل مرتاض+ أحمد حساني+ عبد الجبّار توّامة+ سعد مصلوح+ داود عبده+ أمحمد الملاّخ+ حافظ إسماعيلي علوي+ مصطفى غلفان+ ياسين بوراس+ نسيمة نابي+ محمد عرباوي...

هي قائمة اسمية مصغّرة من كثير من الباحثين الذين يعملون في إطار الجمع للركام المعرفيّ اللسانيّ بالعربيّة، وفي ذات العربيّة، وفي ذلك الركام لا نعدم الإبداع اللغويّ المُصاحب. ولهذا أقول: هناك إنتاج لسانيّ يمكن أن ننتقد بعضاً منه، أو يمكن أن نصفه بالعقم والعدمية وتسويد الورق، فمن السهل أن ننتقد تلك الاجتهادات، ولكن من الصّعب أن نقدّم الحلول والإجراءات اللسانية العاملة على الإضافة. ومع ذلك نقرّ بأنّ هؤلاء الباحثين أدرك بعضُهم الأبعادَ النظريةَ الهامّة لدراسة اللّغة العربيّة من منظور النظريات اللّسانيّة المعاصرة، فجاءت أعمالهم أكثر مردودية؛ سواء بالنسبة إلى الدّرس اللّسانيّ العامّ أم الدّرس اللّسانيّ الخاصّ، بل إنّ بعضها تجاوزت حدود الثّقافة المحليّة، وأسهمت في تنمية المنظورين معا وتطويرهما. ولذا نشجّع في هذه المرحلة كلّ منتوج يدخل في باب اللسانيات، وهو يخوض كلّ مجالات المعرفة، وندعو إلى مزيد من هذا الرّكام الذي يفرز النّوع. ولا بدّ من التفتّح على اللسانيات الغربية؛ باعتبار السّبق الذي عُرفت به، بل أفادت الدّرسَ العربيّ في بعض أبعاده، وبخاصّة النظريّة البنويّة. ولا نبخس بضاعةَ الباحثين، كما نثمّن منتوج المحترفين المؤسّسين بقاعدة إنْ أضاف اللاحق، فإنّ الفضل للسّابق، وتلك سمّة الحضارة.

وأما مصطلح اللسانيات العربيّة لا يبعد عن اللسانيات الغربيّة، أو اللسانيات بصفّة عامّة ولكن يبدو لي أنّ العنوان/ الموضوع أُريد له أن يُقدّم تنظيراً أولياً للتّراث المعرفيّ العربيّ الإسلاميّ بربطه بالمُنجز اللّسانيّ الحديث، عبر توصيف آليات تلقّي الخطاب اللّسانيّ العربيّ في السياق العربيّ الراهن بعيداً عن الانجذابات اللغوية أو النّظريات الغربيّة التي لا تتوخّى مُراعاة الخصوصيات اللغويّة خارج أُرومتها اللّسانيّة، وتريد تنميط اللغات وفق أرضياتها الخاصّة، عبر العِلمانية الشّاملة التي لا تترك مكاناً للهُويات اللغوية الخاصّة. فهي هوية قاتلة تسعى للأحادية اللّسانيّة، وللأحادية النّظريّة.

ولقد شهد العالم العربيّ الإشادات بمُنجزات السلوكيّة والتّوزيعيّة والنظرية البنويّة، ومن ثمّ الوظيفيّة، وأهاب الباحثون العرب بإسقاطات كبيرة بمُنجزات دوسور وتشومسكي اللذين كانا فاتحة شهيّة الكثير من الأبحاث اللّسانيّة العربيّة وأجريت الدراسات التقابلية التي مسّت تلك المقولات ذات العلاقة ببعض الخصوصيات التي تتعلّق بالسميائيات والتداوليات وبمشجّرات اللّغة العربيّة في المحللات النّحوية، وفي الخوارزميات الصّرفية. وفي كلّ ذلك كنّا مستلبين آخذين أو مترجمين حَرْفيين، دون العودة إلى مُنجز السّلف في العلوم اللغوية والبلاغية وأرسينا سُفُنَ بحوثنا في مباحث المقابلات اللسانية الغربيّة وفي حدود التّقاطع والافتراق. والحصيلة تنامي البحوث العربيّة، ولكن بصورة غير حاملة للخصوصيات اللغويّة في كامل أصول فقه اللّغة، ولا لحدود الأصول النّحوية. وكم غيّبنا من مباحث كان يجب أن تعالج من مثل: لسانيات المتن القديم+ لسانيات البلاغة+ اللسانيات الحاسوبية+ تعليم وتعلّم اللغات+ هندسة اللغات+ البرمجيات اللغوية+ التّخطيط اللغويّ...

إخواني، إنّ هذا الموضوع يبدو ثقيلاً على جامعة حديثة، وكيف تجعله محطّ تنظير، ولكن من المُمكن أن يكون مَحطّة اقتراح أفكار من خِبْرات من كلّ الجامعات الوطنية، ومن خارج الجامعات الوطنية، على أساس أنّ البحث بصورة

عامّة ليس له بلد قارّ، وليس له مدرسة او مذهب أو نزعة أو مدرسة، بل يمكن البحث في الماضي والمستجد، ويعود إلى الاجتهاد. وإنّ ليس من الصعوبة بمكان إذا تضافرت جهود المخابر المختصّة، مع تركيم البحوث في المجال اللّسانيّ مع العمل على ترتيب أسس تمهيديّة لنظريّة لسانيّة عربيّة، سوف نصل إلى إنتاج أفكار حديثة، نرفعها إلى المختصّين في اللّسانيّة العربيّة، مع:

ـ الالتفاف حول المرجعيّة الواعيّة بعلم أصول النّحو وأصول الفقه، وفقه الحداثة؛

ـ الانطلاق من المفاتيح الإجرائيّة الإبستيمولوجيّة؛

ـ الوعي بأبجديات البحث اللّسانيّ الحديث وقضاياه وأسئلته؛

ـ استيعاب المُنْجَز اللّسانيّ: التّنظير+ التّطبيق عند المشارقة والمغاربة؛

ـ الوعي بأسس الدّرس اللغويّ والبحث الفلسفيّ

ـ الوعي بعلم الكلام وفِكر المُعتزلة والأشاعرة؛

ـ تكوين مُريدين من الشّباب البحَثَة الطلائعيّين؛

ـ حمل المشاريع اللّسانيّة على الآماد الثلاث.

ـ **أولاً: عدم الانطلاق من العَدَم:** لا نبدأ في كلّ مرّة من العَدَم، يجب أن ننطلق من الأبحاث السّابقة، ونكمل أعمالنا البحثية في إطار مواصلة الجهود وتحسينها وتقويمها، قبل أن نسأل هل نملك نظرية لسانية عربية؟ بالفعل يمكن القول بأنّنا نملك نزعات ومذاهب واجتهادات، ظهرت على شكل إرهاصات؛ تمثّلت في ثلّة من الباحثين السّاعين لوضع/ لتأسيس نظرية لسانية للّغة العربيّة بما لها من توجّهات تأثيرية بين:

ـ توجّه غربي بحت؛

ـ توجّه أصيل بحت؛

ـ توجّه مزيج.

وتحدّدت معالم هذه الاجتهادات في أصالة البحث للتأسيس للنظريّة اللّسانيّة العربيّة، ولها:

ـ صفات الشّمول؛

ـ البُعد المكانيّ؛

ـ التكيّف.

وفي ذات الوقت نجد بعضها يخلو من: **البُعد الزمانيّ+ الاتّساق+ المُريد.**

ـ **ثانياً: التّعامل مع اللسانيات بمنطق العِلميّة:** إنّ التّعامل مع اللسانيات العامّة يتطلّب منا توضيح عِلْمية اللسانيات، وتبسيط المنطلقات النظريّة والمنهجيّة في اللسانيات العامّة. ونجيب عن أسئلة كلّ نشاط تحليليّ أو صَوْرَنِيّ، وكيف يمكن تمثيل ذلك في النّشاط اللّسانيّ العامّ؛ باعتبار اللسانيات علم اللّغة. ومن الطبيعيّ أنّ أيَّ بحثٍ علميٍّ يقتضي أرضية نظريّة وفكريّة ينطلق منها ويفسّر في ضوئها العملَ اللّسانيّ، سواء في صورته العربيّة، أم في صورته العامّة. وتمثيلاً لهذا الالتباس في فهْم الأبعادِ النظريّة والمنهجيّة للسانيات العامّة، نشير للخلط المفهوميّ الذي تكشف عنه كثير من الكتابات اللّسانيّة العربيّة الحديثة في ما يتعلّق بتحديد أبسط المفاهيم الأوليّة والجوهريّة مثل علم اللّغة/ فقه اللّغة/ النّحو/ علم الأصول/ المتن اللغويّ/ الفيلولوجيا... وبطبيعة الحال نسأل هل استوعب الدّرس اللّسانيّ العربيّ الحديث مقوّمات البحث العلميّ الصحيح وأساسيات الخطاب العلميّ السليم؟ وإلى أيّ حدّ يستحضر الدّرس اللّسانيّ العربيّ الحديث هذه المعطيات النظريّة والمنهجيّة في تعامله مع اللّغة العربيّة من منظور لسانيّ؟ ولماذا أغفلنا النّظر من الزاوية العامّة للسانيات باعتبارها تحمل نظرية ذات طابع علميّ، مثلها مثل كلّ العلوم وكذلك لم نهتمّ بزاوية الخُصوصيّة اللغويّة للّغة العربيّة، وما لها من مَبادئ وخَيارات تختلف عن اللغات الغربية التي كان لها سبق إنتاج هذه النظريات. هي إشكاليّة البحث المتواصل الذي يمرّ عبر النّماذج المتعدّدة في أوربا وفي أمريكا وهذا يحرّك ضمناً صراعاً حضارياً لا يمكن إغفالُه. وفي ذات الوقت لا ننكر أنّنا

نملك ما يمكن تجاوزه باعتماد المنهج الأصيل/ المحليّة الذي أثبت صـلاحَه عبر القرون. وهذا مبدأ جيّد، ولكن بتحفّظ كبير ويمكن أن نقول: سيأتي زمـانٌ نحكم على تراثنا بالإعدام؛ لعدم اختلاطه بالغير ولأنّه لا يمكن تحصيل الدّرس اللّسانيّ من تراثنا وَحْدَه.

ــ **ثالثاً: الإقرار بالمُعطى الجديد للسانيات:** لقد برزت اللسانيات كمُعطى جديد في الفكر الإنسانيّ الحديث، وهو ما لا يعني مطلقاً أنّ البحث في اللّغة بحث جديد. ورغم أنّ لفظة لسانيات Linguistique حديثة العهد، ونشأت مع الغربيين: بوب سنة 1816، سوسور سنة 1916 تروبتسكوي سنة 1926، هاريس ثمّ طالبه الفذّ تشومسكي سنة 1956 فكان الفكر اللّسانيّ المُعاصر شاملاً ويحمل الأدواتِ الإجرائيةَ، ومتفتّحاً على معارف أخرى من منطق ورياضيات وعلم النّفس وطبّ وإعلام آلي وتواصل وهندسة... ولهذا استطاعت اللسانيات أن تفرض نفسها في إطار العلوم الإنسانيّة كنظريّة ومنهج، لما تحمله من: وضوح+ دقّة+ تقنيات. وكان فِعْلُ الغربيين مُتمثلاً في: وضع المبادئ العامّة، واستخراج نتائج منطقية من تلك المبادئ، واستنباط حقائق منها، والتّدقيق العلميّ لتلك الحقائق. ولهذا عُرفت اللسانياتُ عندهم بأنّها علمٌ تجريبيٌّ يتّبع الأسلوب العلميّ ويسعى للكشف عن القوانين الضّابطة لما للعلوم التّجريبيّة من دلالة الضّبط، والقياس، والمراقبة والمواجهة. ولم تبقَ في الأفكار الفلسفيّة العقيمة المُتعلّقة بأصل اللغات ونشأتها كما هي عند العرب الذين لم يَخرُجوا من مفهوم القراءة الكلّية للتّراث، وهي: **ما تَـركَ الأوّلُ للآخرِ شيئاً.**

ــ **رابعاً: البدء بوضع أُسُس البحث اللّسانيّ:** تجمع الدراسات الإبستيمولوجيّة الحديثة على أنّ البحث العلميّ يمرّ عبر أربع مراحل هي:

أولاً: ملاحظة وتسجيل جميع الوقائع.

ثانياً: تحليل وتصنيف هذه الوقائع.

ثالثاً: استخراج المبادئ العامّة عن طريق استقراء هذه الوقائع.

رابعاً: المراقبة التّكميليّة لهذه المبادئ.

وهي مستلزمات يمرّ بها التركيم المعرفيّ لأيّ علم، وهذا بدأ يظهر في فكرنا اللغويّ، بل يعيش الطّفح في بعض العلوم الحديثة، ولهذا نشجّع البحوث المكتبيّة والميدانيّة في هذا المجال وصولاً إلى صنادق التّصنيفات، أو هندسة التّبويبات أو عِملية التّشجيرات، أو عملية الحسابات والأخذ بالأفضل من العموميات، والفرز في الخُصوصيات.

ـ خامساً: أسئلة اللسانيات العربيّة: إنّ مقتضى حال البحث اللّسانيّ في اللّغة العربيّة عن تأصيل نظريّة عربية تُعالج القضايا الكبرى للعربيّة في ذاتها، والبحث عن المنهج المُلائم ليتناول الظواهر اللّسانيّة التي يطرحها نظامُ العربيّة، بتوظيف المنهج التأليفيّ الذي لا يفرّق بين النّظريّة والتّطبيق؛ وصولاً إلى العِلْميّة اللّسانيّة وهذه هي النقيصة الكبيرة في الدّرس اللّسانيّ العربيّ فما هي الوَصْفة الشّاملة للعلاج؟ وما يجب أن نُدركَه بأنّ اللسانيات وَفِدَتْ إلينا من الغرب، وهي تتطلّي على الجانب العلميّ، ولكن لها بعض العَثَرَات في الفكر العربيّ، وكيف لنا تقديم أشكال إضافيّة لتجاوز علاقة الثّقافة العربيّة بالثّقافة الغربيّة، فهناك أشكال غربيّة لا تنطبق على العربيّة ولذا من الضروريّ الابتعاد عن تلك الإسقاطات الجبرية للنظريّة الغربيّة بصورة اعتباطيّة مُكْرِهة على العربيّة بما لها من خصائص لا تتوافق في بعض المنطق اللغويّ، رغم أنّ منطق اللغات الطبيعيّة مُتقارب.

وفي المحصّلة إنّ بعضاً من القضايا التي تطرحها النظريّة اللّسانيّة العامّة لا تنطبق بالضرورة على اللّغة العربيّة. "بيد أنّه يتعيّن علينا البحث عن منهج علميّ في إطار نظرية العِلْم وينبغي أن نُشير إلى أنّ التّطابق بين النّظرية والتّجربة ليس لازماً، كما يطالب بذلك كثير من اللغويين العرب الذين لا نجد مُبرراً نظرياً أو منهجياً لهذا الزعم". ولهذا، فإنّ موضوع هذا الملتقى يطرح أسئلة اللّغة في حدود ما يمكن أن يُجيب عن أسئلة الحاضر، وقياس الحاضر على الحاضر بل يمكن قياس الحاضر على الماضي إذا كان من منبع الدراسات القديمة، وبمنهج

تاريخيّ سانكرونيّ. فما معنى تأصيل نظرية ما؟ وما أبعاد عملية التأصيل منهجياً ونظرياً؟ وهل هناك ما يُبرّرها إبستيمولوجياً؟ وما معنى أن نقولَ عن علم اللّغة بأنّه تفكير نابعٌ من واقع اللغات الغربيّة، وليس من واقع اللّغة العربيّة؟ تلكم أسئلة هذا الملتقى؛ والملتقى يبحث عن إرهاصات النظريّة اللّسانيّة العربيّة التي ننتظر أن تعمل على تحقيق نظريّة لسانيّة عربية متوافقة مع النظريات اللسانية العامّة، وهذا أمر طبيعي ولكن بمراعاة ما هو من الخصوصية اللغوية. وهذا الأمر يمكن تحقيقه بما يلي: مواصلة التّركيم الإنتاجيّ اللّسانيّ+ اعتماد الدرس اللّسانيّ الغربيّ في البنيات القاعديّة+ تمثّل أصول الدّرس اللغويّ العربيّ في مُتونه ومَنتوجه ومَدارسه+ اعتماد مَرجعيّة لسانيّة (مَشْيَخَة) وما يُحيط بها من مُريدين+ تكثيف أمثال هذه اللقاءات+ العمل في شكّل مجموعات/ فِرَق/ مَخابر+ التّقويم والتقييم.

وإنّ ما نطمح إليه في هذه المرحلة من مخاض البحث عن نظريّة لسانيّة عربية هو السّمو بالبحث اللّسانيّ إلى مستوى مُمَنْهج ومُواكب لتطوّر اللسانيات العامّة بدلاً من الإبقاء عليه في طور التأمّل الشّخصيّ المبنيّ على التّعصّب الفكريّ أو التّجاهل للمبادئ الأساس في البحث العلميّ الحديث. ويجب أن نتفاءل بأنّنا وضعنا المبادئ الكبرى من خلال التّركيم الإنتاجيّ الأوليّ من خلال تلك الفئات البحثية التي أعلت الصروح اللّسانيّة، ومهّدت الطريق لظهور إرهاصات لسانيّة للباحثين العرب، ووفق قواعد معرفيّة تستخدم فيها سُلطة العلم في الاكتشاف والتّجديد والتّطوير، مع النزوع إلى ابتكار أنجع الوسائل النظريّة والاستدلاليّة لمعالجة القضايا اللّسانيّة.

ولا نعدم أنّ المستقبل في مجال البحث اللّسانيّ سوف يصل إلى المجمع عليه في اللسانيات وفق ما هو من الطبيعة اللغوية للغات في ضوء ما لها من المُجمع عليه، وكذلك وفق بعض الخصوصيات التي يقع فيها الاستثناء في خاصيّة لسانيّة ليست عامّة.

انفتاح الجامعة♥

ـــ **ديباجة:** ليس من السّهولة أن نتحدّث الآن عن انفتاح الجامعـــة علـــى محيطهـــا الخارجيّ وما ينتظرها من رهانات لكسب الانفتاح الذي تنفعل به ومن خلالها للعـــيش التّكامليّ، ولولا المحيطُ لما كانت الجامعة، وإذا لم تكن الجامعة تعمل مع محيطها لمـــا أُطلق عليها مصطلح الجامعة الذي يجمع الفئات والمؤسّســـات، بقـــدر مـــا نقـــول: إنّ الجامعات في العالم فرضت عليها وسائل التّواصل الاجتماعيّ أن تندمج مـــع مُحيطهـــا وتتفاعل معها لتكونَ مُؤسّسة يُطلب ودُّها، وإلاّ سوف يغزوها الآخر، ويضمّها ويعمـــل على تسييرها. وما نُشاهده من فُتوحات في الشّابكة وما تُديره الآلةُ من تنـــافس، ومـــا تقترحه الجامعات المَفتوحة دون أبواب ودون مقاعد الدراسة؛ تجعلنا ننتبه إلـــى تغيّيـــر في منهجيّة التّعامل مع المحيط، بل على الجامعة أن تكون مُستعدّة للتنـــافس لتضـــمن البقاءَ وديمومةَ التواصلِ، كي لا يحكم عليها الزمانُ بضرورة غلقها إذا لـــم تكـــن فـــي مستوى خدمة مجتمعها، وهذه إحدى المُتغيّرات المُعاصرة، إن لم نقل إنّها الرّهان الذي يجب أن تلعبه الجامعاتُ الوطنيّةُ والجامعاتُ العربيّة من أجل البقاء.

ـــ **مقدّمة:** تعتبر الجامعات فسائل من النباتات المثمرة التي تحتاج إلى محيط تتوفّر فيه عوامل الإنبات التي تمكّنها من النّمو والازدهار والإثمار، وتلـــك الأرضـــيّة هـــي المجتمع. وكلّ جامعة متميّزة تنطلق من البيئة والمحيط التي تتفاعل معها وتتعاطى مـــع مشكلاتها وتعالج قضاياها وتمدّها بما يحتاج من العقول والكفاءات والأطروحات التـــي يحتاج إليها. كما أنّ الجامعة تحتاج إلى بناء علاقات قويّة وشـــراكات مُســـتمرّة مـــع مُؤسّسات المُجتمع؛ بهدف خلق نوع من الشّراكات المُثمرة المُحقّقة للأهـــداف محليّـــة كانت أم جهويّة أم عالميّة.

♥- أعدّت المداخلة للملتقى الدّوليّ حول: الجامعة وانفتاحها على المحيط الخارجي: الانتظـــارات والرّهانات. جامعة ڤالمة 29-30 أفريل 2018م.

تعدّ الجامعةُ العمودَ الأساسَ لتكوين النّخب الوطنية، لما لها من أثرٍ من المُحيط وتأثير على المُحيط، وهي رابطة عضوة وفاعلة مؤثّرة ومتأثّرة بما يحيط بها، ولها صورة القيادة الجمعيّة بما لها من مُؤطّرين وبَحَثَة ومخابر وطاقات بشرية خلاّقة حيث تعرف تفاعلاتِ المُحيط وتترجم فعاليات المشاريع في استراتيجيات وطنيّة وعالميّة، ولها قوّة اقتراح وهيبة التّخطيط؛ باعتبارها مؤسّسة اقتراح أفكار، وتقديم مشاريع، ومشتلة النُّخب. ومن هنا، فإنّ الأمرَ المُسلّمَ به أنّ الجامعة القاطرة من الضّروري أن تُفيد من مُحيطها وتتفاعل معه في انفتاح على **العرض والطلب**، وعلى التّخصّص الذي يفيد استراتيجيّة الوطن ومشاريع الحكومات بما لها من تخطيط لدولة لا تزول بزوال الرجال؛ بمعنى أن تكون تخطيطاتُها على الآماد الثلاث، وهذا في ما تعدّه من أطر سوف تكون مسيّرة وعالمة ومديرة للشّأن العام. وفيها تعمل الجامعةُ على العيش ضمن عضوية المجتمع في كلّ ما يمكن أن يكون عليه الوضْع آنياً أو زمانياً، وتلك سمّة العُضوية للجامعة، وإلاّ فهي خارج السِّرب.

وبذا نقول: تعتبر العلاقةُ مع المحيط الاقتصاديّ والاجتماعيّ ومع المِهنيين مساراً أساسياً وحتمياً بالنّسبة إلى الجامعة؛ تحقيقاً للأهداف العلميّة والبيداغوجيّة والثقافيّة لمنظريها، وإنّ الشّراكة مع المؤسّسات الاقتصاديّة تهدف إلى تسهيل عملية إدماج خريجي الجامعة وانخراطهم في الدورة التّنموية للبلاد؛ باعتبار أنّ هذه المؤسّسات الاقتصاديّة تمثّل فرصاً طبيعيّة للتّشغيل ومتابعة المُكوّنين والمُتكوّنين، والمُشاركة في المُناقشات الوطنيّة، وإعداد برامج جديدة في كلّ زمان وبحسب طبيعة المكان.

ـ **دور الجامعة بالنّسبة للمحيط:** يتعلّق دورها في أنّها تعمل على سدّ النقائص التي تظهر في عمليات الاقتراح، وهذا طريق الرصد العامّ لمجريات الأحداث ومنها تستخلص الأفكار التي تُقْتَرَح على صاحب القرار، وهذا من خلال جمع ونشر البيانات+ اقتراح المبادرات+ إقامة النّدوات+ معالجة سياق التّطوّرات+ تشجيع على بعث المؤسّسات+ تثمين ثقافة المبادرات+ اقتراح الصِّيَغ الإيجابيّة للتعاون+ التّشارك بين الجامعة وباقي الفاعلين... وهذا كلّه يدخل في باب التّكامل والانسجام بين مختلف

التّكوينات العلمية بالجامعة والواقع المجتمعيّ. ونروم من الجامعة أن تكون لهــا صــفةُ المركزية العلميّة في إنتاج الأفكار لبناء الدولة العصرية والمتعلّمة والقائمة على الفكــر المتطوّر الجديد، وعلــى المــشاركة المجتمعيّة في إطار الإيمان المُتزايد بأنّ التّنميّــة البشريّة هي إحدى الدعائم الرئيــسة للتنميــّة الــشّاملة بأبعادها السياسيّة والاقتصــاديّة والاجتماعيّة، وهو ما يتيح مزيداً من الاندماج، ويعــزّز عمليــة الانفتــاح الجــامعيّ المجتمعيّ.

ــ **الجامعة وإشكالية العلاقة مع المحيط:** كما قلنا، إنّ الجامعة حقلٌ أساسُ في إنتاج الرأسمال المَعرفيّ للمجتمعــات، وهــي البنيــة الأساســية والمُهمّــة فــي أيّ نســق مُجتمعيّ كان، نظراً للدور المَنــوط بهــا كفاعــل ينــتج شــروط التّحــوّل والتّغيّــر المعرفيّ والسّلوكيّ والقيميّ والماديّ والمجتمعيّ بصفة عامّة غير أنّه يمكن للجامعة أن تُؤثّر ايجابياً كما تُؤثّر سلباً، وهو ما يعكس جزءاً هاماً من واقع هذه المؤسّسة الجامعــة كمؤسّسة تعرف الأزمات والخلل بين المحيط وواقعها البعيد عــن المجتمــع. وبــذلك تطرح إشكاليّة التفكّك الداخلي الذي يؤدّي إلى النّخر المُجتمعيّ بأنّ مُؤسّساته لا تخدمــه فما الفائدة من مؤسّسة تتغذّى من ضريبة المواطن ولا تخدمه؟ تلكــم إشــكاليّة وعلــى المُختصّين أن يقدّموا الحلول الإجرائيّة التي تجعل الجامعةَ عُضوةً في مجتمعها، ومــن هنا، نحتاج إلى مُقاربات ضمن حيثيات عدم حدوث التأزّم بين المُحــيط بالجامعــة، أو قطيعة بين مؤسّسة تنتج الفكر، ومُؤسّسات تعمل على تجسيد مَنتــوج الفكــر. ولهــذا إخواني العلماء والباحثون يدفعنا واقعُ الحال أن نقاربَ البحثَ العلميّ في بنيــة وعــي الجامعة بمُحيطها وإمكانات تأثيرها في صناعة وتنمية النُّظم المُحيطة بهــا، وتغييرهــا نحو الأحسن وهذا يكون عبر تقديم وَصْفات عدم حدوث الأزمات، مع إمكانيّــة تقــديم الأنماط المُمكنة في العلاقة الإيجابيّة بين الجامعة وحاجيات محيطها المجتمعــيّ ببناهــا المختلفة.

ــ **الجامعة الجزائريّة ومُتغيّرات الرّاهن:** بنظرة عددية يمكن القول بــأنّ الجامعــة الجزائرية عرفت نقلةً نوعيّةً من حيث الهياكلُ القاعدية، 120 مؤسّسة جامعية+ مركز

جامعي+ ملحقات+ مدارس عليا، ومليون وسبعمئة (1700000) طالب وسبعون ألف (70000) أستاذ، ومجانية التّعليم ومنح وسكن وأكل... لا شكّ أنّ الاستثمار الوطنيّ في قطاع التّعليم العاليّ عظيم جداً ولم يتحقّق كلّ هذا إلاّ عن طريق تلك التّطلّعات والتّأثير الايجابيّ للجامعة الجزائريّة في محيطها عبر تطوير التّعليم بعمومه. ولم يكن يأتي إلاّ في علاقة نسقية صنعت التّقدّم والإبداع وهذه دلالة التّلقّي والتّأثير، عبر سنوات الاستقلال، وفي خضم معالجة هيكلة الاقتصاد ومعالجة التّحدّيات الجديدة التي أدّت بسياسة البلد إلى مواكبة التّغيّرات المحيطة. وهذا ما عرفته الجامعة عبر مراحلها التّاريخيّة: إصلاح التّعليم العاليّ سنة 1971+ ديمقراطية التعليم+ تعميم المدرسة الأساسيّة+ إصلاحات التّسعينيات+ جزأرة الإطارات والمناهج والبرامج+ طغيان الكمّ+ إصلاح منظومة التّربيّة والتّعليم 2003-2004+ الإصلاحات القطاعيّة للمؤسّسات المُلحقة+ استمراريّة الدولة في المجانيّة التّعليميّة... ومع ما يمكن أن نقول بأنّ الاستثمار في البشر كان العمودَ الفقريَّ في كلّ معالم الإصلاحات، فإنّنا من حين لآخر نشهد بعض الهزّات في المستوى العلميّ والتّصنيفات الضعيفة لجامعاتنا. وعموماً إنّ ما يُعاب على الاصلاحات أنّها "كانت مرحليّة ولم تكن بالمستوى الذي كان مَطلوباً، حيث أصبحت الجامعةُ تسيّر فقط الأعداد الضّخمة للطلبة المُلتحقين بها وتستجيب للمشاكل الظرفيّة بدون تفكير في وضع سياسة جامعيّة موضوعيّة وبعيدة المدى". وهذا ما يكشف لنا أنّ مواجهة الهزّات الارتداديّة يجب أن تبقى قائمة بدل حرْق المراحل التي لا تؤتى أكلها. فلا بدّ من انتهاج سياسة نموذجيّة بعقلية الحاضر وبإمكانيات المرحلة، وبمنهج يُعتمد فيه على التّجارب الغربيّة أو الآسيويّة الناجحة واستخلاص ما يتعلّق بخصوصياتنا الحضاريّة واللغويّة والتّراثيّة والدينيّة والتّاريخيّة.

أيّها الباحثون، ما جئت لأحدّثكم في موضوع تعرفونه جيّداً، بقدر ما أريد إثارة الوعيّ العلميّ والثّقافيّ الذي يجب أن تحمله الجامعةُ مَشعلاً للوعي الجمعيّ فالمَشعل سيكون عميقاً ومُؤثّراً لو تتمكّن الجامعةُ الجزائرية من التّأثير في التّنميّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة للمجتمع الجزائريّ في كلّ ما يخصّ مشاكله ومطامحه وتوجّهه السياسيّ

والاقتصاديّ والاجتماعيّ. فالجامعة كانت دوماً مؤسّسة للتّكوين، تتلقى أهدافها من المجتمع الذي يمدّها بالمدلول الواقعيّ، وفي الحالة الجزائريّة كان تضارباً بين التّصوّرات التّنمويّة للسلطة والجامعة التي كانت لها نظرياتها الخاصّة، وهنا طُرحت أزمةُ العلاقة بين الجامعة والسّلطة ومن ثمّة المجتمع، ألا يمكن الآن تجاوز هذه القلاقل وتقيم الجامعة رابطةً بين الدولة ومشاريع الدولة، بين الجامعة وتخطيطات الدولة، بين الأبحاث الجامعيّة والمشروعات ذات العلاقة بالمحيط. إذاً، على الجامعة إعادةُ اللحمة بينها وواقعها ولا تعيش كما يُقال في البرج العاجيّ، ولا تنعزل عن حركيّة المجتمع وتنظر إلى حركيّتها ضمن مُحيطها العالميّ، والنّظر في مُخرجاتها ونوعية مَنتوجها وفي كيفية خوض المنافسة، وفكّ المُضايقات المُعاصرة بتقديم الحلول التي تعمل على السّير بالجامعة الجزائريّة إلى جامعة معياريّة ضمن مشروع مُجتمعيّ مُستقبليّ شُموليّ.

زميلاتي زملائي الأساتذة البَحَثَة، لا نكسب رهان التّحدّي دون كسب معركة البحث العلميّ وتوطينه باللغات الوطنيّة، فلا تنميّة دون لغات وطنيّة، ولا تقدّمَ دون الاعتماد على الكفاءات الوطنيّة، وربط الرأس المُدبّر بالرّجُل المناسب الذي يُسيِّر، ولا سوقَ عمل دون مؤسّسات وطنية مُنتجة تغرق السّوقَ بمُنتجاتها، ولا تحسّنَ إلاّ بالمنافسة الداخليّة والخارجيّة، ولا تقدّمَ باستيراد التكنولوجيات دون الإفادة منها وتجاوزها. هي أمور يقع العِوَل على البحث العلميّ في الجامعة الجزائريّة كي تكسبه بإطاراتها وبسوقها وبعقول أبنائها، **فهل نكسب الرّهان؟**

نعم، يمكن أن نكسبَ الرّهان إنْ أنتجنا البحوثَ العلميةَ الجادةَ في التّركيب وفي التّكنولوجيّة وفي الزّراعة، وفي الاقتصاد، وفي الطّاقات المتجدّدة، وفي ميدان الطبّ الآلي، وفي العلاج اللغويّ لهندسة لغاتنا، وفي بناء مخابر اللغات والصناعات التّحويليّة. علماً بأنّ الجامعة هي حاضنة ومنتجة هذه المعرفة ومعيار تقدّم ورقيّ أيّ مجتمع، إلاّ أنّها تتفاعل مع محيطها المجتمعيّ بما ينطوي عليه من مُتغيّرات اقتصاديّة وسياسيّة وثقافيّة؛ أي أنّ المعرفة تأخذ مفهوماً تسويقياً بين من يعرضها (الجامعة)

(ومن يطلبها) المجتمع. وإذا استطعنا تهيئة الظروف المناسبة لأداء الجامعة العضويّ نُبْعِد عن الجامعة إخفاقاتِ المستقبل، ونجعل المحيطَ يتفاعل معها ويمدّها بما يخدم بنياتها البحثيّة، بل ويغدق عليها ويقبل على مشاريعها وأفكارها، ويكون سَنَداً لها في النّوع وفي الكمّ.

ـ ما هي الخطوات الإجرائية لجعل الجامعة الجزائرية تكسب التّحدّي؟ يبدو لي بأنّ الحلّ/ المخرج العلميّ للجامعة هو توفير مناخ مجتمعيّ يكفل ممارسة حرية الرأيّ والتّعبير، مما يمكن من الكشف عن واقع المجتمع وقضاياه ومشكلاته بكلّ حرية وشفافية ويجعلها حقلاً للبحث العلميّ. وهذا ما تخطّط له وزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ. ويقول رئيس المجلس الوطنيّ لتقييم البحث العلميّ (مصطفى خياطي) "إنّ القانون الجديد الذي سينطلق العمل به خلال الأيام المقبلة سيُعطي دفْعاً جديداً للبحث العلميّ لارتباطه الوثيق مع الفضاء الاقتصاديّ... ويؤكّد ذاتُ الرئيس أنّه يربط بين التّكوين والبحث العلميّ داخل المؤسّسات الاقتصاديّة التي سيكون عليها إنشاء فرع للبحث داخل المنشآت الصّناعيّة والاقتصاديّة، وستكون الوزارةُ سنداً مرافقاً لهذه الفروع". ويُضاف إلى ذلك ما بَصُرنا به من اقتراحات:

1ـ ضرورة تبنّي سياسة تطبيقيّة في مجال البحث العلميّ تُحفّز وتُثمّن وتُقيّم الإنتاج العلميّ.

2ـ سنّ سياسة وطنيّة لتمكين النّخب الوطنيّة من ممارسة البحث العلميّ في مخابرنا الوطنيّة.

3ـ إكساب المجتمع معرفةً وثقافةً تُمكّنه بناء شخصيته، وتساعده في التّفاعل مع المجتمعات الأخرى بوسائل مُتطوّرة، وأدوات مَعرفيّة راقيّة.

4ـ إكساب المجتمع مهاراتٍ متنوّعةً تُمكّنهم من المُمارسات المِهْنيّة ذات الجودة العاليّة التي تُيسّر لهم فُرَصاً اقتصاديّة ووظيفيّة ينافسون بها الآخرين في سوق العمل.

5ـ جلْب استثمارات خارجيّة لتمويل المشاريع وبراءات الاختراع في إطار الشّراكة بين القطاعيْن العامّ والخاصّ.

6ــ تحسين نوعية التّعليم العاليّ وجودته.

7ــ جعْل التّعليم العاليّ قطاعاً عُضوياً في المجتمع.

8ــ إعطاء الحرية الأكاديميّة لسلطة البحث العلميّ.

ــ **كيف تنفتح الآداب والعلوم الإنسانيّة على المحيط؟** يبدو لي بأنّ هذا الموضوع مُهمّ باعتبار أن هذا الملتقى من تنظيم كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة فما هي الوصفة التي يمكن تقديمها لتكون الكليّة مُتعلّقة بالمحيط، بل ويَعْلِق بها المحيطُ؟ وقبل اقتراح الوصفة يمكن القول ما يلي:

1ــ لا يجب التّمييز بين العلوم، فكلّها تُكمّل بعضَها البعض.

2ــ أفضلية علم على علم في الاختصاص الفعليّ فقط، وليس في محتوى العلم: العلوم للمواد العلميّة/ الآداب للمواد الأدبيّة/ علم النّفس للعلوم النّفسيّة...

3ــ تصنيف بعض المواد أحسن من بعض من وضع المحيط، ومن بعض صانعي المحيط أو من حاملي مادة دون مادة، لا من المادة نفسها.

وأما الوصفة فقد بَصُرْنا بما يلي:

1ــ تنفتح المواد الأدبيّة والإنسانيّة على المحيط في إطار التّكوين بصفّة عامّة: التّكوين للمحيط+ التّكوين في التّعليم+ التّكوين في التّمهين+ التّكوين في الإعلام+ التّكوين في الفنّون...

2ــ تنفتح المواد الأدبيّة والإنسانيّة على حركية التّنميّة المحليّة، وبما يُحيط بها من مُضايقات في مجال البيطرة+ الفلاحة+ التّسيير المَحليّ+ اقتراح أفكار في الحركيّة الثّقافيّة+ التّعبئة الجمعيّة.

3ــ تنفتح المواد الأدبيّة والإنسانيّة بما لها من باحثين في الخَرْجات العلمية في فرق البحث في المحيط: جمع المادة العلميّة+ الكتابة في الطوبينيميّة+ كتابة التّاريخ+ البحث عن المعالم الآثارية+ جمع الشّعر الشّعبيّ+ تدوين الممارسات الكلاميّة+ البحث في التّكلّمات.

4ـ تنفتح مخابر الآداب والعلوم الإنسانيّة باقتراح مخطّط يعمل على تحريك الفعل اللغويّ/ الثّقافيّ/ العلميّ في إطار اقتراح الموضوعات ذات العلاقة باحتياجات الدولة والمحيط من مثل:

1/4ـ مرافقة برامج الحكومة الخماسيّة في ميادين البحث التاليّة: الصّناعات التّحويليّة- المقاولاتيّة- البيئة والطّاقات المتجدّدة - علوم التّربية والتّكوين.

2/4ـ بناء المشاريع على الآماد الثلاث:

1/2/4ـ المدى السّريع، ونقترح فيه ما يلي: مشاريع الازدهار اللغويّ في الماضيّ - منهجيات الازدهار وآليات البحوث التّطبيقيّة في المجال - مشاريع الانغماس اللغويّ - المواطنة اللغويّة في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل - مشاريع الانسجام والتّكامل اللغويّ بين اللغات الوطنيّة - مشاريع تطوير البحوث التّربويّة - مشاريع في ترقية الدوارج إلى لغة وسطى - مشاريع في محاربة آفة التّلوّث اللغويّ/ الهجين اللغويّ - مشاريع في المختصرات اللغويّة العلميّة - مشاريع في تطوير لغة الإعلام - استكناه المشاريع الناجحة: تجربة البلدان المفتوحة- تجربة الأندلس - التّواصل الحضاريّ بين اللغات: تكامل لا تصادم - البحوث اللسانيّة البرمجيّة - مشروع الحضارة العربيّة في موضع النّقد - اللغة والمجتمع وآليات النّموّ اللغويّ - التّعدّد اللغويّ والتّنمية البشريّة - التّكامل اللغويّ بين اللغات الوطنيّة والرسميّة - الخطط المرحليّة في البحث اللسانيّ - إنجاز معاجم وأدلّة مُتخصّصة.

مشاريع في التّصويب اللغويّ مع الوزارات: وزارة الداخليّة والجماعات المحلية والتهيئة العمرانية / وزارة البريد والمواصلات السّلكية واللاسلكية والتكنولوجيا والرّقمنة/ وزارة السّياحة والصناعة التّقليديّة/ وزارة الأشغال العمومية والنّقل/ وزارة الصناعة والمناجم / وزارة التكوين والتعليم المهنيين / وزارة الشؤون الخارجية / وزارة الصحة والسكان وإصلاح المستشفيات/ وزارة العدل / وزارة

الاتّصال / وزارة البيئة والطّاقات / وزارة الثقافة/ وزارة السكن والعمرانية والمدينـــة ... ولا بدّ من الإشارة بأنّ هذه المَشاريع لا يمكن أن تقــف فـــي المـــدى السّـــريع/ المُستعجل، بقدر ما تفرض نفسها حتى على المَدَيَيْن الآخريْن حيث يتجدّد فيهما البحث بصورة تلقائيّة.

2/2/4ـ المدى المتوسّط: يقع التّركيز بقوّة على الجوانـــب التّقنيـــة، ولا نعـــدم مُواصلة المَشاريع المَفتوحة في المَدى السّريع. ثمّ العمل بالمشاريع الشبه كبيـــرة مـــن مثل: مشاريع في الصناعة المُعجميّة ــ مشاريع في اللسانيات الحاسوبيّة ــ مشـــاريع في التّهيئة اللغويّة ــ مشاريع في التّنوّع اللغويّ وآليات التّعدّد اللغويّ ــ مشاريع فـــي المعاجم المُوحّدة: الطاقات المُتجدّدة- العلوم القانونيّة- السّياحة- الصّـــناعة التّقليديّـــة - لغة الفلاحة- الصّناعات الميكانيكيّةــ مشاريع في بناء المناهج التّربويّة المعاصـــرة ــ مشاريع في اللغات المُتخصّصة ــ مشاريع في حسن اســـتعمال لغـــات الإعـــلام: العربيّة+ المازيغيّة ــ مشاريع في إنجاز المدوّنات الصّغيرة ــ مشاريع في الأطـــالس اللغويّة في الجزائر ــ مشاريع في الحوسبة اللغويّة ــ مشاريع في البرمجيات العربيّة الذكيّة ــ آليات تطوير المدوّنات ــ وضع أرضيات لرقمنـــة المكتبـــات والمشـــاريع الخاصّة ــ اقتراح رقمنة بوابات الوزارات مسايرة للبيومترية ــ التّشبيك الرقميّ بـــين المؤسّسات.

3/2/4ـ المدى الطّويل: يقع التّركيز فيها على المشاريع الطويلـــة، وقـــد وقـــع التّفريق بين مسألتين:

ــ المسألة الأولى: تتعلّق بالمشاريع الكبرى؛ وحـــدّدْناها كمـــا يلـــي: البـــرامج الحاسوبيّة الشّاملة ــ مشاريع أمراض الكلامــ مشاريع الذخيرة اللغويّة ــ مشـــروع المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة ــ مشاريع في علم الاجتماع اللغويّ ــ مشـــاريع فـــي موسوعة الجزائر ــ مشاريع في علم النّفس الإلكنيكـــي ــ مشـــاريع فـــي حوســـبة النّصوص بالعربية بدءاً من عصر النّقائش ــ مشاريع بخصوص حـــلّ المُضـــايقات

التّقنية في الكتابة العربيّة ــ مشروع مَعْلَمَة الجزائر في المخطوطات ــ مشروع وحدات المعجماتيّة النّمطية الموحّدة.

ــ **المسألة الثانيّة:** ويمكن تخصيصها للتّرجمة، وهذا وفق المشاريع التاليّة: جمع المُدوّنات اللغويّة: الفصيحة القديمة+ الشّعبية+ الحكايات الخُرافيّة+ الأقوال والأمثال+ حكايات الجدّات... بكلّ من اللغتين: **العربيّة والمازيغيّةــ** الترجمة البينية: العربية والمازيغيّة/ المازيغية والعربيّة ــ ترجمات مُدوّنات الروائع الشّعرية والأدبيّة ــ ترجمات الكتب من وإلى العربية وفي التّكنولوجيا ــ مشاريع التّرجمة الفرديّة والجماعيّة ــ مشاريع ترجمات المواقع الشّبكية التّرجميّة: Google – المِسْبَار – التّراث – ترجِمْ لي... التّرجمة الآليّة.

ــ **مقترحات:** نروم من المَعنيّين الباحثين الاهتمام باللغات الوطنيّة، وبالبحث العلميّ في العلوم الإنسانيّة؛ لأنّها عُمدة تكوين الموارد البشريّة، ونقترح التّسويةَ بين المشاريع العلميّة ومشاريع العلوم الإنسانيّة. والمُهمّ أن يقع التّقييم والتّقويم في النّتائج وفي المشاريع العاملة على تطوير نوعيّ في البحث العلميّ. وقضية **التّساويّ** فالمقصود منها ألاّ تكون مشاريع العلوم اللسانيّة/ الإنسانيّة في الرّتبة الثانية.

ــ **خاتمة:** لا نريد من جامعاتنا أن تمارس فِعْل العُزلة، والمحيط يفرض عليها التفتّح وممارسة وظيفتها التّطويريّة والابداعيّة والمعرفيّة في المحيط، ولهذا تحتّم الضرورة توجيه اهتمام المؤسّسات الجامعيّة إلى ربط التّكوين وفق طلب المجتمع في مختلف التّخصّصات، والتكيّف مع التّحوّلات والتّغيّرات الاجتماعيّة في الجزائر من أجل الوصول إلى جامعات مِعياريّة فعّالة تتمشّى ومُتطلّبات المجتمع الجزائريّ، فتصبحَ بذلك مَرجعاً ومَخبراً لحلّ مشاكله، ومُسهِمة فاعلة في تغيّيره نحو الأحسن.

الذّاكرة والهُويّة في تماسك المجتمع♥

ـالمواطنة اللغويّة نموذجاًـ

ــ **ديباجة:** أصالةً عن نفسي، ونيابةً عن زملائي في المجلس الأعلى للغة العربية، أُعرِب لكم عن افتخار المجلس بدعوته لحضور فعاليات هذا المَحْفَل التاريخي الهامّ الذي يُمجّد فِعْل الشهداء –رحمهم الله–وكذلك الشهداء الذين أخطأتهم الموت وهم ينتظرون وما بدّلوا تبديلاً، فللأموات الرحمة، وللأحياء العَظَمة والتقدير فأنْعِمْ بهم جميعاً من أُناس قدّموا الدماء الزاكيات الطاهرات للوطن المفدّى في أحلك الفترات!

أيّها الحضور الكرام، نحن في الملتقى التاسع حول حياة الرئيس الراحل (هواري بومدين) الرئيس الصقر الشامخ الذي قرأنا عنه الشهامة والعلوّ، وكان من الرؤساء الذين سجّلوا مآثر الجزائر. ونشكر والي ولاية ڤالمة المجاهدة، وكلّ المجاهدين والفاعلين في الميدان يما يقومون به من خدمة الشأن العامّ. فماذا عساني أقول: وتخونني العبارات، بل تتعطّل لغةُ الكلام في الحديث عن الشهداء والمجاهدين، فهم الذين صنعوا مجد الجزائر، فأيّة عبارات تفيهم جزءاً من تضحياتهم، وبأيّة تضحية تُقاس، فهم الأموات الأحياء وسيعودون يوماً لمساءلتنا عن الوديعة، إن لم يكونوا يشهدون علينا من قريب، فيصعب عليَ وصف الممدوح، فمَهْما أقول لا يكون في

♥ ــالمقال قد نشر في كتاب صالح بلعيد. مناسبة وكلمة.

– وألقيت المداخلة في الملتقى الوطني التاسع حول حياة الرئيس الراحل هواري بومدين، في مدينة ڤالمة، وهذا يومي: 27– 28 ديسمبر 2017 في موضوع : **الذاكرة والهُوية في تماسك المجتمع.**

– وهو ذاته الذي ارتجله الأستاذ صالح بلعيد في أشغال الملتقى الدولي (الجامعة و الانفتاح على المحيط الخارجي، الانتظارات و الرهانات) يومي 29 و 30 أفريل 2018

مستوى عظمة التضحية والوفاء. ويمتدّ الشكر إلى منظّمي هذا اللقاء من حيث اختيارُ العنوان، فهو حسّاس ومهمّ في وقتنا؛ لما نشهده أو نسمعه من الدعوة بأنّ الأجداد لم يكونوا في حرية في اختياراتهم في الهُويات، وما يلحق ذلك من الطعن في الانتماء... كلام لغو كثير، لا يحتاج إلى تعليق، بل نريد التذكير بأنّ الأجداد عملوا على اختيارات واعية، وأزعم أنّهم كانوا على صواب ولولا ذلك ما وجدنا الانسجام الجمعي الذي حفظ البلاد والعباد من شرّ الحُسّاد، وكيد الفُسّاد، ومن حيف الاستحمار، وظلمة الاستعمار. وكان ذلك ما يوجب تبليغه لشباب العصر، بأنّ خريطة الأجداد نقيّة واضحة، أنتجت مجتمعاً في غاية التماسك، وهذا ما يجب علينا ترسيخه عبْر هذه الملتقيات والندوات وعبْر تدريس القيَم الأخلاقية، ومفاهيم المواطنة، وتبليغ التاريخ الوطني، وما يحمله من ذاكرة أعطت للهُوية كلّ آيات التكامل، مهما اختلفت الأفكار.

وفي الحقيقة لا تكفي الملتقيات ولا الندوات؛ لأنّ البطولات أعظم فداء قدّمه هؤلاء عبْر قرون من التكامل، ولولا تلك البطولات ما استطعنا اليوم أن نلتئم في هذا المكان، احتفاءً برجال خالدين، رغم أنّه لم يبق من صُوَرهم إلاّ الرموس ونحن بحاجة إلى استلهام شعورهم بالهُوية الجماعية التي كانت عندهم وسيلة عمل خلقت الشعورَ بالهُوية الانسجامية، بأن امتدّت إلى التصاهر الكلّي، دون تَفَكُّك ذاكرةِ الأنساب. وهذا ما نجده في المجتمعات الراقية التي عملت على صياغة الذاكرة التاريخية لتكون حافزاً للتشجيع على الاندماج الاجتماعي والثقافي والتكامل السياسي فلم يعُد الكلامُ يُجدي في الخيارات السالفة فهي من خيارات الأجداد ونِعْمَ الخيار ولا نعود القهقرى لنسأل من نحن؟ وما هي هُويتنا؟ ولأيّة أمّة ننتمي؟

أيّها الجمع الكريم، إذا أتيت إلى تشريح الموضوع يمكن تجزئته إلى ثلاثة عناصر ممثّلة في:

1ـ الذاكرة: هي تراكم ذهني لذكريات متنوّعة تُغذي التصوّرات والتخيّلات المختلفة، وتلعب دور الإسمنت الذي يجمع بين الأفراد في مجموعة بشرية قد تتّسع

إلى درجة تُحدث هذا التماسك دون التعارف أو الاحتكاك المباشـــر، وتُســـهم هـــذه التراكمـــات فـــي توجيـــه النشـــاط البشـــري فرديـــاً كـــان أم جماعيـــاً.
وكما تعني الموروث القديم المحفوظ في الوعي الفردي/ الجمـاعي، وفـي وعـي التاريخ، ويمتدّ هذا الموروث عبر أجيال صنعته مرحلةً مرحلةً، مثل النهضـة التـي تتنامى وتتكامل عبْر بناء تصاعديٍّ لا يكتمل، بل كلّ جيل يُضيف قيمةً مستنداً إلـى مواصفات متّفق عليها، وبمنهجية مختلفة. فالذاكرة التاريخيـة للمجتمـع الجزائـري قديمة جداً، تواصلت منذ الدولة المازيغية الأولى، إلى الفتح الإسلامي والملوك الثلاثة عشر (13) الذين حكموا البلاد، إلى مرحلة الاستعمار الإسـپاني فـالحيْف التركـي والاستعمار الفرنسي الغاشم. وعبر هذه الحِقَب التاريخية تكوّنت صُـوَر البطـولات والتكامل الانصهاري، وأفضت إلى مجموعة الوقائع المشـتركة للهُويـة الجمعيـة المُستوحاة من ثقافات ومُكوّنات المجتمع الجزائري المُوحّد بل تحدّدت الغايات التـي يُراد تحقيقها، والسبل المؤدّية الى تلك الغايات، وتحديد الأولويات ومُتطلّبات المجتمع والدولة، فكان ذلك من الروافد في بناء المُواطن الصالح والمجتمع المـانح، والدولـة الفالح.

أيّها الجمع الكريم، نحن في مدينة ڨالمة، مدينة الأبطال والشهداء، وبلاد الأمازيغ الأحرار؛ الذين قبلوا بالإسلام ديناً، وبالعربية لغةً، وهم الذين أعْلَـوْا مقـام العربيـة لحمولتها الدينية، فنالت العربية مقامَ اليد التي تُعطي، فبقيت راسـخةً فـي شخصـية الأمازيغي الذي عرّبه الإسلام، وعاش بعّزة النفس بمازيغيته فنال من هُويته الجوهر القائم ضمن الظروف المتعدّدة التي صارع فيها الحياة من أجل البقاء. وامتدّت هُويته في الزمان وفي المكان، ولم تتقلّص حجم الذكريات المشتركة، وعبْر العلاقـة مـع الآخر. وأعتقد بأنّ الإسلام كان الملجأَ الوحيدَ في تسيير الأمور التصاهرية التكامليـة وفي تفاعل منظومة التواصل البيني رغم اختلاف اللسان. ومن ثـمّ، فـإنّ الإسـلام سلسلة من التداخلات تُفضي كلّها إلى هُوية إنمازية والهُوية تجمعها لغـة مُشـتركة وهي العربية الفصحى التي كانت **اللغة الجامعة.**

2ـ الهُوية: ولها مجالات تشمل: الأرض والتاريخ واللغة، فلا أريد الخوض في النقطتين الأوليتين فالمسألة محسومة، كما لا أريد فتح باب الهُوية على عواهنه بقدر ما يقع التركيز على دور اللغة العربية بما لها من صلات مادية وروحية ومشاعر الانتماء والمصير المشترك؛ باعتبارها **لغة الأمّة** وهي مصداق هُويتها ونسغ حياتها ووعاء ثقافتها، ومُجتلى حضارتها، ومرآة نهضتها وحاضنة تراثها وهي ذاكرة الأمّة وتاريخها، ووجود الأمّة مرتبط بوجود لغتها والأُمم التي انقرضت لغاتها زالت من الوجود، ولا بقاء لأمّة يتخلّى أهلُها عن لغتها. **فما هي اللغة التي نالت هذا المقام؟**

إخواني، كلّكم تعرفون بأنّه وقع الخيار في المسلّمات، بتبنّي استراتيجية الهُوية الممثّلة في: الإسلام والعُروبة والمُزوغة من حيث عدم التلاشي بينها إلاّ في إطار التفاضل المقدّس، أو بما للشيء من وظيفة وهذه هي الهُوية الوطنية الجزائرية التي لها امتداد زماني عملت على صهرها الصعاب والمحَن المشتركة كما تفاعلت مع الأفراح والمصالح المُرْسَلَة. وكلّها مشروع مفتوح للتكامل، إن لم نقلْ إنّها السمّة الجوهرية العامّة للثقافة الجزائرية الجماعية البعيدة عن التعرية والذوبان، وهي التعبير عن الذاكرة والهُوية. ولسنا هنا في موقع المُفاضلة بين اللغات الوطنية، بقدر ما نقول: إنّ **العربية** تتماز بأنّها لغة العبادة، ولهذا انتشرت مع الإسلام في كلّ شبر وَصَلَهُ الإسلام، واستطاعت في سنوات معدودات أن تضمّ اللغات المحلية، التي كانت تتكلّم بها شعوب كثيرة، فتدنصرت؛ لأنّها ليست من أحدكم بأبيه ولا بأمّه، وإنّما العربيةُ لسان، فمن تكلّم العربية فهو عربي. فأثمرَ هذا على أنّ سيبويه صاحب قواعد العربية فارسي، وأعظم شيوخ الحديث البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من أصول غير عربية ومن بلاد شديدة البُعد عن شبه الجزيرة العربية وصاحب المنظومة النّحوية (ألفية ابن معطي) أمازيغي ومبدع الأجرومية أفريقي. وتمضي عجلة الزمان بأنّ المواطنة اللغوية تأخذ بُعدَها الشامل في وطننا من خلال دستور 2016، حيث اللغة الأمازيغية لغة وطنية ورسمية إلى جانب شقيقتها العربية. وليس من باب الصُدف بأنّ هؤلاء الشهداء الذين أخطأتهم الرصاصات كانوا وراء صُنع

المواطنة اللغوية في هوية انسجامية بالإقرار بمواطنة التمزيغت التي لا تصارعَ بينها وبين العربية، بل تتكاملان في صورة إعطاء المقام الوطني والرسمي، وهذا ما تجسّد في برنامج **فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة** من إنزال اللغتين منزلتهما الأصلية والطبيعية.

ومن خلال كلّ هذا، يجب أن يعلمَ هذا الجيلُ، بأنّ اللغة ليست أداة تواصل فقط بل هي عُمق وشخصية ووطن وهُوية وميزة، وهي وسيلة الحفاظ على الهُوية. ومن المفيد أن نشير إلى ثلاث تجارب ناجحة في الوقت المعاصر، وقد تمّ الاعتماد فيها على اللغة لإنقاذ الهُوية وحمايتها من التداعي والتلاشي؛ وهي اللغات: **العبرية واليابانية والكورية**، من خلال إحياء العبرية من الموت وأصبحت لغة الماضي والحاضر والمستقبل وهي لغة المجتمع العبري دون غيرها. واليابانية التي تقتبس من اللغات الأخرى دون أن تذوب في خصوصياتها، بل تخرج بنظرية يابانية بحتة. والكورية في الجنوب التي لها أكثر من لغة وطنية، وفيها أكثر من 100 قناة، ولكن هناك لغة جامعة، وهي اللغة الكورية المُوَحِّدَة.

3ـ تماسك المجتمع: إنّ الذاكرة تعني الماضي والتاريخ، فنحن في هُويتنا اللغوية لا نتنكّر لفعل السلف الصالح الذين أرسوا قواعد التبادل المصلحي بين العربية والمازيغيات، فهم الذين أعْلَوْا العربية وأبدعوا فيها ومن خلالها، بل تواصلوا بها عبْر الزمان، بواقع مُشترك تبنّى بالطواعية الهُوية المشتركة، وهو الواقع نفسه الذي أدّى إلى الانتماء وإلى هُوية أمّة عربية؛ وتحدّدت معالمُها عبْر السنين الطوال من التعايش بين البربر والعرب، وما كان ذلك مشكلة بتاتاً، وهذا المكان يكون أحد المواقع الذي يشهد على ذلك، دون صراع أو ردّ فعل مضاد. ولكن لا ننكر أنّ هناك بعض مخاطر التصدّع التي ظهرت بعد ذلك، فلا بدّ من سدّ كلّ الفجوات قبل اتّساع الرتق، وهذا بتعميق الانتماء، وتأصيل الهُوية، ومُواجهة التحدّيات.

ومن هنا، فإنّ مخاطر التصدّع يجب أن نُوليها الأهميةَ من خلال أمثال هذه اللقاءات، ونتدارس أسبابَها ونعمل على اقتراح سدّ الذرائع قبل استفحالها، وبخاصّة

مع امتداد العولمة التي لها بعض الأبعاد المُلغية للهُوية وللغة وللتاريخ، وكلّ ذلك يعمل على ضعف الانتماء، وهو الذي زيّن للبعض القول بأن نقل أفراد الأسرة نحو الآفاق الجديدة والتفتح والنموّ لا يحصل ولا يكون قوياً إلاّ إذا تجاوزت الأسرة الجزائرية لغاتها الأصلية، وسارت في الانجذاب اللغوي نحو مصلحة فِقْه الواقع اللغوي، وهو تبنّي خيار اللغات الأجنبية بدعوى الانفتاح. وهكذا ترون في وقتنا المعاصر ظهور بعض المضايقات المؤدّية إلى شرخ في الانسجام ولكن أُريد به باطل. وهي في الحقيقة ليست مضايقات، بقدر ما نقول إنّها صراعات بالمعنى الفكري، بل هي تحدّيات ويجب أن تُعالج قبل أوانها، وتوضَع لها سلسلةٌ من الحدود وينبغي عدمُ تجاوزها.

ولماذا كلّ هذا التركيز على اللغة؟ لأنّ اللغة هي التي تجرّنا إلى تأكيد تأصيل الهُوية، وفي ذات الوقت قد تؤدّي إلى تعليق الانتماء، ونبقى نعيش شذر مذر نعيش أزمات فكرية هُوياتية، نبقى نسأل من نكون؟ وعلى هذا الأساس نريد من شبابنا استلهام فعلَ الأجداد في صيرورتهم وسيرورتهم التاريخية، وقد تجسّدت متضامنة مع ثورة نوفمبر الخالدة التي عملت على تمتين الوَحْدة الوطنية في أبهى وأبقى صور الانصهار وكيف كان المجاهد ينتصر لبلده؛ دون أن يسأل عن دوّاره ولغته العادية الله أكبر، والجهاد في سبيل الله. وإنّه يجب الوعي بخطورة المسألة اللغوية التي نخاف أن تُدْخِلَنا في أزمة الهُوية. ومع ذلك ولتأصيل الهُوية وتعميق الانتماء ومواجهة التحدّيات الآنية والمستقبلية، لا بدّ من الإشارة إلى ضرورة تفجير الطاقات الكامنة في الشباب، وتحريك دوافعهم الداخلية بما يقيهم وعْي الذات في الاعتزاز بالمواطنة اللغوية. وكان لا بدّ كذلك من الأخذ بأسباب التطوير اللغوي بالعمل على تفجير الطاقة الكامنة في العربية؛ باعتبارها لغةً جامعةً، والعمل على ترقية المازيغية باعتبارها مُكمّلة شقيقة، ورافداً تصبّ في نهر واحد، وضرورة الإفادة من الثورة العلمية التي تشهدها اللسانيات، وما أفرزته المناهجُ العلمية التي يمكن بها تناول الكثير من جوانب إشكالية اللغة العربية التي استعصت على الحلّ في ما مضى

وكذلك الإفادة من التطوّر التقني الهائل في هندسة اللغة، ومما تزخر به الشابكة من مواقع عديدة لتعليم وتعلّم اللغات وتشجيع الباحثين في بناء الموسوعات والقواميس والمعاجم، والعمل على بناء قواعد المحتوى الرقمي لمعالجة لغاتنا التي تعيش فقراً في هذا المجال.

ــ **العبرة من هذا اللقاء:** أيّها الجمع الموقّر، إنّ السلف الصالح عاشوا في وئام وما شكّل لهم قضيّة بقدر ما كان إسمنتاً طبيعياً زادهم قوةً وأثرًا ؛

– إنّ شهداءَنا عبْر الحركات الوطنيّة كوّنوا لنا مرجعيّات إذا حافظنا عليها لا نحيد عن الصواب ؛

– إنّ شهداءَ ثورة نوفمبر بما جسّدوه من معايير الذّاكرة عملت على تماسك المجتمع الجزائري ؛

– إنّ دولتَنا الحديثة بما سطّرته في خريطة الطريق الوطنيّة زادت من اللّحمة الوطنيّة في تماسك مجتمعنا بما له من خصوصيّات لسانيّة، أعطت لكلّ لغة مقامها ؛

– إنّ الرّبطَ بين الماضي والحاضر؛ هو ربط بين الأمّة وتاريخها، فلا أمّة بلا تاريخ، وتاريخنا عميق يشهد على أصالتنا وتماسكنا ؛

– إنّ هويتَنا ظاهرة في مقوّماتها الحضاريّة والتّاريخية واللّغويّة، وهي الشهادة على الاستمرارية والفاعليّة، فأنعِم بهذه المعالم الدّالّة على الإضافة النوعيّة!

ويسعدني كباحث الإلحاح على تبليغ الشّباب مهمّة الشهداء، ورسالة المسؤولين لشبابنا بأنّ يكونوا في مستوى عظمة أوائلنا. ونكون كما كانوا ينتظرون منّا، خير خلفٍ لأفضلِ سلفٍ، ونكون كما كانت أوائلُنا تبني، ونضيف إلى بنيانهم بناءً يعمل على **الانسجام الجمعي؛ وهو الإسمنت للأمن الثّقافي واللّغوي.**

ــ **الخاتمة:** من الحقائق المسلّم بها أنّ الاهتمام بالذاكرة والهُوية يؤدّيان إلى بناء مجتمع مُتماسك ويخلقان الانسجامَ الجمعيَّ في أفضل صُوَره، وتكون المواطنةُ هي الحَكَم الفيْصل، ولهذا كان علينا العمل على أن نستودع القِيَم الثقافية والاجتماعية المحاضن التي تعمل على تفريخها بصورة سليمة، ونوجِدَ آلياتِ حماية اللغات

الوطنية من هَجْمات العولمة؛ لأنّها السياج للهُوية الوطنية الذي بناه الأجداد من قبْـل الإسلام إلى دحْر الاستعمار، وعبْر هذا التـراكم الزمـاني أدّت الـذاكرةُ الجماعيـةُ والهُويةُ اللغوية وظائفَهما التواصلية في صورة تكامل وطني دون نشاز. فالأجدر بنا مُواصلة العمل بالجوانب المُضيئة في حضارتنا التـي تجمـع الثلاثـي: **الإسـلام+ العُرُوبة+ المُزُوغة**، في وظيفة شعورية مرتبطة بالحاضر وتوظيف الماضـي مـن أجل الحاضر والمستقبل أيضاً. وعليه، فإنّ الذاكرة لا تنسى، وهي تـرتبط ارتباطـاً وثيقاً بالمشاعر والأحاسيس وتُسْهِم في خلق جوّ من الفخر والاعتزاز، وكذلك التكريم والتمجيد وحمل الأجيال اللاحقة على تقدير جهود الأجيال السابقة، ألـيس فـي هـذا دعوة إلى تلك الرنّة التي كنّا نسمعها ونحن صغار: **إخْوَنِي لا تَنْسَاوْ شُهَدَاكُمْ**. وكنتُ آنذاك لا أعرف مَدْلُولَها، ولكنّها نالت رنّةً في سـمعي؛ فحفظتُهـا مـن أوّل سـماع وأُردّدها باستمرار. هي عبرةٌ لمن يعتبرُ، عبرةٌ لهذا الجيل، بـأنْ يزيـد فـي عقـد الملتقيات وإقامة الندوات، وتصوير الأفلام والمسلسلات. ويحتاج المدرّس أن يضـمّ دروس البطولات، ويعمل المؤرّخون على تدوين المفاخر، وبهؤلاء الرجـال نفـاخر ونقيم لهم التماثيل المخلّدة، ونحفل بهم في المآثر المُمَجِّدة.

الله نسأل للأحياء منهم طولَ العمر، ونورَ البدر، ويا ربّ احفـظْ بلـدَنا، وزِدْهـا بسطةً في حرمتنا والمجد والخلود لشهدائنا. والسلام عليكم إخواننا.

القاموس الطبّيّ الثلاثيّ اللّغات♥

- **مقدّمة:** تُوصي تقارير التّنمية البشريّة، وتوصيات ملتقيات التّنميـــة البشـــريّة العالم بضرورة السّير قُدماً للاهتمام والاستثمار في البشر، وهو الرأســمال الــذي يأتي بكلّ التّنمية العامّة، وعدم الاستثمار في التّنميـــة البشـــريّة إعاقـــة للحضـــارة الإنسانيّة. ويقع التّركيز على الاهتمام بشيئين هما: مجانية التّعليم وجودته وتعميمـــه دون فتح بابه للخواص، ومجانية التّطبيب وتعميمه دون التّفرقة بين المدينة والريف بخصوص التّجهيزات ووجود المختصّين في كلّ مجالات الطب، وبخاصّة العمــل على زرع الثّقافة الصحيّة؛ وهذا للرفع من سويّة الفرد الذي هــو الخليـــة الأولـــى للمجتمع وإنّه لا يصلح المجتمع ولا يكون منتجاً وفاعلاً إلا بالاستفادة المطلقة مــن أكسجين الحياة (التّعليم والطبّ) ويكونان بالتكافُؤ بين فِئات المجتمــع. ولا يمكــن لمجتمع أن يصنّف ضمن مجتمع المعرفة إلاّ بتوفّر هذين الشّرطين، وبذلك تحصل المعرفة المجانيّة التي تنقل المجتمع البدائي إلى مَصاف مجتمـــع المعرفـــة. كمـــا توصي ذات التّقارير بأن يكون التّدريس بلغة البلد؛ كي لا يضـــيع الطالـــب بـــين التّرجمة من لغة أجنبية، ثمّ ينقل الصيغ اللغوية إلى مناول اللّغـــة الأجنبيّـــة التـــي يدرس بها وكم من وقت يضيع دون إدراك كنه التّعليم باللّغة الأمّ، وهو يدخل فـــي باب الحقوق اللغوية حيث أبانت التجارب التي أجريت على درجة الاستيعاب باللّغة الأمّ أفضل بكثير من اللّغة الأجنبيّة، وأنّ دراسات في هذا المجـــال، بـــأنّ جامعـــة وطنية علمية يقدّم فيها سنوياً ما نسبته 10 % من الطلبة طعوناً للتغيير إلى شُـــعب الآداب والعلوم الإنسانية بسبب العائق اللغويّ. وهناك خلاصات علمية تفيـــد بـــأنّ

♥ـــ الملتقى الوطني حول (القاموس الطبّي الثلاثي اللغات: عربي – فرنســـي – إنجليـــزي) المنظّم من تجمّع الطلبة الجزائريين الأحرار، المكتب الولائي بتلمسان. بالتّنسيق مـــع مجموعـــة القاموس الطبّي. تلمسان: 10-12 مايو 2018، بكلية الطبّ. جامعة أبي بكر بلقايد.

استمرار تدريس الطبّ باللّغة الأجنبيّة يعوق قدرتنا على الانطلاق والتقدّم؛ لأنّه يحدّ من قدرة الباحثين على الاستيعاب، ومن ثمّ قدرتهم على الابتكار والإبداع، وأنّ هذا هو السباحة ضد التيار.

ولهذا تغدق الأمم على القطاعيْن؛ لأنّهما مقياس الرّقي والتّرقي الجمعي فالمجتمع الذي تنخره الأميّة تُعشِعش فيه الأمراض، ويعود القهقرى، ولا يمكن أن يخرج من الدول الضعيفة في بنياتها الجمعيّة، وليس له مكان في خريطة التّصنيف الجهويّ أو العالميّ.

ــ **كلمات لا بدّ منها:** في البداية يجدر بي أن اعطي الخطوط العلمية التي يعمل بها المجلس الأعلى للغة العربيّة المستمدّة من المادة الثالثة (3) من الدستور، وهي:

ــ يعمل المجلس على ازدهار اللّغة العربيّة؛

ــ يعمل المجلس على تعميم استعمال العربيّة في العلوم وفي التّكنولوجية.

ــ يعمل المجلس على التّرجمة من اللغات الأجنبيّة إلى العربيّة.

ومن هذه البنود الثلاثة، فالمجلس قوّة اقتراح، يعمل على ازدهار اللّغة العربيّة في شتى صور الازدهار، وتدخل رعاية المجلس لهذا الملتقى الوطني في بند الازدهار بما ينبّت عنها من تعميم استعمال العربيّة في العلوم، وما له علاقة بالترجمة. ولهذا لا حرج في أن يكون المجلس حاضراً في كلّ مقام يعمل على ازدهار العربيّة باقتراح أفكار، أو بنقل أفكار، أو برصد ظواهر ذات العلاقة باختصاصه. ونسعد بهذا العمل الذي يقوم على تقديم المنجز الطبّي باللّغة الوطنية في صورتها العلمية، إسوة باللّغات العلمية التي لها نصيب معتبر في ميدان الطبّ.

ــ **منجزات المجلس الأعلى في فروع الطبّ**. بخصوص ما أنجزه المجلس إليكموها في ما يلي:

1ــ حبّ التميّز عند الطلبة، مقاربة أنتروبولوجية لطلبة الطبّ بتلمسان. عمر العرباوي سنة 2005 ؛

2ــ دليل المحادثة الطبّية: عربي– فرنسي. 2006 ؛

3ــ الطبّ الشّرعي. جائزة المجلس في عام 2006 ؛

4ــ دليل مدرسي في علوم الطبيعة والحياة. منشورات المجلس 2013م ؛

5ــ لجنة الطبّ تشتغل حالياً على ترجمة كتابين للــدكتور مصــطفى خيــاطي وهما:

5/1-Bioéthique. Exercice de la Médecine Moderne Exigence de la Religion de la Loi Respect من طبع ديوان المطبوعــات الجامعيــة، 2017م.

5/2- Guide Des Sois Infirmiers

6ــ منجزات قديمة أيام حملات التّعريب، ولكن لم نعثر عليها، ونعلم أنّ فِرَقــاً متخصّصة لها منجزات مهمّة، وهي قيد المخطوطات ؛

7ــ مؤلّفات لأفراد جزائريين في مختلف كلّيات الطبّ ؛

8ــ مؤلّفات حسني سبح+ مروان المحاسني+ مترجمات علمية لمجمــع اللّغــة العربيّة بسورية ؛

9ــ مؤلفات وترجمات للأساتذة السُّوريين (الجامعات السُّورية) ولهــا الجــودة العالية التي لا تقلّ عن المنتوج في الغرب. باعتبار أنّ سورية تجــاوزت مرحلــة التّردّد في تعريب الطبّ وهي الآن تُصدِّر كفاءات بشريّة طبيّة إلى العالمين العربيّ والأجنبيّ ؛

10ــ مُنجزات ترجميّة لمجمع اللّغة العربيّة بالسودان، بمعيــة الهيــأة العُليــا للتّعريب. وفي السودان يدرّس الطبّ بالعربيّة بشكل كامل في خمس (5) جامعــات سودانية ؛

11ــ مُؤلّفات مهمّة جداً جداً في منشورات مركز التّعريب والتّرجمة والتّــأليف والنّشر بسورية. وهو مركز تابع للألكسو ؛

12ــ مَعاجم موحّدة من إنجاز مكتب تنسيق التّعريب التابع للألكسو ؛

13 ــ مَعاجم موحّدة ثلاثية اللّغات، وهناك معاجم ثنائيّة اللّغــات مــن إنجــاز المنظّمة العربيّة للصحة، ممثّلة في مركزها المُسمّى (أكملــز/ACMLS) المركــز العربي لتأليف وترجمة العلوم الصحيّة. وهذا المركز يتبع مجلس وزراء الصــحة العرب، ومقرّه الكويت. ورأيت ضرورة التّعريف به والتّنصــيص علــى مهامــه باعتبار الجزائر عضوة في هذه المنظّمة:

ــ توفير الوسائل العلميّة والعمليّة لتعليم الطبّ في الوطن العربيّ؛

ــ تبادل الثّقافة والمعلومات في الحضارة العربيّة، وغيرها من الحضارات فــي المجالات الصحيّة والطبّية؛

ــ دعم وتشجيع حركة التّأليف والتّرجمة باللّغة العربيّة فــي مجــالات العلــوم الصحيّة؛

ــ إصدار الدوريات والمطبوعات والأدوات الأساسيّة لبنية المعلومات الطبيّــة العربيّة في الوطن العربيّ؛

ــ تجميع الإنتاج الفكريّ الطبّيّ العربيّ وحصــره وتنظيمــه وإنشــاء قاعــدة معلومات متطوّرة لهذا الإنتاج؛

ــ ترجمة البحوث الطبّية إلى اللّغة العربيّة؛

ــ إعداد المناهج الطبّية باللّغة العربيّة للاستفادة منها في كلّيات ومعاهد العلــوم الطبّية والصحيّة.

للمركز (أكملز) بريد إلكتروني يقدّم مختلف الاستشــارات والمعلومــات لمــن يتواصل معه على هذا البريد acmls@acmls.org

ــ حاجتنا الضّروريّة إلى استعمال العربيّة في ميدان الطبّ: وهــي غايــة قصوى، يقع العِوَل على أساتذة الكليات، كما أنّ القــانون فــي صــالحهم، وهــذا للأسباب التاليّة:

ـــ النّصوص القانونيّة لا تمنع المبادرة بتدريس المواد الطبّية بالعربيّة؛

ــ مُحادثة المريض بلغة يفهمها تدخل في باب الشّفاء؛

ــ الاستغناء عن التّرجمان/ الوسيط بين المَريض والمُمَرِض؛

ــ إيجاد علاقة انسجاميّة بلغة مشتركة بين مختلف أسلاك الطبّ للتكامــل فــي العمل؛ لأنّ مختصي شبهَ الطبيّ يتعاملون أكثر بالعربيّة؛

ــ العمل على الاعتزاز بالمواطنة اللغويّة لاستكمال مسار التّدريس في المرحلة القاعديّة وهذا بغية التّجسيد الكليّ للغة مشتركة تجسيداً لخيــارات الأمّــة وتطبيقــاً لدستورنا؛

ــ مَجال الطبّ يسهل فيه تعميم استعمال العربيّة باعتباره يتعامــل مــع عامّــة الناس، أضف إلى ذلك أنّ وسائله وأدويته من صنع الحضارة الإنســانيّة، وتقــرب إلى لغة الرياضيات وهي مشتركة، ويمكن الخروج من لغــة ضــيّقة إلــى الفهــم المشترك؛

ــ السّير بمشاريع الدولة في تطوير البحث العلميّ في ميدان الطبّ الذي يشــهد طفرات نوعية ويقبل كلّ اللّغات، وهذا من الممكن إذا وقع الاعتزاز باللّغة الوطنيّة لتنال موقعاً في ميدان الطبّ وعلى مراحل تدرّجيّة، إسوة بكــلّ دول العــالم التــي تدرّس الطبّ بلغاتها، فهل نحن نكرة أمام مالطا+ الدانمارك+ السويد+ الكوريتان+ اليابان+ تركيا+ إيران+ المجر+ الصــين+ روســيا+ داغســتان+ كازاخســتان+ إيستونيا+ النرويج+ بنغلاديش+ كمبوديا+ الفيتنام+ ألبانيا+ رومانيــا+ إيســلاندا+ إيطاليا+ البرتغال+ مقدونيا+ إسرائيل+ التّشــيك+ كنــدا+ اليونــان+ إندونيســيا+ بورما... ولذا، فإنّ الحرص على تعليم الطبّ باللّغة الوطنية يرفــع العديــد مــن العوائق، وهذا ما تفعل به الدول المستعمرة بعدم إلزام تدريس الطبّ بلغة المستعمر "إنّ حرص الدول على التعلّم بلغاتها القومية أصبح الآن أصلاً ثابتاً ومستقرّاً حتــى في الولايات المتّحدة التي تملك 142 كلية طبّية تعلّم سكان بورتريكو بالإســبانبة؛ لأنّها لغتهم الأصلية، وهو ما فعله الاتّحاد السوفياتي ســابقاً الــذي كانــت لغتــه الروسية، ولكنّه علّم أبناء جمهورياته الإسلامية وغيرها بلغــاتهم المحليــة، وهــو

الحاصل في الصين أيضاً، وفي كندا الخاضعة للتاج البريطاني تدرّس مناهج التعليم في إقليم كويبك النّاطق بالفرنسية؛ لأنّها لغة سكان ذلك الإقليم".

والعهدة في هذا هو:

ــ الحاجة القصوى إلى التّركيم المصطلحاتي في ميدان الطبّ على المستوى المحلي ؛

ــ الحاجة القصوى إلى تنظيم الركام المصطلحي وتنسيق المنتوج الوطني ؛

ــ الحاجة القصوى إلى مؤسّسة تتابع هذا المنتوج، وتعمل على توحيده وفق المعايير الدولية ؛

ــ الحاجة القصوى إلى مشيخة وطنية في مجال الطبّ لإنجاز كلّ ما يمتّ بصلةٍ إلى ميدان الطبّ ؛

ــ سنّ طريقة وخطّة عمل في إنجاز معاجم متخصّصة، تقوم بها فِرَق مُتعدّدة الاختصاصات؛

ــ تحيين المُنجز المُعجميّ السّابق؛ كي لا نبدأ في كلّ مرّة من جديد؛

ــ تشجيع كلّ المبادرين أفراداً/ جماعات لتقديم خِدْمات لغوية تكون جامعة للجزائريين في مختلف مقاماتهم؛

ــ الاهتمام بإذاعة البرامج الطبّية في وسائل التّواصل الاجتماعيّ بالفصحى فهي التي تعمل على التّقريب اللغويّ في لغة وظيفية مقبولة، وتبعد عن الهجين اللغويّ؛

ــ مواصلة المزيد من أمثال هذه الملتقيات العلمية التي تعمل على تقريب وجهات النّظر وطرح البدائل النّوعيّة في مجال التّرجمة، والعمل على تعميم استعمال العربيّة في الطبّ؛

ــ تدارس الصعوبات والعمل على طرح الأمثل والأفضل؛ وصولاً إلى فكّ كلّ المضايقات العلميّة والتّقنيّة؛

ـ استكناه التّجارب النّاجحة، وكيف أنزلت الشّعوب لغاتها موقع الاستعمال بصورة تلقائيّة دون حرب اللّغات؛

ـ ضرورة الوعي بالمسألة اللغويّة في وطننا، **وأنّ التّرقية والتّطوير لا يحصل بالأجنبيات** وهذا ما لم يحصل في العالم، وكلّ الأمم تطوّرت بلغاتها؛

ـ ضرورة تكاتف جهود الأطباء ورجال اللّسانيات والمعلوميات للعمل في فِرَق مشتركة بوضع المصطلحات الطبّيّة، وإعداد قواعد نمطيّة في تعريب المصطلحات، ووضعها في الكتاب الطبّيّ؛

ـ تنصيب لجان التّرجمة على مستوى المستشفيات الجامعيّة، وفي كليات الطبّ، والبداية بمنهج تكامليّ مرحليّ. والمهمّ في الأمر أن يحصل الاعتزاز بلغاتنا، وكذلك أن نحزم أمورنا ونطبّق أقوالنا بسياسة القوّة المقرونة بالفعل، وأوّل المطر قطر ثمّ ينهمر، ويصبح غيثاً، وقد تأخّرنا كثيراً يا إخوان، وتَعَالوا نبدأْ فالطريقُ تصنعه الأقدامُ. لنبدأْ وسنجد المضايقات، وهذا من طبيعة الأمور، ولكن لكلّ حَدَثٍ حديث، والتّركيز في هذه المرحلة على التّرجمة لاستدراك التّأخير ؛

وفي الأخير يمكن القول: إنّ بقاء الأمم وتقدّمها يرتبط بتمسّكها بثوابت وجودها من: لغة ودين وتاريخ وحضارة ومصير واحد، ومشترك جمعي، وإنّ إهمالها لهذه الثّوابت يؤدّي بنا إلى مزيد من التخلّف. لذا لا بدّ من سياسة للترجمة الرّصينة الشّاملة، ووضع الأدلّة والمعاجم في نطاق الثّقافة الطبّيّة.

إخواني: أُهيبُ بكم جميعاً، وبما تقومون به من أعمال وما تطمحون إلى تحقيقه وهذا دلالة على اهتمامكم باللّغة العربيّة، وتعبير عن أصالتكم وقوّتكم فهي أصالة تؤكّد أنّكم خير خلف لخير سلف. وإنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة ينوّه بمجهوداتكم وإنجازاتكم؛ لأنه يرى بأن حماية اللّغة العربيّة وتطوّرها مسؤوليتنا جميعاً، وعلينا شدّ الهمّة للوصول إلى خدمة المواطنة اللغوية، والعِوَل عليكم وبورِكت خطواتُكم. وعلى الله التُّكلان يا طلاب: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التوبة 105.

كلمات حول اليوم العالميّ للعيش معاً بسلام♥

اسمحوا لي في البداية لأقول: إنّي أفتقر إلى كلمات دقيقات مُعبّرات عن هذه المناسبة العالميّة التي دافعت عنها الجزائر على لسان مُهندسها فخامة الرئيس **عبد العزيز بوتفليقة** الذي نطق صدقاً بالسّلام؛ درءاً لعودة تلك الأيام، وفيها دفع الجزائريون أغلى ما يملكون، وافتقدوا أكثر ما يعزّون، فلا عادت تلك المأساةُ وقد انجبرت الخواطر بالمُواساة. وإثرها قال الشّعب الجزائريّ كلمته: نعم للمُصالحة بُعداً للمُخاصمة، نعم للوئام، لا للطّغام، فحملنا غصن الزيتون، على جناح حمام ممنون. فماذا عساني أقول، أمام عجزي وتقصيري، وحسبي أن يكون خطابيّ بيانيّ. فإليكموه في بضع من السّطور، مشفوعاً بما في مضمونه من النّشور.

أيّها الحضور، هي كلمات بسيطات أقولها بمناسبة **(اليوم العالميّ للعيش معاً بسلام)** ونطرح السّؤال، كيف نعيش معاً بسلام؟ يجب العلم بأنّ السّلام يتنامى ويعيش؛ بدءاً من بيوتنا، ومن خلال رياض أطفالنا، وكُتّابنا، ومدارسنا، وعبر مُؤسّساتنا، ومَقرّات أعمالنا، هي ثقافة ينبغي تجسيدُها في احتواء الآخر؛ كبشر دون النظّر إليه أنّه يقاسمك المشترك أو التّاريخ أو الجيرة أو المعتقد أو الدين أو الجغرافيّة أو الإنسانيّة. العيش معاً بسلام هي الإقرار بالغيْر والاستماع إليه؛ ولو أنّه يخالفك الرّأي، وتجسيد لثقافة مأثورنا: **رأيك خطأ يحتمل الصّواب، ورأيي صواب يحتمل الخطأ.** في العيش معاً مسلّمات بدهية تُعرف بالعُرف أو بثقافة المدينة أو بما يجمعنا خارج بيوتنا، وهي من الشّأن العامّ، فلا جدالَ في أنّ البيئة قاسمٌ مشتركٌ، وأنّ النّظافةَ همّ الجميع، وأنّ النّظامَ من السّلام، والمعايدة جزء من تحمّل المُصاب، والوقوف في الشدّة واجب عرفي والابتسامة في وجه أخيك صدقة،

♥ – كلمة ألقيت في مقرّ المجلس الشّعبي الوطنيّ بمناسبة إحياء اليوم العالميّ للعيش معاً في سلام. بتاريخ 16 مايو 2018م.

وكاد الجار أن يكون وريثاً واحترام الجماعة من الانضباط والسّماع للذي يخالفك من الواجب، والتّماهي في ردّ الحقّ للمظلوم استبصار، وصدّ الظالم انتصار.

السّادة الأفاضل، إنّ ما أقرّت به اليونسكو على لسان رئيسنا هو إقرار للنسق الكونيّ في وضع الأشياء؛ فهي مُتكاملة، وأحياناً مُتضادة، وكلّ عنصر مسيّر لما خلق له، وهناك تعقّد تركيبية الطبيعة الماديّة، واختلاف النّاس في ألسنتهم وفي قيمهم، وهذا التنوّع هو منسج يتحقّق عبر وجود العالم أو الأشياء أو الأحياء وكان سبباً في الانتقال من السّكون إلى الحركة، بل هو سرّ تحقيق التّوازن بين المتخالفين؛ وصولاً إلى تدبير التّنوّع في كلّ الأنساق. وكذلك هو دستور اليونسكو الذي سنّ مادة تفيد أهميّة التنوّع في ثقافات العالم، وكذا التّنوّع داخل الثّقافة الواحدة حقيقة لا غبار عليها، وهو تنوّع مثمر وخلاّق. وجات العولمة توحّد العالم في قرية كبرى داخل التّنوّع المثمر. وتوسّع هذا المجال إلى الأخلاقيات العالميّة الجديدة والالتزام بالتّعدديّة وقضايا الشّأن العامّ العالميّ مثل الاهتمام بالطفولة وبالبيئة... ثمّ تواصل الأمر إلى الإقرار ببعض الحقوق من مثل الحقّ في الاختلاف، والاستماع للرأي المُضاد، والسّعي لتأمين التّوازن بين المجتمعات داخل المجتمع الواحد، والعيش معاً بلا جامع عرقيّ. وعمدة هذا الكلام الذي نريد تثمينه من خلال الطّرح الذي نال الإجماع الدوليّ هو الاستثمار في الثّقافة، فحبّذا المبتدأ والمنتهى، وحبّذا الاختيار والقرار. وهي سنّة عُمّار الأرض والاستخلاف فيها، والعيش معاً تنوّع ثقافيّ من عوامل توافق الآراء بشأن الأساس العالميّ لحقوق الإنسان والحكامة الديموقراطية، ومن الضّروريّ تمكين الأجيال للعيش معاً، والاستفادة من كلّ الثّقافات، تجسيداً للتفتّح، ورفضاً للانعزال.

إخواني الحضور، لا شكّ أنّكم تقاسمونني القول في مُتضمّنات هذا الكلام لكن كيف ينال موقعَه بين الأنام؟ **وكيف نُحقّقُ العيشَ معاً بسلام؟** وكان علينا نحن الخلَف استلهامَ فعْلِ السلف بالتّمام؛ في أنّهم عملوا على شدّ الهمّة على كلّ العوام وكانت لهم الانتصارات؛ ببناء الوئام فقبلوا الغير دون أوهام، واستقبلوا ثقافة الآخر

بالهُيام، وما حصل ما يُضير المَهام، ولا انبتتّ عنه ما يرفع السِّهام. لقد تعايشَ الجميعُ بإلهام، وحصل تبادلُ المصالح بابتسام، فهذا صوّام قوّام وذلك مُلحد بِمَرام وآخر عابد للهَوام، وما كان بينهم ما يُلام، وكان القاسمُ بينهم الشّأنَ العامّ وقاعدتهم عدم الإجبار على المُدام، فأضحى لهم ذلك من المستهام، بدويُهم ومن يعيش في إرام فكان العيشُ معاً في الختام، سلوكاً احتذَوْه لتحقيق السّلام.

أيّها الجمع الكريم، إنّ السّلام والعيش معاً خريطتُنا، ألم تكن صحيفةُ المدينة في عهد رسول الله مع اليهود بياناً على السّلام والسّماحة وحرية المعتقد وحقوق الإنسان وفيها التّعايش السّلمي بين الديانات والأجناس، بما يحمله الإسلام من الدعوة إلى المواطنة بالتّساوي في الحقوق والواجبات، وقبول الآخر بخصوصياته المختلفة: الدينيّة والثقافيّة واللغويّة إنّها **وثيقة نموذجيّة في العيش معاً بسلام؛** لأنّها لم تكتفِ بالتّنظير والإملاءات، وإنّما طُبّقت في الواقع العمليّ المعيش فكانت نتائجُها مُبهرةً على ساكنة المدينة؛ لأنّها استهدفت الإنسانَ دون النّظر إلى عِرقه أو دينه أو لغته، فاستفزّت الجميعَ، وحرّكتْ فيهم الشّعورَ بالانتماء إلى حيّز مكانيّ واحد؛ يتماسك بتماسكهم، ويهوى بتخاصمهم، فكان العيشُ بسلام النّواةَ الصُّلبةَ التي أرست لكلّ ذي حقّ حقّه. ولكم دينكم ولي ديني.

لماذا العيشُ معاً بسلام؟ نعيش معاً بسلام لديمومة الحياة وتواصلها، نقرّ باختلاف ألواننا وتكاملها. نعيش معاً لأنّ الوطنَ يجمعُنا، وخدمة الشّأن العامّ مقصدُنا. نعيش معاً من أجل التّفتّح على ساكنة العالم، ومعرفة خصوصيات البشر في المشترك والقاسم. نعيش معاً ليرقى العالم كلّ في مكانه، كلّ يعرف الآخر في محلّه. نعيش معاً لنكوِّن الأسرةَ الدُّوليةَ التي تُنافي الحروب وتبني الدروب. نعيش معاً لنبنيَ الحضارات، ونضيفَ اللبنات. نعيش معاً من أجل أولادنا ليعيشوا في أمان ويواصلوا دروبَ الحضارة بإتقان. نعيش معاً مع العالم لاستكمال المصالح المُرسَلة وتبادل الأفكار بالمنفعة، ألم يكن طريقُ الحرير عاملاً لتجسير المسافات وتقاسم الأحلام بالنّيات، طريق بلا جمارك بحرياً وبرياً كان أيقونة الالتحام جهرياً

ربط الشّعوب رغم اختلاف الديانات، وألوان البشر المعجبات. نعيش معــاً لبنــاء طريق الحرير الجديد، وطريق الملح العتيد، يربطان بين الشّعوب بالتّمجيــد. كــلّ بمقامه التّليد. وليس هذا من المُثير، إذا عقدنا الأمرَ المُنير. نعيش معاً من أجل مــا يجمعنا، ونترك الخصوصيات لذواتنا.

وفي الختام أقول: ما أجملَ أن نواصل العيشَ معاً بسلام، ما أجمــلَ أن يعــيشَ بلدُنا السكينةَ والهدوءَ، ويواصل درب مسيرة التّكامل دون نتوء، بمشاريع تعزيــز التّواصل مع آسيا وأوروبا وأفريقيا وأمريكا وأوقيانوسيا، وتعزيــز ثقافــة السّــلام العالميّ والازدهار الحضاريّ. وهنا تبرز الجزائر قــوّةً ناعمــةً؛ بحكــم موقعهــا الجغرافيّ كبوابة لقارتين عُظميتيْن: أفريقيا وأوروبا. فأنْعِم بها من دولــة نــروم أن تعيش الصيرورةَ الحضاريةَ في بُعدها المازيغيّ والعربيّ والإفريقيّ والمتوســطيّ والعالميّ، ولا يكون ذلك إلاّ بالشدّ على السّلام، والعيش معاً في أمــان، وبالسّــلام المستدام.

ويا أيها الحضور الأفاضل، بكم نَكبر ونُفاخر في المحافل، فإليكم تحايا المجلس الأعلى للغة العربية من كلّ المنابر، وفي كلّ المواقع والمعابر، وبهــذه المناســبة الدينيّة العظيمة التي يحلّ علينا الضيف الكريم؛ الشّهر الفضيل، نرفع دعاءنــا (ربّ اجعلْ هذا البلدَ آمنا وارزقه من الثّمرات الدائمة) وأدِمْ علينا نعمةَ السّلام، والعــيشَ معاً في وئام.

الشّيخ الزّموريّ♥

معالي الوزراء، السادة الشّيوخ، العلماء الأفاضل، أيّها الجمع الكريم، في هذا اليــوم السّنويّ الطّويل والذي يجمعنا هو الشّيخ الزّموريّ –رحمه الله–في لقاء علميّ نســتذكر فيه علماءنا الذين أفنَوْا حياتَهم لخدمة هذا الوطن، ونستعيد أمجــادهم الغــابرة وكانــت بلسماً لحياتنا الحاضرة، فأحرى بنا أن نذكرهم بخير؛ نظير ما قدّموه للــوطن. وهكــذا تُبنى الحضارة، فأمّة تتذكّر علماءها أمّة حيّة، فلا تُسجّل عليها ويلة من ويلات النّسيان أو الإهمال أو القطيعة. وهذا ما قام به **فخامةُ الرّئيس السّيد عبد العزيز بوتفليقة** مــن خلال تكريم الشّخصيات الوطنيّة والأجنبيّة والتي قــدّمت للجزائــر خــدمات معتبــرة ويدخل هذا الفعل في قائمة الأثرة والإيثار لمستحقّي التّوشــيح بوســام الجزائــر مــن الصّنف العاليّ، فأنعم به من فعلٍ حضاريٍّ، لا يأتي إلاّ من الكبار الذين يقدّرون أمجــاد الوطن، فهو الكبير، وأَنْعِمْ به من سياسيّ محنّك كبير!

إخواني، إنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة من خلال منبره (شخصيّة ومسار) يستعيد الذكرى الثّامنةَ والعشرين (28) لوفاة الشّيخ عمر أبو حفص الزّموريّ. وهــي ذكــرى علميّة لشخصيّة وطنيّة قدّمت إنتاجاً نفتخر به، وشخصيّة مجاهدة ضحت بما لهــا مــن فكر وتوجيه من أجل الرّقي الوطني، فالأحقّ الأحقّ أن تكرّم أمثال هــذه الشّخصــيات بجدارة، وتبقى أسماؤهم معروفة كي لا ننسى، ولننقل إلى الأجيال مجد السّلف الصّــالح للاعتبار؛ ليكونوا خير خلف لخير سلف. ولهذا نروم إنجاز هذا اليوم الدراســيّ للشّــيخ الزّموريّ بالاستماع إلى سلسلة من المحاضرات والشّهادات، والتعقيبات، ومــا يتبعهــا من الدعوات الصالحات، ونجعلها تقليداً يحتفى به في المناسبات. وسوف نعمــل علــى طبع الأعمال ضمن كتاب وسمناه (محاضرات الأربعاء). وهذا تقليد ترسّخ في الفعــل الحضاريّ للمجلس في إطار التّدوين، ونشر التّدوين فلا مكان للشــفاهيّة فــي ظــلّ الاستمراريّة المتجدّدة.

♥- ألقي الخطاب بقصر الثّقافة (مفدي زكرياء) بتاريخ 21 جوان 2018م بالجزائر.

السّادة العلماء، مشايخنا الأجلاء، نسعد بحضوركم، ومن خلالكم تعُود بنا الذاكرة إلى استحضار مجد السّلف الصّالح الذين كانت لهم بَصْمات وإسهامات في شتّى المجالات وكانت لهم إبداعات في العلوم المختلفات، بل ومنهم من آتى بما لم يسبقه غيره **كأحمد ابن نصر الداودي** أوّل شارح لصحيح البُخاريّ في العالم الإسلاميّ، **وابن معطى الزّواويّ** صاحب الألفية في النّحو، والباغاني من مدينة بغاني بولاية خنشلة من أوائل المفسّرين للقرآن العظيم، **ويوسف بن جبارة البسكريّ** صاحب **(الكامل في القراءات العشر)** والقاضي الطّبيب العالم الأديب أحمد التيفاشي، من مدينة تيفاش بولاية سوق أهراس صاحب كتاب **(ازهار الأفكار في جواهر الأحجار)** وهو كتاب في المعادن؛ وبلغة اليوم في الجيولوجيا **وعلي بن والي بن حمزة** من العاصمة في الرّياضيات، **وعبد الرّزاق بن حمادوش** في الطبّ وغير هؤلاء كثير. بلهَ الحديثَ عن علماء معاصرين أمثال الشّيخ أحمد حمّاني، والشّيخ بيوض، وأطفيّش والشيخ علي شنتير، والشّاعر مفدي زكرياء والمصلح مولود قاسم، والأستاذ أبو عمران الشّيخ، واللغويّ محمد فارح والباحث محمد الشّريف قاهر... والقائمة طويلة بهؤلاء الذين تفتخر بهم الجزائر وممّن كانت لهم خرجات نوعيّة في خدمة الثّقافة العربيّة، وحماية الهويّة الجزائريّة وإثراء المكتبة العربيّة والإسلاميّة بما جادت به قرائحهم، فكانوا بحقّ ألمعيين يُشار لهم بالاحترام، من مثل علماء بجاية وتلمسان، وعنابة، وبسكرة وقسنطينة، وتنس ووهران، وميزاب...

أيّها الحضور، إنّ المحتفي به اليوم، واحد من هؤلاء العلماء الذين كان لهم دورهم في الحفاظ على الهُوية الوطنيّة، والثّقافة الجزائريّة في أحلك عصور الجزائر، وهل هناك أحلك من عصر تكون فيه البلاد تحت نير الاستدمار الغاشم فكيف يتحرّك العالِمُ وكلّ خطواتِه محسوبة، وكلّ تحركاتِه مرصودة وكلّ تلفظاتِه مدوّنة، وكلّ لقاءاته مسجّلة. فما هي المنهجيّة الذكّية لقضاء المصالح، وإصلاح المعوّج ورفع الغبن والتّحريض على الثّورة، مع الإفلات من قبضة العدو. وهذا كلّه يتطلّب حكمة بليغة وسرعة وجيهة دون خطأ تُحاسب عليه، فتَخسِر نفسك ويُكشَف أمرُك. تلك حكمة

الشّيخ أيام الاستدمار، فكان المعلّم المُربّي المُوجّه المُحرّض الثّائر الداعيّة المُكوّن، وقد كوّن المُريدين الذين حملوا مشعل بناء الوطن.

إنّه الشّيخ عمر أبو حفص الزّموريّ، الأستاذ والإمام والعالم واللّغويّ والقطب الرّبانيّ صاحب كتب مهمّة وعالية الجودة، ويكفي أن نشير إلى عمل في قمّة الإبداع **(فتح اللطيف في التّصريف على البسط والتّعريف)** فله السّبق الصرفيّ التّعليميّ البسيط على الطّرائق المعاصرة. ماذا نقول في الشّيخ وهو من مواليد 1913 بزمورة، أو برج زمورة، أو في الحقيقة ولد ببلدية شلغوم العيد؛ حيث كان يقيم والدُه معلماً للقرآن، ولما توفي والده عاد إلى زمورة، وأكمل حفظ القرآن، ثمّ واصل دراسته على يدّ **أحمد بن قدور** الذي أجازه للتدريس، كما التحقَ بزاوية الشّيخ **الحاج الحسن الطّرابلسيّ** مُدرساً وكان في نفس الوقت يكتب في مجلة البلاد، وفي جريدة النّجاح. وكان جامعاً بين العلم والعمل والتّقوى والزّهد والوَرَع وهذا ما جعل منه عالماً بكلّ العلوم المتداولة في المنطقة، بل نابغة في مختلف العلوم الشّرعية واللّغوية والرياضيّة، وقد كانت له استدراكات على الأخضريّ في بعض المسائل الحسّاسة، وقد أورد هذه الشّهادة **الشّيخ الطّاهر آيت علجت.**

لا نريد أن نتحدّث عن كتبه وآثاره، أو عن شيوخه ومريديه، فهناك من يفصّل في هذا الأمر، بقدر ما يمكن التّعليق على الجوّ الذي عاش فيه الشّيخ، وعلى الجهود التي قدّمها من خلال مُحيط مُعدم وفقير وطبيعة قاسيّة، وجبال مانعة واستعمار غاشم، وأميّة متسلّطة، وتدمير للبنية القاعديّة، وكلّ ما يلحق ذلك من المآسي التي دمّرت النّفسَ الجزائريّة آنذاك، وأعادت الوعيَّ الجمعيَّ إلى الخلف سنواتٍ طويلة؛ إلاّ أنّ الشّيخ في نفسه همّة، وفي جوانيته عزيمة استمدّها من قول المصلحين "اشتدّي أزمةً تنفرجي" فقد رفع التّحدّي عن طريق التّعليم والاحتكاك بالعلماء، وبوعي السّياسيين، ورأى بأنّ عُمدة النّهوض الوطنيّ ورفع الجهل لا يكون إلاّ بالتّعليم، والسّير ضمن لواء التّحديث ومُجالسة العلماء ومُسايرة العصر والعمل الجادّ للخروج من الاستعمار، ومن كلّ تبعيّة الابتسار وكان ذلك عن طريق التّدريس المباشر واعتلاء المنابر، أو عن طريق

المحاضرات، أو تأليف كتب في المناظرات. وما لا يمكن نُكرانه أنّ الشّيخ كـــان فـــي محيط مُحافظ أحاطته الطّريقة الرّحمانيّة بمحـــدّداتها، وبمعـــالم جهاديّـــة كانـــت مـــن مرتكزاتها وكان له فيه وقع المعنى على المبنى، أضفى عليه ذلك السّبك الحبلـــى، مـــع تلك الأرمادة من الزّوايا، بما تحمله من الهداية، وكانت تنشر الوعيّ الـــدينيّ والـــوطنيّ والجهادي عبر منابرها الخطابيّة في تلك الجبال المانعة، وفي السّهول العاملـــة، دون أن ننسى أثر التّربيّة البيئيّة والمحيطيّة والتي تَشَكّل منها فكرُ الشّيخ واستوى على عوده في بيئة علماء، كانت لهم الوَجاهة والشّجاعة والحصافة والمناعة، والتربيّة والرّجولة.

إخواني، إنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة بمعيّة الفاضل آيت حمو، يرعى هذا اليـــوم الدّراسي ونروم أن نستفيد منه، ونتال بركات الشيّخ عن طريق مريدِه المُلازِم والـــذي يسهر في كلّ سنة على أن يعقد له لقاءً علمياً احتفاءً بما غرسه في طالبه مـــن محبّـــة وتفان وخدمة، فتنطبق عليه تلك المقولة "إذا أردت أن تستفيد في ســـنة فـــازرع قمحـــاً وإذا أردت أن تستفيد في عشر، فاغرس شجرةً، وإذا أردت أن تبقى حيـــاً وأنـــت مـــن الرموس، فاغرس بشراً. فأرى الشّيخ الزّموريّ قد استثمر في البشر وهـــم المريـــديون فمنهم المفضال آيت حمو حفظه الله، ونجله، وشيوخنا المتكلّمـــون اليـــوم، وبخاصّـــة المفضال الشّيخ الهُمام الطّاهر آيت علجت أطال اللهُ عمره، الذي أضفى على هذا اليـــوم نوراً على نور، وبما يقدّمه من شهادات ونسأل الله أن ينفعنا ببركاته.

أيّها الجمع الكريم، نحن سعداء بكـــم، وأنـــتم أصـــدقاء المجلـــس، وتكبـــر الكـــرّةُ باهتماماتكم، وما تُضيفونه من قيمة للمجلس الأعلى من أفكار واقتراحات تحسينيّة، وما تُهدوننا من عيوب، ونروم منها التّطوير في لاحقٍ من لقاءاتنا وأعمالنا، وما يُنجَز مـــن منشوراتِنا ومطبوعاتِنا، وما هو في موقع المجلس من خلال الانتشار الرّقمـــيّ الـــذي نُسايره باجتهاد، لنقول: إنّ العربيّة بخيْر، فهي تتطوّر يومياً في أحســـن ســـيْر، وتنـــال الصّدارة بالمرغوب، وبكم وبأمثالكم كانت من المطلوب، وها نحن نتلقّى مـــنكم الـــدّعم المعنويّ، وهو دعم دنيويّ وأخرويّ، وبالكلمة الطّيبة نرتقي، وبإهداء العيّـــوب نتّقـــي وبالجميع نكون من الفاعلين، فأنْعِمْ بكُم مِن مُريدين!

الشّعر بلسم مآسينا♥

ــ **ديباجــة:** أيّها الجمع الكريم، ورد في الأثر أنّه من لم يشْكرِ النّاسَ لا يشْــكرِ اللهَ، فالشّكر كلّ الشّكر للعاملين على الفِعْل الثّقافيّ فــي هــذه الولايّــة، وبخاصّــة العاملين على تحريك هِمَم النّشاط الأدبيّ والعلميّ في مدينة الورود، ونخصّ بالذّكر مؤسّسة ترقيّة الفنّون والنّشاطات الثّقافيّة والرياضيّة لمدينة البليــدة، التــي تحيــي ملتقاها حول الشّعر العربيّ في طبعته الثّالثة ونراها تستذكر ماضينا العتيد؛ حيــث التّسابق على إنشاد الشّعر الذي ينال شرفَ الرّفعة على أستار الكعبــة، وبالشّــعر يوزن مقامُ القبيلة، بما له من شاعرٍ وقِيلةٍ. وأراكم في هذا المحفل تُجسّدون مقولــة **(الشّعر بلسم مآسينا)** والشّعر حكمة ماضينا، بالفعل كان ذلك في الزّمــان الــذي ولّى، والآن ليس له رجعى، فقد تعافتِ المآسي، فما لها مكان بين الأناســي، أبعْــدَ المصالحةُ مآسي وإنّه بعد الوئام الوطنيّ حصل التّراضي والتّآسي، فلا غالــبَ ولا مغلوب، ولا منهزمَ مطلوب فالمنتصر الجزائر، وهي قويّة تفاخر، **فأنعمْ بــه مــن رجُل المصالحة رئيسُنا الذي فكّ العُقَدَ بالمعالجة.** وها نحن نعيش أيام الشّعر فــي البليدة، في هذه الأمسيّة السّعيدة، وترانا نقول: زِيدُونا أيّها الشّعراء شِعراً زِيدُونا.

أيّها الجمع الكريم، أجدني في مملكة الشّعراء، وأخالط فطاحل الكبــراء، وأنــا لستُ بشاعر التّقفيّة، ولا أحفظ سجعَ الكُهّان المقاميّة، فماذا عساني أقول. ليسمح لي الشّعراء إن دخلتُ زرعَهم باستئذان، ويعفوا عنّي زلات اللسان، إن قلت: إنّ الشّعر مملكة الإنسان، وجزءاً من حيواته بالبيان، وقد يفضي إلى الإفصــاح عمّــا فــي الجِنان، فالشّعر أغرودة أيام زمان، وأما الآن فيُقال: ليس له مكان، فهل ترضــون أيّها الشّعراء أن يُقال، هكذا كلام دون برهان، وأقيموا الحجّة بالشّعر دون تُكلان.

♥– كلمة أُلقيت في ملتقى الشّعر العربيّ في الطّبعة الثّالثة، حول (الشّعر بلســم مآســينا) تنظــيم مؤسّسة ترقيّة الفنّون والنّشاطات الثّقافيّة والرياضيّة لمدينة البليدة يوم 25 جوان 2018م.

أيّها الحضور، لقد ارتبط الشّعر منذ القدم بالشّعور وبالتّطهير وبالتّعليم، فقالت العربُ إنّه عطفُ القلوب على القيَم، لارتباطه بداهةً بالإنسان، ولذلك قال (ريتشارز) إنّ قراءتَنا لقصيدة أو استماعَنا إليها لا ينبغي أن يختلف عمّا نفعله حين نرتدي ملابسَنا، فهو جزء منّا نعيشه باستمرار، ويدخل في حياتنا على المرار وشعار هذا الملتقى (الشّعر بلسم مآسينا) يطرح سؤالاً ضمنياً مفاده: هل نحن بحاجة إلى الشّعر في عصر هيمَنَت فيه الصّورةُ والتّكنولوجيات الجديدة، ومواقع التّواصل الاجتماعيّ، وفرضت نمطاً مُعيّناً من الحياة، وحتى الشّعور الإنسانيّ إلى الحدّ الذي أصبح فيه الشّعر كائناً غريباً في حياتنا، وهل نحن بحاجة فعلاً إلى الشّعر؟ قد نجيب بأنّنا نحتاجه؛ لأنّنا نحتاج إلى وجودنا بما أنّ اللغة هي كينونتنا والشّعر لغة اللغة ولذلك هو يوجِدنا وهو سابق للموجودات كلّها؛ ولذلك يُصبح السّؤالُ هل نحن بحاجة الى الشّعر؟ مثل سؤالنا هل نحن بحاجة إلى الهواء والماء والنّهار والليل وغيرها من البديهيّات التي لا تحتاج أصلاً إلى السّؤال عن حاجتنا إليها؛ لأنّ الشّعر قلادة الوجود، وهو شيء موجود والموجود ليس من المفقود، بل كان من المردود، وكان زمانه قد ولّى، وأصبح اليوم ضرورة مثلى.

أيّها الباحثون، لا يزال الشّعرُ العربيّ كما عهدناه يحافظ على وظيفته الاجتماعيّة والثّقافيّة وحتى السّياسيّة، ولنا في شعر المقاومة الجزائريّة، وشعر الثّورة التّحريريّة مثال على ذلك على الرُّغم من إيمان كلّ الشّعراء أنّ الشّعر ليس انعكاساً للواقع؛ بل هو إبداع لواقع آخر أجمل ممّا هو كائن، ولذلك، فالشّاعر هو الكائن الوحيد القادر على الإنصات للوجود، ويُبصِر بما لا يُبصِر به النّاس الآخرون، ويلتفت إلى المُهمل، والموضوعات الضّائعة، ومشكلات الوجود، وتعريّة العالم والقادر على أن يمتدّ إلى أعماق الرّوح، ومن أجل ذلك يمكن أن يكون بلسماً من أجل إنقاذ الإنسان من التّقنيّة، وصرامة العلم والعقل والعلوم الدّقيقة، وتحريره من الماديّة. كما يمكن أن ينقذ اللغة أيضاً ممّا علق بها من كُسور، وما لحقها من ضُمور؛ على الرُّغم من أنّ الشّعر كان أوّلَ من كسّر القاعدة النّحويّة؛ حفاظاً على

النّغم؛ باعتباره ضرورةً نفسيّةً، وحاجةً وجوديّةً؛ تضمن انسجام الكائن مـــع نفســـه ومع الكون من حوله، ولكن يبقى الشّعر هو حارس اللغة، لأنّه يُرغم الشّعراءَ على أن يُوَظّفوها بشكل مختلف وأرقى وأعمق للتّأثير في النّفوس، ولذلك تظـــلّ الكلمـــةُ الطّيبةُ بلسماً قد ترفع الإنسانَ إلى أعلى درجات الارتياح فيرى في الكون ما تحجبه عنه الأُلفة والعادة، لأنّ الشّعراء لا يرضون بالمعاني المألوفـــة ولـــذلك يتـــبعهُم الغاوون، والغواية تكون في كثير من الأحيان بلسماً لجـــروح لا تنـــدمل، وتنـــدمل بشعر يصاحبه الأمل والعمل ورفْعِ المَلَل، فتوقظ الإنسانَ من وحْل المشاكل عنـــدما تضيق به الدّنيا وتجعل اللغةَ تُحدِث المعجزاتِ في النّفس وفي القلب وحتـــى فـــي الجسد. وهكذا تتفجر أمام الشّاعر العربيّ مُشْكلات عدّة لا تُهـــدد فقـــط طمأنينتـــه اليوميّة، بل مصيره ككلّ، الأمر الذي يفرض عليه أن يتخلّـــى علـــى التّهويمـــات والكلام الخاليّ من المعنى، ويُعيد إلى اللغة براءتَها الأولى في قـــدرتها علـــى أداء وظيفتِها في العلاج، واستعادةِ القيَمِ المُثلى التي كان الشّعر يضطلع بعطف القلـــوب وعلى المَهَمَّة الأساسيّة التي تجعل من الشّعر اليوم بلسماً، حتى وإن كان العالم كلّه اليوم علقماً.

أيّها الشّعراء، نُراهِن عليكم أن تقولوا: لا تستقيم الحياةُ فقـــط بـــالعُلوم وتُهمـــل الإنسانيّاتُ دون مَعْلُوم، وتؤدّى المعاييرُ بالحدود، دون مُراعاة الممدود، فهي الحياة لا ترضى إلاّ بالتّوازن وما يدخل في التّعاون، بين جانب اللوح، ومـــا لـــه علاقـــة بالرّوح. تلكم هي سنّة الحياة، فلا بديلَ لسنّة الخلق في الحياة، ولا تفاضـــلَ بينهمـــا حتى المَمات.

أيّها الشّعراء، لا تنسَوْا أطلالَكم، وأنشدُوا على بحوركم، أجمـــل مـــا يُلَـــذّ فـــي الأسماع، وبأرقى كلماتِ الإبداع، فاركبوا البحرَ الطّويل، فهـــو الفضـــيلُ، وغنُـــوا بالبحر الخفيف، فحركاته تميل إلى العفيف، واضربوا الرّبابةَ بالسّريع، فخيرُ الشّعر ما كان من السّريع، وميلُوا إلى البسيط وإنّ البسيطَ وسيط، واعفُوا عـــن المُتـــدارك

فليس لدينا الوقتُ للتدارُك ولا تتسوْا بحرَ الهَزَج فهو يُقرِّبنا إلى مستوى المَزَج، فأن ننقل مستوى الفصيح، إلى ما دونه، ولكنّه من المليح.

أيّها الشّعراء، في الحقيقة كلّنا شعراء بالطّبيعة، وكلّنا نحب الشّعر بالفِطْرة ونصنع سماعَ الشّعر بالحكمة، ونُنصت إلى الكلمة الطيّبة وكما قيل: إنّ الذّوق يصنعه صُنّاع الكلام، وحُذّاق السّبك بالمَرام، وحُلْوُ الكلامِ ما كان أعذبَه، وجميلُ القولِ ما كان أصدقَه. فكونوا أنتم صانعيه كونوا أنتم مُنشديه، فالكلمةُ الطيّبةُ تُؤتي أكلَها كلّ حين، وما يصل إلى الفؤاد بالحنين، ومن أراد أن يزرع لدهر؛ فعليه أن يقول خيراً، ومن أراد أن يُحمَدَ قولُه جهراً؛ فعليه أن ينسجَ الشّعر تحقيقاً، ويقول العبارات تدقيقاً، بأبيات من المقفّى الموزون، تنقل النّفس إلى المكنون فنِعمَ الشّاعرُ من أسهم في تدبير حُسْن الشّعر، ونِعْمَ الشّاعرُ الذي أضفى بكلامه فِعْلَ الخيْر. ولا ننسى أثرَ الشّعر المَلحُون، فهو شعر مَمْنون نرضى به في بعض المَحال، وله مقاماته في كلّ حال، وإنّه ليصيب القلبَ في الصّميم، بما يحمله من الكليم، ذي الأثر الدّفين، فهو تُراثُنا الأمين.

أيّها الجمع الكريم، لا أريد أن أُطيل، فقد تزاحمت الكلماتُ، وتداخلت العباراتُ ولا أُريد أن أطيلَ في الكلام، وأسهبَ عن مقام الشّعر في تربيّة الأنام، وما تُبنيه الموسيقى من الذّوق الرّفيع، وما تُدندنه النّايُ من الصّوت البديع، ولكنّي أخاف شهرزادَ أن تقول: اسكتْ عن الكلام المُباحِ، فالصّباحُ قد لاحَ. ولذا أنهي كلمتي أيّها الملاحُ، ولقاؤنا في مملكة الشّعراء في الصّباح ومساؤكم سعيدٌ في كلّ الأفراح. ويا ساكنةَ مدينةِ الورود، زيدونا تألّقاً بالمودود، واصنعوا بالشّعر بلسمَ مسارِنا العتيد وابْعثُوا أفراحَنا من جديد، ويا أيّها الشّعراء زُورُونا، وزِيدُونا شعْراً زِيدُونا.

الانغماس اللّغويّ♥

ــ مقدّمة: يسعدني أن أرحّب بكم جميعاً في هذا الملتقـــى الـــوطنيّ الموســـوم (الانغماس اللغويّ/ الإغماس اللغويّ/ الغمر اللغـــويّ/ الحمـــام اللغـــويّ/ إغمـــس ذيثمسلايث/ Emersion linguistique /Bain linguistrque) والذي نزعم أنّه يكتسي أهميّة خاصّة؛ لما يثيره من جديد في موضوع تعليم العربيّـــة بـــالفطرة أو بالممارسة العفويّة من خلال الغلق على المتعلّمين، وجعلهم لا يســـتعملون إلاّ لغـــة الهدف؛ للوصول إلى التّحكّم في أنماطها بصورة عفويّة أو اصـــطناعيّة دون إدراك القواعد التي تنتظم اللّغويّ داخلها.

وهذا الموضوع شبيه بذلك الفِعْل الذي كان يقوم به العـــربُ بإرســـال أولادهـــم للبادية؛ كي يكتسبوا فصاحة اللّغويّ من أفواه مستعمليها الخُلّص، باعتبـــار اللّغـــويّ وضع واستعمال، وكذلك ما يفعله الغربيّون في الوقـــت المعاصـــر بجعـــل المـــتعلّم الأجنبيّ في وضع لغويّ تامّ مع الأهالي الخُلّص؛ حيث يستعملون اللّغـــويّ بصـــورة عفويّة في مختلف المقامات والسياقات، وذلك ما يجعل المتعلّم يسمع أنمـــاط اللّغـــويّ ومسكوكاتها في صورتها الطّبيعيّة، ويحتذيها ليصبح ناطقاً عفوياً في تلك اللّغويّ إن لـــم نقل يأخذ صوَرها الشّكلية التي تجعله يستعمل تلك اللّغويّ استعمالاً حسناً وفـــي زمـــن وجيز جداً. كما يحصل هذا في تلك اللقاءات العلميّة الموســـومة بـــالرِّحلات اللســـانيّة/ الإقامات الجامعيّة، الجامعات الصيفية أو مايسمعه الإنسان بصورة دائمة في محيطـــه، وعن طريق التكرار تصطبغ لديه أنماط اللّغويّ، ويحتذيها ويستعملها بصورة طبيعيّـــة؛ حيث تتامت عبر السّماع اللغويّ، وكما يقول (ابن خلدون) السّمع أبو الملكات اللســـانية. وهكذا يمكن أن نقول: إنّ مُتعلّم تلك اللّغة يصبح مُتحكّماً فـــي اللّغـــة

♥ ــ أُعِدَ الخطابُ للملتقى الوطنيّ (الانغماس اللغويّ بين التّنظير والتّطبيق) المكتبة الوطنيّـــة الحامّة: 27– 28 جوان 2018م.

الأولى/ الثانيّة، ويستطيع من خلال التّداول أن يستعملها في التّواصل ويكتب بهـــا دون أخطاء، بل قد يكون ناطقاً طبيعيّاً بعد أن تتنامى فيه آلياتُ الاستعمال العفويّ، والترويض المستمرّ، ومع مرور الزّمن والممارسة الطبيعيّة الخلاّقة ســوف تأخــذ لغة الهدف أحيازها الطّبيعيّة لدى المتعلّم، وتصبح لغة مساندة في التّواصل.

أيّها الحضور، نستهدف من هذا الملتقى جملة أفكــار نــروم أن تُطــرح فــي مداخلات الباحثين من مثل: الانغمــاس اللغــويّ العفــوي، والانغمــاس اللغــويّ الصّناعيّ، والانغماس في تعلّم اللّغة الأجنبيّة إلى جانب ما نرشّحه بالقوّة النّاعمــة من مشاريع محلّ تجربة ناجحة، أو اقتراح مشاريع في الانغماس اللغويّ المــرتبط بقضايا حديثة من مثل: كيف يحصل الانغماس اللغويّ في المجتمعات العربيّة التي تستعمل العاميات لغة التّواصل، وهل هناك مشاريع لإغماس الأجانب لغوياً –فــي المحيط العربيّ– عندما يسمعون كلاماً ويقرؤون كلاماً يبعد في بعض خصائصــه عن لغة المحيط.... تلكم بعض الأفكار التي نريد طرحَها على المختصّين للنّظــر والتّمحيص. ومن وراء تجسيد فِعْل هذا الملتقى؛ الذي يعمل المجلس الأعلى للغــة العربيّة – بعد إذن وزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ– على تطبيقات إجرائيّة في خلاصة أعمال الملتقى من خلال إنجاز **جامعة صيفيّة تكون محلّ تطبيق** ونأمــل أن نصل إلى استكناه مشروع وطنيّ في تعليم العربيّة بطريق **الغمر اللّغويّ** مع من يُهمّهم الأمر، ومن ثمّ تأتي أفكار ومشاريع تمسّ كلّ جوانب الموضوع.

أيّها الحضور؛ إنّها فرصة ثمينة أن نستمع إلى الباحثين الذين يقترحــون علينـــا أفكاراً في الانغماس اللّغويّ/ الإغماس اللّغويّ/ الغمر اللّغويّ، والذين يقدّمون لنـــا مشاريع ناجحة أثبتت فعالياتها في المحيط، أو اقتراح مشاريع للتّطبيق، ويمكــن أن تنال موقعها في حسن استعمال اللّغويّ العربيّة في مختلــف المقامــات، وبحســب الأزمنة والأمكنة والمناسبات، ويمكن أن تكون هذه الاقتراحات كذلك محلّ عنايــة في إتقان اللغات الأجنبيّة. وهو فعل ينشده المجلس الأعلى للغة العربيّة في تحبيــب العربيّة للمتعلّم؛ عن طريق احتذاء تلك المناويل الأســاس بالممارســة قبــل فهْــم

قواعدها وكيف يكون المتعلّم مبتكراً لسلوكات لغويّة دون معرفة النّحو، بل كيف سيصبح ناطقاً مثالياً على غرار ما يقوله Chomsky. وهذا ما ينشده المجلس من هذا الملتقى؛ بتأكيد ترسيخ التّفكير باللّغويّ العربيّة التي هي لغة الكتاب والمعرفة والبحث العلميّ، والتّعبير الواضح عن الأفكار، وكلّ الأنماط اللّغويّة بشكل دقيق ومنظّم.

ولا نخفي عليكم، بأنّ مثل هذا الملتقى له أهميته الخاصّة في هذا الوقت الذي نرى بعض العثرات اللسانيّة تظهر في استعمال العربيّة، ونرى التّحرّز والتّحرّج في بعض المقامات حتى من قبل المتخصّصين، فما أحوجنا إلى وصفات علميّة تسدّ تلك الثّغرات، وما يخدش وجه اللّغويّ العربيّة الجميل، وحسن التّفريق بين المستويات اللّغويّة الثّلاثة:

1- المستوى اللّغوي الخاصّ بالعاميّة: وهي أنماط لغويّة بعيدة عن العربيّة الفصحى في مفرداتها وتراكيبها ودلالاتها؛

2- المستوى اللّغوي العاليّ والخاصّ باللّغويّ العربيّة الفصحى: ويشمل الأنماط اللّغويّة التّي نجدها تكمن فقط في بطون الكتب خاصّة.

3- المستوى اللّغويّ الذّي يجمع بين العربيّة الصّحيحة الفصحى والعاميّة وهي اللّغويّ العربيّة الفصيحة المعاصرة، وتلتقي فيها المفردات والتّراكيب عند استعمال متقارب بين المستويين الأوّل والثّانيّ (المستوى البينيّ/ اللّغويّ الثّالثة). وعن طريق الفصل بين المستويات ستحصل زيادة حصيلة المفردات اللّغويّة الفصيحة، إلى جانب سلامة الصّيغ والمبانيّ بصورة نسبيّة، وبناء الجمل والتّراكيب البسيطة. وكلّ هذا يكون في صالح تألّق العربيّة مبنى ومعنى، وبخاصّة إذا تضافرت جهودنا جميعاً في العمل على ترسيخ الملكة اللّغويّة الأصيلة وبصورة عفويّة، عن طريق إغماس لغويّ طبيعيّ. وعند ذلك تتنامى اللّغويّ من مرحلة البيت، وإلى ترسيخها في المدرسة، واكتمالها في الجامعة وتحسينها عبر وسائل الإعلام، وصولاً إلى التألّق في الأداء، وهي الصّورة الدّقيقة لامتلاك ناصيّة أيّة لغة.

أيّها الجمع الكريم: إنّ ما ينطبق على تعليم الكبار، أو تعليم الفئـــات المِهْنيّـــة أو تعليم التّخصّص يمكن أن يكون محلّ عناية في تقديم أفكار تخصّ منظومة التّربيّـــة الوطنيّة؛ حيث يمسّ هذا الملتقى الجوانب التّعليميّة للغة العربيّة بالفطرة على غرار الفعل التّعليميّ في إتقان الأطفال التّراكيب الأساس للغة العربيّة الفصحى في مرحلة رياض الأطفال، وفي المرحلة الابتدائيّة المبكّرة استماعاً وتحدثاً وقــراءةً وكتابـــةً بشكل كامل في نهاية المرحلة الابتدائيّة، إضافة إلى تأصيل حبّ القراءة وســـرعتها وجودة الكتابة، وسلامة الفهم. وهذا ما يؤدّي إلى زيادة التّحصيل العلميّ والتّفــوّق الدّراسيّ. ونرى هنا فائدة الانغماس اللّغويّ في المراحل الأولى من التّعليم كم هـــي ذات فائدة بما تديره على متعلّم اللّغويّ من سلوك احتذائي تعلّمي بسيط.

والشّيء بالشّيء يذكر، لا ننسى أنّ وسائل التّواصـــل الاجتمـــاعيّ، والقنـــوات الموضوعاتيّة في تعليميّة اللغات، وتلك البرامج التي أثبتت فعاليتهـــا فـــي احتـــذاء المناويل اللغوية التي يكثر دورانها كفيلة بتعزيزها وتحيينها واقتراح برامج ناطقة على النت/ Net تكون محلّ تعليم لغوي سليم، ويكفي أنّ أرمـــادة كبيـــرة تضـــخّ اللّغويّ الفرنسيّة في هذه الوسائل لتنال الإشعاع الدّولي، أليس من الحكمة أن نستفيد من مجموعة تلك التجارب، ويقع تطبيقها على العربيّة، بلـــهَ الحـــديث عـــن تلـــك البرامج التي نالت شهرة عالميّة بما قدّمته للعربيّة عن طريق مسلسلات الأطفال.

تلكم أبرز التّصوّرات والفرضيات التي بنيْنا عليها مفاصلَ هذا الملتقى، وغايتُنا الوصولُ إلى اقتراح برامج ومشاريع انغماسيّة واقعيّة تخـــصّ فئـــات المتعلّمـــين بمختلف أعمارهم ومستوياتهم وأوضاعهم وطلباتهم ولغاتهم الأمّ، فكيـــف السّـــبيل للوصول إلى اقتراح/ بناء مشاريع تكون في مستوى خدمة اللّغويّ العربيّة، وتُتلقّى بصورة طبيعيّة عفويّة عن طريق الانغماس اللّغويّ، ويكون لها أثر تشكيل وعيهـــا اللّغويّ باعتبارها لغة الحضارة الإنسانيّة؛ فهي طيّعة سهلة إذا التَمَسْنا أسبابَ أخْذِها بيُسر وسُهولة وحُسن استعمال. وبمقدورنا عند ذلك أن نُحوّل المتعلّمين من نُطـــق العاميّة إلى نُطق الفصحى السّليمة، وبإمكاننا أن نجعـــل أهـــلَ العلـــوم يســـتعملون

العربيّة الوسطى استعمالاً جيّداً، ومن ثمّ يمكن لهم أن يدرّسوا بها موادهم العلميّة بأريحيّة؛ دون أن ندخل الضّيم على مستوى لغويّ ما غير متوافق مع نمط الفصحى، وهذا يمكن تحقيقه مع تلك الأفكار والمشاريع والبرامج التي تلبّي حاجاتهم ورغباتهم وميولهم، وتلائم خصائصهم العلميّة.

أختم لأقول: ولكي يتحقّقَ طموحُنا يجب بناء مشاريع **منطلقها** لغة الطّفل و**منطقها** اللّغويّ العربيّة في صورتها العفويّة الأصيلة المُتطوّرة، والقابلة لثبات صورها وتغيّر دلالاتها، وهذا من خصائصها الذاتيّة. والعوَل في البداية على المدرسة، ومن ثمّ على وسائل الإعلام، فهاتان القناتان تبنيان القاعدة اللّغويّة وفي ذات الوقت تعملان على إشعاع اللّغويّ. كما أنّ نجاح هذه البرامج أو المشاريع ترتبط بالبرامج التّربويّة التّعليميّة؛ وهي ضرورة مُلحّة تربط بين الطّريقة التي تُقدّم والآلة التي تستعملها ونعرف دور الأخذ اللّغويّ/ التعلّم من الشّاشات التي أصبحت تُصاحب الإنسانَ في حلّه وترحاله فهل قدّمنا المشاريع في هذا المجال؟ وحريّ بنا فتح مشاريع وبرامج لسدّ ثغرات تعليم العربيّة لأهلها بصورة عفويّة، ولغير أهلها بصورة بسيطة سهلة.

والمهمّ أن نسمع للمختصّين، ونتبادل الأفكار، وذلك ما قد يكون نصف الحلّ لمسألة الانغماس اللّغويّ، وغايتنا أن نبدأ في اقتراح المشاريع، وفي اقتراح آليات التّطبيق، وكما يقال: تعالِ نبدأْ تعالِ نقترحْ، تعالِ نتشاركْ، فالمنهجية تأتي وتصحّح وتتطوّر، والطّريقُ تصنعهُ الأقدامُ.

الثوابت الوطنيّة ودورها في تعزيز اللّحمة الوطنيّة ♥

بسم الله والصلاة والسّلام على أشرف خلق الله، وبعد؛

إنّه لمن دواعي سرورنا أن يُسهم المجلسُ الأعلى للغة العربيّة في هـذه النّـدوة التي تقيمها الأكاديميّة الجزائرية للمُواطنة، في مدينة الجلفة المجاهدة، مدينة التّاريخ التي عرفت الوجود المازيغي بصورة طبيعيّـة، ومـن ثـمّ الوجـود الرومـانيّ والإسلاميّ والعثمانيّ والفرنسيّ على مرّ الأجيال الماضيّة، وكلّ آثـارهم شـواهد حاضرة. ولاية الجلفة بتضاريسها الصّحراويّة، ومـا عرفتـه مـن كرونولوجيّـة التّطوير من معالم حباها الله بها في الامتدادات السهوبيّة. ولايـة الجلفـة تفتخـر بعلمائها وشهدائها ومجاهديها وتطول القائمة بأسماء يحملها اللوح الخالد: مصطفى بن الطّيب بلعدل، بلعدل المسعود، لغريسي عبد الغني، ابن سليمان محمد، بلحـرش البشير، زيان عاشور...

وها هي ولاية الجلفة اليوم في قاعة ابن رشد تؤكّد حمل مهمّة تعزيـز اللحمـة الوطنيّة في الثّلاثي المتكامل: **المازيغيّة والإسلام والعربيّة**؛ وهو ثلاثـيّ إسـمنتيّ حديديّ، بل جدار بناه السّلف الصّالح عن قناعة وخيار، فلا مَحيد لنا عنـه وكيـف نكون خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ إذا لم نكن في مستوى فِعْل الأجـداد. أنتنكّـر لفِعْلهـم ونقول: إنّهم على خطأ؟ بلى، إنّ الفعل الذي قام به الأجداد هو عين الصّواب بعـد هذا الانصهار الذي تمّ عبر الأجيال، فلا مجال للحديث عن الأصيل، ولا البحث في قائمة الدّخيل، ولا مكان للتّراجع عن الماضيّ، ونعزّز الحاضر الداني فـأن نقبـل بالمراجعة المُضيفة، لا بالمراجعة المُنيفة.

♥ ــ كلمة الرئيس في افتتاح أشغال النّدوة الوطنيّة حول (الثّوابت الوطنيّة ودورها في تعزيز اللّحمة الوطنيّة) تنظيم الأكاديميّة الجزائريّة للمواطنة. ولاية الجلفة في 30 جوان 2018م.

أيّها الجمع الكريم، ماذا عسانا نقول، وأنتم تدركون ما يحيط بنا مــن المعلــوم وربّما ما هو من المجهول، فإذا وقع التّراخي في المعلوم، فمصيرنا مذموم، ونعيش الانتكاس بالمغلوب والغالب يُملي علينا المطلوب، وندخل في باب شذر مذر وحياة السبهلل الحدر، فهل نرضى أن نعود إلى تلك الأيام الخوالي، التي رأينا فيها الشــدّة بالتّعالي، وشاهدنا الأرواح تزهق باسم الشّعارات، وكان لها وقع الوخزات. ونقول جميعنا: ذلك الزّمان ولّى إلى غير رجعة، محاه الوئام الوطني بكلّ قــوّة، وتجسّــد بالمصالحة البينيّة. ولقد جفّت الدموع، وتأسّى الجميع في كلّ الرّبــوع، وكفــى الله الجزائريين شرّ تلك الأيام، وهي من أسوأ السّنوات بين الأنام.

وكان لفِعل **فخامة رئيسنا السيّد عبد العزيز بوتفليقة** وسام إطفاء الفتنة وكادت أن تميل بالبلاد إلى المحنة، إن لم نقل إنّها من السّنوات العجاف، وما رأينــا فيهــا العفاف. ويكون الرّئيس الرّبان الذي قاد السّــاريّة، إلــى شــاطئ النّجــاة العاليــة واقتضت المصالحة بالإلهام، فأنْعِم به من قائد ملهام!

إخواني، ماذا أُحدِثكم عن الثّوابت الوطنيّة، وقلنا في أكثر من مناسبة **بالمازيغيّة نبقى وبالعربيّة نرقى، وبالإسلام نُمتّن العروةَ الوثقى،** فلا ثغرة بينهــا ولا تكامــل دونها وقد جسّدها دستور 2016، بأنّ الإسلامَ دينُ الدّولة، والعربيةَ لغــةُ وطنيّــة ورسميّة وتظلّ العربيّةُ لغةَ الدّولة والأمازيغيّة كذلك لغة وطنيّة ورســميّة ثانيّــة. ونكبر أيّما إكبار، عندما يقع الاعتراف بمزايا التّعدّد اللغويّ الوطنيّ، وهي نظرات أكثر من نظرة واحدة، بل رؤية إضافيّة مُكمّلة للأصالة في صــورتها التّطويريّــة فما أجمل التّعدّد في بلد التّعدّد!

إخواني، إنّ ترسيم **الأوّل من يناير** عيد وطنيّ هو إقــرار بأصــالتنا، وترســيم الأمازيغيّة لغة رسميّة هو أداء مُشرّف لخصائصنا اللّغويّة فــي إطــار المواطنــة اللّغويّة، فهي رسالة تكامل وطنيّ نُحسَد عليه، فلا خوفَ على بلد مُتعــدّد اللّغــات حيث النّسق الكونيّ عرف كثرة العناصر المتكاملة وكلّ عنصر مُسيّر لما خُلق لــه فهناك تعقد تركيبيّة الطّبيعة الماديّة، واختلاف النّاس في ألسنتهم وفي ألوانهم وفــي

قيمهم، وهذا التنوّع مَنْسَج خلقَ أوجهَ التكامل، وكان سبباً في الانتقال من السّكون إلى الحركة وهو سرّ فكر الإنسان هو تحقيق التّوازن بين المتخالفين وصولاً إلى تدبير التّنوّع في كلّ الأنساق. هو تنوّع داخل ثقافة واحدة حقيقة لا غبار عليها "فلا تكون المُواطنة ناضجة في فعلها المجتمعيّ والسّياسيّ إذا لم تكن على دِراية بكلّ أوجه الاختلافات الثّقافيّة داخل النّسيج الاجتماعيّ[1]". ومن هنا، يجب أن نعلم أنّ التّنوّع الثّقافيّ أداةٌ معياريّةٌ، وكذلك هو إرثٌ ثقافيّ وإلزامٌ أخلاقيّ باحترام الإنسان كلّ في لغته وفي أدائه ويستلزم تأمين حماية ثقافيّة تحُول دون انقراض ثقافة أو لغة ما.

ولذا، كان علينا ألا نكسر أبواب النّصوص، ولا نتسلّق الأسوار، بل نبحث عن المفاتيح لقبول الآخر، ونقول: حبّذا الاختيار، وهو ثمرة من حُسن صناعة القرار. إنّ هذا الفعل ستحصل فيه مغالبة الإيجابيات للسّلبيات، والمُحصّلة فيه التّحوّل إلى مستقبل أفضل بما سوف تقوم به الأكاديميّة الجزائريّة للغة الأمازيغيّة من ترصيص اللغة المازيغيّة ضمن معياريّة اللّغات الطّبيعيّة، ومنطق الاستعمال الوطنيّ والتّنوّع المناطقيّ. والآن كفانا اعتذاراً لمن زادك اقتداراً. تعالِ نُعيد الكلمةَ للباحثين ولصنّاع الأجيال، ومن يحملون همّ التّدريس، تعالِ نبنِ مرجعيّةً ناجحةً في البحوث العلميّة وفي الكفايات المِهْنيّة، ووضع حدّ للتباطؤ، ونتفاءل خيراً بأنّ المُواطنة اللّغويّة سوف تكتمل بالتّنوّع الثّقافيّ المُضيف، وبحمايّة وإنعاش الثّقافات الوطنيّة، وتفعيل التّنوّع الثّقافيّ، وتمكين الأجيال للعيش معاً، والاستفادة من كلّ الثّقافات. وكلّ هذا ضمن ما يحفظ إنياتِنا وخصوصياتِنا، ويقول (مولود قاسم): "لا نَغلق النّوافذَ، ولا نُوصِد الأبوابَ، ولكن لا نقلع السّقوفَ".

---

[1] ــ محمد مصطفى القبّاج، شذرات (نصوص ومداخلات حرّرت تحت الطّلب) ط1. الرّباط: 2015، دار أبي رقراق للطّباعة والنّشر، ص 63.

أيّها الحضور الكرام، إنّ الاهتمام بلغاتنا الوطنيّة معناه تفنيد ذلك التّقرير الــذي ينصّ على انقراض المازيغيّة والعربيّة في القرن الحاليّ، هذا من جهّة، ومن جهّــة ثانيّة يعني ترسيس التآلف الوطنيّ من أجل التّنوّع الثّقافيّ، والثّقافة فــي مفهومهــا جمّاع السّمات الرّوحيّة والماديّة والفكريّة والعاطفيّة التي تميّز مجتمعاً عن غيــره وهي تشمل الفنّون والآداب وطرائق الحياة والحقوق والواجبات والأعراف والقــيم والتّقاليد والمعتقدات، وكان علينا التّخطيط لثقافتنا التكامليّة كلّ ثقافة بِمَيْسمِها وكــلّ لغة بخصائصها، وبالدين الإسلاميّ الجامع بينهما، وبالحضارة الشّرقيّة التــي هــي خريطة طريق ماضينا. فهو تآلف وطنيّ بقوة ناعمة كان ولا يزال يكبر كِبر هــذا البلد بعلمائه ومُسيّريه وشبابه.

أيّها الجمع الكريم، إنّ تعدّد اللّغات الوطنيّة هي باب الحداثة، فيجب على المرء التعرّف على شعابها أولاً، ثمّ إنزالها حسب وظيفة كلّ واحدة ثانياً، وبذلك يحصــل الانسجام الجمعيّ، وليس غريباً علينا أن تتعامل لجان الاتّحاد الأوربي بــأكثر مــن إحدى عشرة (11) لغة رسميّة، وتتعلّق التّسوية بين أكثر من لغة فــي بلــد واحــد بالوظيفة العامّة للغة، كما أنّ التّطبيق العمليّ يستدعي الخلط بين الأنظمة اللّغويّــة بدوافع براغماتيّة لخدمة السّلم الاجتماعيّ للمجموعات من أبنــاء الشّــعب الواحــد حيث يصبح المبدأ الإقليميّ مقرراً لعملية التوصّل إلــى تــوازن عــادل وممكــن واعتماد المبدأ المَرَن في إعطاء المحليات حقّهــا دون إجحــاف، ولــدينا تجــارب ناجحة؛ في بلجيكا وفي هولندا، وفي سويسرا، وفي الهند، وفي فنلندا وفي جنــوب أفريقيا... وكلّها تعكس التّكامل الوظيفيّ اللّغويّ، وتوزيع المهام بحسب ما تنتجــه كلّ لغة، دون احتقار أو إهمال.

أيّها الكرام، إنّ فعل الأكاديميّة الجزائريّة للمُواطنــة فعــلٌ نســقيٌّ يُــراد لــه الاستمراريّة في تمتين لُحمة هذا الوطن؛ الذي لم يأت إلاّ بأنهار من تلــك الــدّماء الزّاكيات الطّاهرات، وأراها تكبُر بمتابعة ما قد يكون مــن الأضــرار، فتحتــاط وتحتاط، وتُذكِّر وعسى أنّ الذّكر والذكرى والتّذكير يُنبّه الغــافلين. إنّ الأكاديميّــة

الجزائرية للمُواطنة تقوم بفعل حضاريّ رائد، وهو فعْل المجتمع المدنيّ الذي ينظر إلى الوطن الذي يأويه هو عُشّه الذي يموت دونه. إنّ الأكاديميّة الجزائريّة للمُواطنة تستشرف توجّهاتها بالنّزول إلى الميدان، عبر منابر خطابيّة عاليّة وتتعامل مع الواقع في تعدّده وتعدّد أطرافه، وتُرْصي الصّقوفَ صفاً واحداً لمواجهة الخارج عن العُرف فأنعم بكلّ أعضاء الأكاديميّة الجزائريّة للمُواطنة الذين يحملون همّ حماية الوطن! والعمل على تطويره فأنتمُ الأفاضل، وبورِكت خطواتُكم في ما تقترحون، وفي ما تقومون به من نشاط؛ يعمل على درء الشّبهات ووضع منارات الهدي لكلّ ما قد يأتي من تَعْدِيّات، ونُبارك لكم نشاطَكم، وسِيروا على بركة الله: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ التّوبة 105.

دور المكتبات الرّقميّة في النهوض بالمحتوى الرّقميّ باللّغة العربيّة♥

تأتي هذه النّدوة في إطار الاستمراريّة المتجدّدة التي سطّرها المجلس الأعلى للغة العربية منذ سبتمبر 2016م، وقد جعل الاهتمام بالمحتوى الرقميّ من الأوليات؛ بُغية أن يكون للغة العربيّة موقع مُتميّز في البرمجيّات، وفي الشّبكات العالميّة، إضافة إلى تجسيد توصيّة اليونسكو للمؤسّسات العلميّة والأكاديميّة واللغويّة على مستوى البلاد العربيّة، أن تكون النّدوات والملتقيات والورشات التي تُقام خلال سنة 2018، تحت شعار **(اللغة العربيّة والتقانات الجديدة).**

ولهذا، إخواني الحضور، نفيدكم بأنّ المجلس قد عمل على تجسيد الرّقمنة على مستوى منشوراته بصورة كاملة، وهي في سبع (7) شبكات عالميّة؛ يمكن قراءتها وتحميلها بالمجان وإنّ بوابة المجلس مفتوحة لكلّ من يريد الاطلاع أو الاستفسار أو المشاركة في النّدوات، وما يلحق ذلك من تقديم الاقتراحات والتّحسينات، علماً أنّ البوابة تعيش بصورة دائمة التّحيين الإيجابيّ. وأما مكتبة المجلس فيمكن الدخول إليها، وتقرأ منشورات المجلس، ونعمل الآن على جعل الرقمنة تمسّ قراءة آلية للكتب التي نملك النّسخ الإلكترونيّة. وهناك منصّة تشتغل بشكل جيّد والمسمّاة **(أرضيّة الجاحظ)** بالتّعاون مع شبكة CERIST.

كما نزفّ إليكم بأنّ منصّتين (2) قيد التّشغيل؛ تتعلّق الأولى بمعجم الثّقافة الجزائريّة، وهذه المنصّة ينجزها المجلس مع فريق تقنيّ من وزارة البريد والمواصلات السّلكيّة واللاسلكيّة والتّكنولوجيّات والرّقمنة. وهناك مشروع وطنيّ

♥ ـ قدّمت الكلمة في النّدوة الوطنيّة حول (دور المكتبات الرّقميّة في النّهوض بالمحتوى الرّقمي باللغة العربيّة). المكتبة الوطنيّة بالحامّة، بتاريخ: 15 جويلية 2018م.

كبير موسوم **(موسوعة الجزائر)** وهو جاهز نقدّمه إلى ذات الوزارة؛ لوضع منصّة حسب خصوصيات المشروع. وهناك منصّة أخرى شبه جاهزة ولكن تحتاج إلى تطوير، وسميناها **(مَعْلَمَة المخطوطات الجزائريّة)** وفيها رصيد معتبر من المخطوطات الجزائريّة أو تلك المخطوطات التي كُتبت عن الجزائر، وأنّ هذه (المعلمة) تُنجز شراكة مع المجلس الإسلامّي الأعلى. كما نعلم الحضور، بأنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة سبق له أن أنجز أعمالاً في المحتوى الرّقمي، ونشير إلى تلك الإصدارات التي كانت ثمرة الملتقيات والأيام الدّراسيّة، ومسايرة التّأسيس للإدارة الإلكترونيّة، بتقديم تصوّرات تأسيسيّة في ما ترومه الدولة الجزائريّة في تحسين أداء الخدمة العموميّة في الإدارة، عبر تحديث أجهزة تسييرها، وما يتبع ذلك من استخراج الوثائق البيومترية:

1ـ اللغة العربيّة في تكنولوجيا المعلوميات: تطوّر واعد، وتطوير متواصل 2002.

2ـ البُعد اللامرئيّ: التّحدّيّ الزمنيّ والإعلاميّ، 2006.

3ـ الثّورة التّكنولوجيّة العالميّة: توجّهات تكنولوجيا النّانو والمواد والأحياء وتضافرها مع تكنولوجيا المعلومات بحلول 2015. إصدار 2006.

4ـ البرمجيات التّطبيقيّة باللغة العربيّة، خطوات نحو الإدارة الإلكترونيّة 2009.

5ـ المحتوى الرّقمي باللغة العربيّة في نظام الإدارة الإلكترونيّة، 2011.

6ـ العقل العلميّ الجديد، 2013.

7ـ المحتوى الرّقمي باللغة العربيّة (النّشر الإلكترونيّ) 2014.

8ـ اللغة العربيّة وتحدّيات الإدارة الإلكترونيّة، 2016.

9ـ التّكنولوجيات الجديدة ودورها في صناعة اللغة العربيّة واستعمالها 2017.

ـ لماذا الرّقمنة؟ قبل حديثنا عن المكتبات الرّقميّة، نريد أن نجيب عن السّؤال التّالي: لماذا الرّقمنة؟ لنقول: إنّ الرّقمنة أصبحت قيمة مُتزايدة لمؤسّسات

المعلومات على اختلاف أنواعها كما أنّها تتمتّع بأهميّة كبيرة بين أوساط المكتبيين واختصاصيي المعلوميات، حيث يستلزم تشييد مكتبة رقميّة، وأن تكون محتوياتها من مصادر المعلومات مُتاحة في شكل إلكترونيّ، وعن طريق ذلك يتمّ نشر وإتاحة مجموعات النّصوص والكتب على الخطّ المباشر عبر الشّبكة العالميّة أو الشّبكة الداخليّة للمكتبة أو مؤسّسة المعلومات. ومن الجدير بالذّكر أن نشير إلى أنّ رقمنة مصدر المعلومات يزيد من إمكانيّة الاستفادة منه أحسن بكثير من التّخزين الورقيّ القديم، وأنّ الرّقمنة لا تستهدف فقط استبدال مقتنيات وخدمات المكتبات التّقليديّة بمجموعات وخدمات إلكترونيّة، فالهدف الرّئيس لها يكمن في تطوير وتحسين الاستفادة من مقتنيات المكتبات جنباً إلى جنب مع تطوير الخدمات المقدّمة. إضافة إلى حماية المجموعات الأصليّة والنّادرة والتّشارك في المصادر والمجموعات والاطلاع السّريع على المستجدات، وزيادة قيمة النّصوص، وإتاحة المصادر عبر منظومة شبكة المعلومات.

وأما حديثنا عن محتوى هذه الندوة، فنقول: إنّ الهدف من المكتبة الرّقميّة يتمثّل في البحث عن آليات رقميّة لتقريب المكتبة للقارئ، دون الانتقال إلى المكتبة العامّة/ الخاصّة ذات الهياكل المعروفة بموقعها الجغرافيّ، وكذلك التّفتّح على الثّقافات، وتوسيع حجم وتنوّع المحتوى الثّقافيّ على الشّابكة، وتوفير الموارد العلميّة للتلاميذ وللطلبة وللمعلّمين والعلماء وعامّة الجماهير، وبناء القدرات في المؤسّسات الشّريكة في تضييق الفجوة الرّقميّة بين اللغات وبين الدّول، والإسهام في البحوث العلميّة. وإنّنا من خلال هذه الندوة نعمل على توصيف النّظام التّقنيّ **للرّقمنة** كمنتوج للنّظام الاجتماعيّ البشريّ عموماً، وكتوجّه يزداد يوماً بعد يوم في مكتباتنا كخطوة مرحليّة اقتضتْها المُعطيات والمُتغيّرات المُتسارعة، للتحكّم في بناء المنصّات وفي تحسين البوابات الإلكترونيّة للمكتبات، ومن ثمّ نسعى لتقديم الأفكار التي قد تكون صرحاً للبناء المعرفيّ المُرَقمن لمؤسّساتنا التّوثيقيّة

والمعلوماتيّة، وإلى بناء مخزون معرفيّ لوطننا في مجال الرّقمنة. ويمكن إجمال الهدف من هذا اليوم الدّراسي في الآتي:

- "إتاحة الخدمة المكتبيّة 24 ساعة أو 7 أيام متواصلة؛
- تقريب المكتبة الافتراضيّة السّهلة المستجيبة لكلّ المصادر والمعلومات بالمجان؛
- إتاحة الكتاب وما يلحق به دون التّقيّد بالموقع الجغرافيّ؛
- إنتاج أشكال مختلفة من الملفات للمصدر الواحد؛
- توصيل المعلومات للمستفيد دون التّدخّل البشريّ؛
- تغيّير استخدام الأشكال المتهالكة والتالفة لمحتويات المكتبات التّقليديّة؛
- المشاركة في الموارد المعنويّة والماديّة".

إضافة إلى صيانة وحفظ المجموعات Préservation ضد التّلف والكوارث والفقد، مع ما يُصاحب ذلك من الرّبح الماديّ من خلال بيع المنتج الرقميّ.

إخواني، إنّنا اليوم أمام تحدٍ كبير اسمُه التّغيّير والسّرعة في كلّ شيء، فهل نحن في مستوى مُسايرة هذا التّغيّير، وبخاصّة في مُؤسّساتنا باعتبارها جزءاً من كينونتنا الاجتماعيّة، وإنّنا مختارون بين مستويين من التّغيير: مستوى أفقيّ يتعلّق بهيئة المكتبة وحالتها الحاليّة، وتغيّير على مستوى رأسيّ يتعلّق بالتّحولات التي طرأت على مؤسّسة المكتبات منذ بداية التّاريخ حتى اليوم. وتروننا اليوم نناقش هذه القضيّة ولو أنّنا تأخّرنا قليلاً، ولكن نحن أمام فرصة استكشاف الواقع الذي نهدف من خلاله إلى ضبط إيقاع تطوّره، ومن ثمّ مراقبته، وبعدها نعمل على رسم آفاق المستقبل في ضوء تركيبتنا الثّقافيّة والاجتماعيّة ومقدرتنا الاقتصاديّة وما نملكه من أفكار في هذا المجال بصورة معاصرة. ولا نعدم النّجاح في ما نصبو إليه، بل إنّ الطّريق تصنعه الأقدام، فكلّما نضع لبنة صلبة، كلّما نكون قد أرسينا خطوةً عملاقة في هذا المجال الذي يبني مجتمع المعرفة، فأن نكون ولا بدّ أن نكون، وإذا لم نستطع أن نكون، فمصيرنا العدم في هذا الكون، ولا ننطلق من فراغ، فأمامنا

تجارب ناجحة في تحديث الكثير من المكتبات العالميّة حيث بدأت بالمسح الضّوئيّ ثمّ عملت بنظام التّعرّف الضّوئيّ على الحروف ثمّ التّغلّب على كثير من المعيقات التّقنية المتاحة على وسائط التّخزين الورقيّ ومن بعد انتقلت إلى نظام المُصغّرات الفيلميّة، في الأخير تمّ التّغلّب على كثير من المضايقات، ومع ذلك لا تزال العمليات الرّقميّة في تلك المكتبات في تطوير دائم، ولكن نشهد بأنّ جهوداً وأموالاً ضخّت في مجال الرّقمنة، وأعطت أُكُلَها وها هي تلك المكتبات الآن تقدّم الخِدْمات العلميّة لزبائنها بارتياح ويرتادها الملايين من المريدين عن بُعد/ قُرب. وهذه من الأعمال التي تُحمّسنا على تقديم المشاريع في هذا المجال، وتجعلنا نتنافس في من يقدّم الأفضل، وصولاً إلى رقمنة مكتباتنا حسب المُستجدّ التّقانيّ، وبناءً على طلبيات/ رغبات الزّبون.

أيّها الحضور، لسنا في موقع الإفتاء في المحتوى الرّقميّ، بقدر ما نريد تعزيز المحتوى الرّقميّ للعربيّة وبالعربيّة، نريد إنتاج أفكار في الرّقمنة؛ بتقديم مشاريع تعمل على تصنيف مؤسّساتنا الوطنيّة في الصّدارة عالمياً، وإرساء حلقات الرّقمنة لبناء منظومة المكتبة الرقميّة وإضافة منشورات إلكترونيّة جديدة، والرّبط بين المصادر المتاحة عبر الشّابكة، بالاستعانة بأدوات وتقنيات البحث والببليوجرافيات والفهرسات الإلكترونيّة، وغيرها من أدوات الملاحة أو الغطس الشّبكيّ. وهذا كلّه يُبنى عن طريق أمثال هذه اللقاءات أو المُبادرات التي نروم أن تتكامل حلقاتُها عبر اجتهاد يجمع بين اللغويين ورجال المعلوميات، ويتمّ تطبيقه في بوابات مؤسّساتنا.

إخواني، لسنا هنا لنُحدّثكم عن استراتيجيات الرّقمنة في المكتبات ومؤسّسات المعلومات بقدر ما نشير إلى أهميّة رقمنة مكتباتنا التي تنتظر مُستجدات العولمة وتريد العيش مع الحداثة في أرقى تجليّاتها، والتّفكير جدياً في نوعيّة الخِدمات القِرائيّة للراغبين بيُسر وسرعة وسهولة وذكاء. تلكم هي المباني العامّة التي نروم أن تجيب عنها مداخلات المختصّين، وهؤلاء الغوّاصين الذين يبحثون عن الجواهر والدّرر في عالم افتراضيّ متطوّر، ولكنّه عالَم يُروّض إذا أجَدْنا آلياته. ونطلب من

الباحثين اقتراح المشاريع في هذا المجال، مع تقديم الحلــول لمســايرة الطّفــرات التّكنولوجيّة الحديثة. ونعلم أنّ تحدياتٍ كثيرةً وكبيرةً ليس من السّهل تخطّيها بيُســر ولكن تَعَالِ نبدأ ونقترح الحلول، تَعَالِ نقدّم المشاريع، تَعَالِ نبْنِ المنصّات، واعلموا أنّه ما ضاع علمٌ وراءه باحثٌ يعمل على رفع المُضايقات وما ضــاعَ جهــدٌ وراءه مُختصّ يعمل على حلّ أشكال المعلومات، وما ضاعَ حقٌّ وراءه صاحبه يُفــاوض في الاتّفاقيات لتخطّي الصّعوبات، وما ضاعَ مشروعُ رقمنةِ المكتبات وراءه رجــلُ المعلوميات. فأنْعِمْ به من ذلكم الشّخص! وأنعمْ بكم أيّها الأوفياء! ودُمتم لخدمة اللغة العربيّة، فبكم تفتخر، وبكم نفاخر، وبكم تنال العربيّةُ الصّدارةَ وبأمثالكم تكون لهــا الجدارة، ألستمْ خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ، بلى، كنتم فابقَوْا علـــى العهــد كمـــا كنـــتم وواصلوا الدّرب المنير، بما لكم من خطوات تستنير.

كلمة لطلبة التضامن الوطنيّ الطلابيّ♥

في هذه المناسبة العظيمة، مناسبة انعقاد الجامعة الصّيفية العشرين (20) للتّضامن الوطنيّ الطلابيّ SNE المصادفة لإحياء الذكرى المجيــدة لأحــداث 20 أوت 1955 وذكرى يوم المجاهد وذكرى مؤتمر الصومام، حيث نرى التّنظيم الوطنيّ الموســوم (التّضامن الوطني الطّلابيّ) يقيم جامعته الصّيفيّة العشرين، في جامعة العقيد أمحمــد بوقرة، وهذا التّنظيم الطّلابيّ كما عرفناه يعمل دائماً على تعزيــز الثّقافــة الوطنيّــة بمفاهيمها الكبرى، وبشعار ثقافة الدولة الجزائريّة، ثقافــة دولــة لا تــزول بــزوال الرِّجال، ثقافة تعزيز الوحدة الوطنيّة، وهي ثقافة وشعار رجــال نــوفمبر الشّــهداء ورجال الجهاد الأكبر المرابطين والمواصلين لرسّ الوحدة الوطنيّة من أجــل البنــاء الوطنيّ. ونرى التّضامن الوطنيّ الطّلابي بهذه الفئات الشّبانيّة المشبّعة بمبادئ ثــورة نوفمبر وبما لها من إيمان برفع التّحدّي، من خلال الجامعات الصيفيّة هــذه التــي تُربّي وتَبْني المواطنةَ وتعمل على تكريس ثقافة الدّولة؛ لتعزيز الوحدة الوطنيّة.

هي فئات شبانيّة آمنت بالتّضحيّة التي قدّمها السّلف، فكان عليها أن تقدّم ما عليها ليس إقراراً بالسّلف الصّالح فقط، بل مواصلة لتلك الفئات التي قدّمت الدّماء الزّاكيات من أجل الانعتاق من المستدمر. ونرى هذه الفئة أمامنا اليوم تُضحّي بعطلتها وتــأتي لزرع أفكار التّنوير، وحسن التّدبير، وصولاً إلى بناء مفاهيم القــوّة الناعمــة، التــي تتأتى من تبادل التّجارب بين طلاب الجامعات الوطنيّة في إطار التّطوّع الذي كــان فكرةَ الطّلاب، وقد بذرت أفكارها وها هي تُؤتي أكلَها في كلّ حين.

هي أفكار البناء الوطنيّ تدعيماً لبرنامج **فخامة الرئيس عبــد العزيــز بوتفليقــة الراميّة إلى تكريس ثقافة الدّولة،** وغرس ثقافة الوطن فوق كلّ اعتبار، والــوطن لا

♥ ـــ الكلمة التي ألقيت في الجامعة الصّيفيّة التي عقدها التّضامن الوطنيّ الطلابيّ في جامعة العقيد أمحمد بوقرة بمدينة بومرداس، أيام: 27–31 أوت 2018م. تحت شعار (من أجل تكــريس ثقافة الدّولة ونشر الثقافة الوطنيّة).

يُساوم، وهو خطٌّ أحمر. **أفكار الرئيس بوتفليقة** التي تجسّدت عبر خطبه العديدة للشّباب، ويقول لهم: أيّها الشّباب الطّافح الطّموح، أن تكونوا أو لا تكونوا كونوا كم عهدناكم، وكما تصوّركم أجدادُكم، ألا تكونون خير خلف لخير سلف؟ بالفعل نقول في هذه الجامعة، بلى يا فخامة الرئيس، سنكون كما تصوّرَنا السّلف الصّالح سنتبع خريطةَ الطّريق الدّاعية إلى غرس ثقافة الحوار، وسنكون الشّباب النّاشر للثّقافة الوطنيّة، ونزرع الأملَ، ونبثّ الحبَّ، ونرفع التحدّيَ، ونكسب القلوبَ ونكون في المستوى الوطنيّ المأمول، ونحقّق أمل الشّهداء والمجاهدين، ونكون لكم عوناً في ما تقومون به من أجل بناء الوطن، ومزيداً من التألّق الوطنيّ وعشتم مُعزّزين بشباب الجزائر.

وهكذا أيّها الحضور الطّلابي تصوّرتكم من خلال متابعاتي الكثيرة لكم أيّها التّضامن الوطني الطّلابي، وإنّ رعاية المجلس الأعلى للغة العربيّة لبعض أنشطتكم العلميّة، تدخل في باب خدمة الوطن في جوانب الاختصاص، وما كنتم تقترحون من أفكار تخصّ قضايا المواطنة كذلك تدخل في الانسجام الجمعيّ الذي كان ينادي به المجلس منذ التّأسيس؟ ويا ايّها الطّلاب، لقد عهدناكم في مدينة باتنة أنّكم فتحتم موضوع اللغة الأمّ، وعلاقتها باللغات الأجنبيّة، وأسهمنا معكم بما لنا من أفكار وتوجيه، وكذلك في مدينة البليدة عن ثقافة الدولة، وقد تحدّثنا عن معالم في ثقافة الدولة الجزائرية التي لم تتغيّر، بل تتنامى بمُراعاة الطارئ المتجدّد، وفي باتنة مرّة أخرى عن ثقافة التّسامح والوطنية، وكنتم أجدتم اختيار الموضوع، وكان المجلس معكم موجّهاً، ونراكم اليوم في هذه الجامعة تُجسّدون النّشاط السّنويّ من خلال الجامعة المفتوحة ذات الشّعار الوطنيّ (الجزائر والشّباب والتّحديات: تكريساً لثقافة الدولة) وهو شعار عزمنا على تجسيده معكم، عبر مرافقتكم العلمية من خلال تجسيد البرنامج العلميّ الذي سطّرتموه بخصوص الفرقة التّنافسيّة من خلال الأماسي العلميّة، ومن خلال ما يقدّم من محاضرات فكريّة، وأنشطة ترفيهيّة، وكذلك ما يلقى من حوار حول الجامعة الجزائرية ورهانات البحث العلميّ، والاستعداد للدخول

الجامعيّ... في حوار طلابيّ نروم أن يقع فيه تبادل الأفكار العاملة على القيمة المُضافة، وأن يقع تقديم المقترحات التي تعمل على تعزيز القدرات الجامعيّة في منوال العولمة وما تعرفه منظومة التطوير العلمي والتكوين والمنافسة، ورهان الجودة.

أيّها الشّباب الجامعيّ، إنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة يرافقكم عبر الأماسي اللغويّة، بعرض نماذج عن الانغماس اللغويّ، وهو برنامج وطني موسوم **(بين الجامعات)** يأتي تطبيقاً لتوصية النّدوة الوطنيّة حول (الانغماس اللغويّ بين التّنظير والتّطبيق) وقد قبل الإخوة في مكتب التّضامن الوطنيّ الطّلابيّ أن يقع التّطبيق الأولي في هذه الجامعة الصّيفيّة، بل سيكون للتّضامن الوطنيّ شرف الانغماس اللغويّ الذي تعمل به الدّول المتقدّمة في تبليغ لغاتها عبر الاستعمال العفويّ عن طريق الانغماس الفطري/ الصّناعيّ الذي نروم أن يكون عبر مواقع ومحال مصطنعة للوصول إلى تعلّم وأخذ اللغات بالعفويّة، بل يكون لهذه الجامعة السّبق في التّطبيق بغية استكناه مواقع القوّة لتحسينها وتدعيمها، ومواقع الضّعف لتفاديها. وعبركم أيّها الإخوة الطّلاب سنعيش أماسيَّ تعليميةً ممتعةً تعود عليكم بالفائدة، وتعود على لغاتنا الوطنيّة بحسن امتلاكها واستعمالها حسب المقامات والأحوال التي ترتبط بها.

أيّها الطلاب، دعوني أقول: إنّ الفكرة التي نريد التسابق فيها تصلح لكلّ اللغات وهي فكرة لم يسبق أن طُبقت في بلدنا، ويمكن عبر هذه التّجربة ان تكون محلّ تحسين وتصحيح وتطوير وبخاصّة أنّ التّجربة تمسّ اللغة العربيّة هذه المرّة، وفي لاحق من الزمان نروم أن تمتدّ التجربة إلى المازيغيّة، وهي لغة وطنيّة ورسميّة فالأحق أن تنال نصيبَها من الاهتمام. ولكن بالنّسبة للعربيّة علينا أن نتصوّر تلك المحال الاصطناعيّة لما للعربيّة من مستويين: مستوى الكتابة يبعد عن مستوى الخطاب العاديّ، مستوى خطاب الانقباض يبعد عن مستوى خطاب الأنس، وأحدث هذا شرخاً كبيراً بين المستويين، وهذا الشّرخ يُجبرنا على التّعامل مع العربيّة بخصوصيّة، طالماً أنّ صفة العفويّة غيرُ قائمة في خطاب الأدب العاليّ.

أيّها الحضور الطّلابيّ الكريم، يحضر معكم المجلس الأعلى للغة العربيّة كما سبق أن حضر معكم في المناسبات السّالفة، ومن خلال لقائنا بكم، عبر الطّلبة الباحثين الذين أعدّوا لكم **(بين الجامعات)** ونسعد بكم وبممثليكم الذين فتحوا لنا باب التّعاون العلميّ البيني، وباسمي الشّخصي وباسم زملائي في المجلس، نرفع لكم تهاني عيد الأضحى المبارك، ونسأل الله أن يجزينا أجر الأضاحي، كما نرفع لكم تحايا المجلس للعاملين في الخفاء؛ لنصل إلى هذا اليوم الذي نحتفي بافتتاح الجامعة الصّيفيّة في طبعتها العشرين. ومن محاسن الصّدف أن المجلس الأعلى للغة العربيّة سيحتفي في الشّهر القابل بالذكرى العشرين لتأسيسه.

ويمتدّ الشّكر ويتّسع للفاضل الرئيس الشّرفيّ (عبد الحكيم مقدود) وهو الذي بذر بذرة باتنة وقد أثمرت، ونحن نقطف نتائجها اليوم، وإلى الفاضل (محمد تعمالت) الأمين العامّ الذي كان حريصاً على تجسيد هذه الفعاليّة، بل كان مشجّعاً لتطبيق لغويّ وطنيّ من خلال تطبيق توصيات النّدوة الوطنيّة حول الانغماس اللغويّ. وها نحن لبّينا النداء، وآذاننا مصغية لكم في ما تقترحونه وما تطلبونه من المجلس وفي حدود اختصاصه، ويجمعنا القاسم المشترك (الجزائر أولاً الجزائر ثانياً، الجزائر أبداً). تلكم المعالم الكبرى التي تُقرّبنا وتُجبرنا على تكاتف جهودنا من أجل ثقافة الدولة الوطنيّة، ومن أجل المواطنة في صورتها الطّبيعيّة.

تلكم كلمات المجلس الأعلى للغة العربيّة، ونزعم أنّها صدرت بصورة عفوية وهي من القلب ولا شكّ أنّها وصلت إلى القلب، إلى قلب الشّباب، شباب الأمل شباب المستقبل، شباب رجل الغد، وهو طالب اليوم. والمجلس معكم في مشاريعكم، وفي مقاولاتكم، وفي تلك الأفكار التي تعمل على جبر الخواطر والنّظر إلى المستقبل بنظرة الأمل بالغدّ المشرق، أمل تحقيق المرامي بعيداً عن كلّ تيئيس وتبئيس. ولكم الودّ الذي لا يرتمي، ولكم الاحترام الذي لا ينزوي، ولكم كلّ ما لا ينتهي.

بومرداس: 28 أوت 2018.

الاستمراريّة المتجدّدة♥

ــ **ديباجة:** أيّها الجمع الكريم، يا من تلبّون نداءنا المستديم، ماذا عساني أقول في حضْرة أصحاب الفضْل والقوْل، فأجد الكلماتِ في تزاحمٍ، والأفكار في تصادمٍ، وكيف أقبض على المسكوكات المناسبة لمثل هذه الاحتفائيّة المُزامنة لعَشْريتيْ المجلس وقد مرّتا، ومن الزّمن الماضي كانتا. فمن أين أبدأ الكلام وأخاف أن تخونَني عباراتُ المُرام، عن الاستمراريّة المُتراتبة، بمُسمّى **الاستمراريّة المُتجدّدة.**

أيّها الجمع الكريم، عقدان من الزّمان من الثّقلان، وقد سددنا الكثير من النّقصان، حتى أصبحا يتّصلان كما تشير أعمالهُما بالبرهان، وإلى صوْلات المجلس في كلّ الأركان، وهو يبدع بالعيان، ونروم أن نلجَ طريقَ الشُّهران ونحن نعمل على تطوير لغة عدنان، وسنبقى من سدَنَتِها العقبان.

إخواني الحضور، دعوني أقول: أُعيدُ الفضلَ لصاحب الفضل، **فخامة الرئيس السيّد عبد العزيز بوتفليقة** الذي دعّم المجلس منذ البداية، ورعاه في مرحلة التّهيئة ويأخذ به إلى مراحل التّقوية، ويتنامى المجلسُ بالتّطوير، برعاية عاليّة تنير، ونقول لصاحب الفضْل من برامجكم نُنتج الأفكار، وأنتم دائماً تصنَعون القرار. **فأنْعِمْ بكم من حاكم مِنوار! وأنتم للمؤسّسات مِعمار.**

إخواني، في هذه المناسبة، أردّد ما وَرَدَ في الأثر، من عبارة أحسبُها نورَ القمر "إنْ أحسنَ اللاحقُ فإنّ الفضلَ للسّابق". وردّ الأفضال يكون لذويها؛ لأنّه لولا الأساسُ ما كان وَسْطاها، ولا يتواصل بَعْداها، بالسيّد الرّئيس عبد الملك مرتاض كان التّأسيس، وبالسيّد الرّئيس محمد العربيّ ولد خليفة حصل التّرسيس

♥- قدّمت الكلمة في الاحتفائيّة المُزامنة لعَشْريتيْ المجلس الأعلى للّغة العربية، بالمكتبة الوطنيّة بالحامّة، بتاريخ: 23–25 سبتمبر 2018م.

وبالسيّد الرّئيس عزّ الدين ميهوبي تواصل التّحميس. هو زمان وصْل تفاعليّ في سلسلة عقد تكامليّ، كان لي منها عقدُ حصول الفائدة، للسّير في ظلّ **الاستمراريّة المتجدّدة؛** استمراريّة الخطّ العتيد، في ثوبها الجديد.

السّادة الرّؤساء، من لا يشكرِ النّاسَ، لا يشكرِ اللهَ، لكم منّي ومن كلّ العاملين في المجلس كلّ التّحايا وما يليق بمقامكم من ذكر السّجايا، لما قدّمتموه من جهود وما أرسيتموه من حدود، فلولاكم ما كنّا وما واصلنا الدرب إلى هنا، فأنتم البُناةُ الأُوَلُ، وعليكم في البدء كان العِوَلُ. فهذا الأستاذ عبد الملك العفيف، شيخُ الأدب العربيّ المُضيف، هو اسمٌ كبيرٌ في الأدب، وقد أبدع فيه بكلّ أرَب أستاذ بامتياز وعلمُه غزير بارتكاز، وأشهد أنّ مؤلّفاتِه روائعُ لا تُنسى، وأنّ أعمالَه دُررٌ لا تُمسى. وحقُّه عليّ وصفُه بالمشتاق، فهو طاهر القلب راق، وتلاه الاشتياق، ومن ثمّ ذاق، ويا أستاذي غابتْ أيدينا عن مصافحتكم ولكن كنّا نرسل قلوبَنا تُعانقكم.

وهذا المفكّر ولد خليفة، صاحبُ الأفضال بأناقة، يستشرف الأمورَ عن دراية أراه يغوص في التّفكير ويعود حاملاً خطّ التّدبير، أستاذ له من الرّصانة ما أكسبه المهابة، وتلك سنّته التي تُوصِل إلى الغاية وما عرفتُه إلاّ ماسكاً قلماً وما فارقتُه إلاّ وجْهاً ألقاً. وعهدي بكم يا صاحب الفضل كنتمُ الشّخصَ المتواضع؛ والذي كلّما رآكم النّاس أو استمعوا إليكم يقولون: **العربيّة بخير**، وتتألّق دون نيْر؛ لأنّكم أكملتم المسيرةَ، وأرسيتم الوتيرةَ، فتركتم بصماتٍ تُنير، بفعْل حسنِ التّدبير. محمد العربي إنّه الشّخص العمليّ، ومحرّك المجلس المنهجيّ، وكلّما دخل مؤسّسة لا يصرخ ها أنا ذا، بل يجعل النّاسَ تقول: ها هو ذا.

وهذا الشّاعر عزّ الدين الأريب، ألمعيّ أديب، يغوص في أعماق الشّعر المقفّى فيعود حاملاً عبارات أوفى، فارتياضه للشّعر أكسبه التّباريّ، وينال دائماً درجةَ التّعاليّ. شابٌ مثّقفُ ذو دراية، وكان لمهنته صاحبَ الغواية، ومثلي فيه ذلك الشّيخ الحليم، الذي مارس الحياةَ في الصّميم، وأراه يقول: إنّ كسْبَ القلوب أولى مِن كسْبِ المواقف وأجلى، علينا أن نعملَ على بناء الجسور، فننقلَ الأمانةَ

بالعبور. فأراه لا يتعثّر، وكلّ خطواتّه لا تتعنتر، وذلك ما صِيغ منــه الشّــخصُ القرير، أليس ذلك كذلك يا معالي الوزير.

فيا أيّها الرؤساء السّابقون، ففي سجّل المجلس أنتم خالدون، أخذنا منكم العِبَــر بإمعان، وتعلّمنا منكم ما يجمعنا دون رِهان، وما يجعلنا نحترم الأمثــال، وهــي مصحوبة بالأفعال، تلكم شِيمكُم تجمعنا، ومن خصــالكم اســتفدنا، فــلا نحــاول الانتصار في كلّ الاختلافات، مهما بلغت درجة التّمايزات. وها نحن اليــوم نفــي بوَعْدٍ قطعناه أن نحتفي، بمرور عشريتيْن من التّأسيس، ونُكرّم كلّ من أسهم فــي الــتّأسيس وفي التّرسيس وفي التّحميس، وشعارنا في ذلك أنّ نزجيَ لكم التّقــدير لصنيعكم المُنير، فالأمم الحيّةَ تُكرّم رجالها وهم أحياء ولا تنسى عظماءهــا وهــم أشلاء.

ويا أيّها الحضور الكريم، ويا من عشقهم اللقاءَ القــويم، نُرحّــب بمشــاركتكم احتفاءَ المجلس، فقد كنتم له خيرَ مُؤنس، ويا أيّها الأصدقاء، وقد عهدناكم أوفيــاء فابقَوْا معنا لنصبحَ أقوياء، والأصدقاء الأوفياء مثل اليدّ والعين؛ إذا تألّمــتِ اليــدُ بكتِ العينُ، وإذا بكتِ العينُ، مسحتْها اليدُ. فأهلاً بكم في بيتكم، ومرحباً بكم فــي عُشّكم.

يا أصحاب مِهنة المتاعب، لكم تحمّلتمونا في المصاعب؛ إذ نشكر لكــم وُدَّكــم الجميل، وفعلَكم النّبيل نشكر لكم فعْل ما تخدُمون، ومن أجل الوطن تُبدعون فابقوا معنا مُساندين، ولأعمالنا ناشرين، ونفخر أنّنا كسبنا الإعلاميّين المُخلصين وأنــتم من الصّنو الرّصين. واشهِدوا معنا مرور عشريتين من الزمن كانتا، وهــا همــا اليوم صارتا، من الماضي التّليد، ونحن نعيش الحاضر المديد، واكتبوا ما تروْنَــه من المنجزات، وما يدخل في برامجنا من المُستقبليات.

ويشمل التّكريم صاحبةَ البيت الجامع، هذا الصّرح المانع، الذي يجمعنا في كلّ المناسبات، وفي إقامة النّدوات، فأنعم بمسيّري المكتبة الوطنيّة، الــذين يخــدمون المواطنة الثّقافيّة. ونردّ الجميل للمُسهم الوطنيّ موبيلس، وهو اليوم خيــرُ جلــيس

بما قدّمه للمكرّمين من هدايا، وبما أغدق على لجنة التّحكيم من عطايا ونحن نقدّم لك وسام التّرفيع، من أجل هذا التّشجيع.

واليوم نحتفي بالفائزين بجائزة اللغة العربيّة، وجائزة اللغة العربيّة وسام وقضيّة، وأنّ الفائزين لهم شرف الحصول على علوّ المنزلة، بما أبدعوه من تميّز يليق بهذه المَهمّة، وما قدّموه للغة الأمّة، فتهانينا لكم أيّها الفائزون، وزيدونا تألّقاً أيّها المبدعون، وأراهم يقولون: يحترمنا العالَمُ عندما نُنتجُ العلمَ بلغتنا ونضعُ المعرفةَ في لغتنا وبلغتنا. ونردّ الأفضالَ لبعض من خدم الشّأن العامّ، فنزجي لهم خالص التّقدير الهامّ، وأراهم يقولون: نحن مثلُ الشّجرة، كنّا نعطي البَرَكَة وقد نُغيّرُ المُحْتَوى، ولكن نحافظ على المَبْنَى، وما قُمتم به يدخل في باب جَبْر الخاطِر، وقد نِلْنا التّشجيع من بيتنا العامِر.

ويمسّ التّكريمُ بعضَ أعضاء المجلس السّابقين، والذين كانوا في قائمة المنتظرين، زملائي لم ننساكم أبداً، وأجدر بالمجلس أن يمدَّ لكم يداً، وتستحقّون كلّ التّقدير، وأنتم من أوائل فئة التّنوير، وفيكم أردّد قول الشّاعر:

أبلغْ عزيزاً في ثنايا القلبِ منْزِلةً	أنّي وإنْ كنْتُ لا ألقاه ألْقاهُ
إنّ طرْفيَ موْصولٌ برُؤيتِه	وإنْ تباعدَ عنْ سُكنايَ سُكْناهُ
يا ليتهُ يعلمُ أنّي لستُ أذكُره	وكيف أذكرُه إذ لسْتُ أنْساهُ
يا مَنْ توهّمَ أنّي لستُ أذكُره	واللهُ يعلم أنّي لسْتُ أنْساهُ
إنْ غابَ عنّي، فالرُّوحُ مَسْكَنُه	مَنْ يسْكُنِ الرّوحَ، كيفَ القلبُ ينْساهُ

ويا أيّها الأساتذة، يا من جئتمونا للفعاليّة العلميّة، التي تصحب الاحتفائيّة بميسم اللغة العربيّة والتقانات الحديثة، وهي تجسيد لتوصيّة اليونسكو، وتزكية الألكسو فنقول للمحاضرين، مرحباً بكم، فأنتم من المُسْهمين، وألف تحيّة لحضور الاحتفاء وبورِكتم قبل الابتداء.

إخواني، لقد أطلت التّقديم، واعذروني إنْ حصلَ التّعميم، ولكن هي مِنْ مُقتضيات المناسَبَة، وما تستدعيه الاحتفائيّة، فالمجلس يحتكم إلى دستورٍ حاكم وإلى عملٍ قائم، ومكنزُه نشاطٌ دائم، وهذا تخطيطُ الحاضر لما ترومه مرجعيات الآمر. ويتألّق المجلسُ بافتخار، بمنشوراته التي نالتِ الاقتدار، وبمجلاته الثّلاث ذات الابتصار، في منصّات عالميّة الانتشار، وبمنابره الثّلاثة ذات الانبهار؛ فهذا حوار الأفكار وذاك شخصيّة ومَسار، وفي فرسان البيان، تسمو الكلمات للعيان. وبفِرَق المجلس الكثيرة، توزّعت مهامُها بالوتيرة: كلّ فرقة بمشروع، والكلّ في تفانٍ مسْموع. ودخلنا تحدّي الرّقمنة، ونُراهن على تطوير العربيّة بالمنفعة وكلّ الأمور مُرتّبة وبمنطاق الحوسبة حصل اقتصادٌ في الورق، ودخلنا العولمة بألَق. بلهَ الحديثَ عن المشاريع مع الوزارات، ومختلف الهيآت، فقد قطعنا شوطاً في تجسيد المَعْلمة، بما تقدّمه وزارة البريد من رقمنة، وبشراكة المجلس الإسلاميّ الذي دفع بالمشروع للتّسامي. ومع وزارة الفلاحة، أنجزنا قاموس الفلاحة بجدارة. وينال المجلس مكانة في وزارة التّعليم العاليّ، إلى مصاف التّعالي، فكانت لنا مواقع في الجامعات، ونلنا الثّقة بالمنجزات. ويُطلب وُدُّه من وزارة الداخليّة في تصحيح الأخطاء اللغويّة. ويحظى المجلس في وزارة الاتّصال بما قدّمناه للتّكوين من اعتمال وبمُدوّنة كان لها المُرام، في حسن استعمال لغة الإعلام. وينال المجلسُ موقعَه مع وزارة البيئة، في مُنجز الطّاقة، وبشراكة المحافظة، أسهمنا في شرف المواطنة. ومع وزارة السّياحة أنتجنا قاموساً ذات العلاقة. وفي كلّ هذا نردُّ الجميلَ لأهل الشّراكة، بتكريمهم على خِدّماتهم العملاقة، ونقول لهم: بورِكَت خطواتُكم الجبّارة.

ويستدعي هذا الخطاب، دون فصل في ذات الكتاب، بذكر المشاريع الكبرى رغم أنّها تعرف التّحضيرات الصّغرى، وفي ذات الوقت تسير بِخُطْوات التُؤُدة وهذا بغية نجاح المَهَمَّة. هي مشاريعُ قيْد الإنجاز، ونحسبها مضمونةَ الإنجاز دون

إعجاز وهِمّتنا فيها ما ضاقَ عملٌ وراءه دولة، وما ضاعَ مشروعٌ وراءه رجـــال دولة، فأَنْعِمْ بكلّ المشاريع السّديدة! وأَنْعِمْ بصنيع دولتنا المجيدة!

إخواني الحضور، ربّما نسيْنا بعضَ الأمور، وقد لحقتنا بعضٌ من نقود الشُّعُور لكن لا ننكر أنّ المجلسَ يعيش التّألّق، بفضل ما أَرْسَى لبناء التّفوّق تلك سنة الحياة في دوران، ومن طبيعتها السّريان؛ فالأمسَ كان عِبرةً، واليومَ أصبح خِبرةً، وغداً تصحيح خُطوة، ولا شيءَ في الطّبيعة يعــيشُ لنفســه: النّهــرُ لا يشــرِبُ مــاءَه والأشجارُ لا تأكلُ ثمارَها، والشّمسُ لا تُشرقُ لذاتِها، والزهرةُ لا تعبــقُ لنفســها فهذا يغرس الفسيلةَ، وذاك يواصل السّقايةَ، ويأتي من يكون الخميرةَ، وربّما علـــى يدّ الآخر تكون النّتيجة. وهذه هي **الاستمراريّة** المطلوبـــة فـــي ظـــلّ المشـــاريع المَمْدودة، وخريطتُها الإنابة، وبرامجُها الإضافة.

إخواني الحضور، إليكم جميعاً أقول: إنّ بعضَ النّاسِ كالأوطان؛ فِراقُهم غُربة ووجودُهم نِعمة، فأنتم الحبُّ والنِّعمةُ، وأنتم الأنْسُ والصُّحْبَةُ، فكونوا دائمـــاً معنـــا وكونوا أبداً جَنْبَنا. وينتهي الوقتُ المُتاح وأسْكُتُ عن الكلام المُباح، وأُتيحُ الحديثَ للرؤساء السّابقين، ليُتْحِفونا بما لهم من الكلام المُبين.

ابن تومرت والموحّدون♥

ــ **ديباجة:** ماذا عساني أقول في هذا الموضوع التّاريخي الذي يعود بنا إلى ما يقرب من تسعمئة (900) سنة من التّاريخ المغاربيّ التّليد، ومن الماضـــي العتيــد وإلى ذلك العصر الذي عاش فيه محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصال المعروف بابن تومرت المهدي 471/ 474 هــ–524هــ. ومن خلال هذه المنصّــة أعيــد الأفضال لصاحب GEHIMAB ومخبر LAMOS المنظّمين لهذا الملتقـى الــدولي حول **(ابن تومرت والموحّدون)** كما أشكر الذين قاموا على هــذا الفعــل الثقــافي التّاريخيّ لحسن اختيار هذا الموضوع التي تحمل لشخصيّة عظيمة فـي التّــاريخ الإسلاميّ الذي قال فيه ابن خلدون إنّه بحر متفجّر من العلم، وشــهاب واري مــن الدين، ولملح دولة قويّة كانت لها بصمات ثقافيّة اجتماعيّــة سياســيّة فــي بــلاد المغارب.

ابن تومرت العملاق الذي أسّس دولة الموحّدين بما كوّن من أتبــاع وطريقــة ومنهج، وما قام به من مسح دولة المرابطين في المغرب الأقصى. هذه الشّخصــيّة المتبحرّة في العلم درس في بغداد والإسكندريّة عقداً من الزمن، ثــمّ زار بيــت الله الحرام للتبرّك والحجّ، طُرد من الإسكندرية وعاد إلى موطنه بصورة جديدة يحمــل عنف الفتوة الجريئة. نزل بالمهدية بتونس، وبدأ يجهر بالــدعوة ضــد المعاصــي ويدعو إلى إسقاط دولة المرابطين، والخروج عن طاعة علــي بــن يوســف بــن تاشفين. ابن تومرت الشّخصية العالمية المسيّرة لدولة كانت لها اليد القويّة الضاربة في بلاد المغارب.

♥ ــ كلمة ألقيت في الملتقى الدولي الموسوم (ابن تومرت والموحّدون) المنظّم من قبل جمعية GEHIMAB، ومخبر LAMOS بجامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية: 25–26 أكتوبر 2018م.

ـ **شخصيّة ابن تومرت:** إنّه شخصيّة من نوع آخر، لم يستقر به المقام، فقد توجّه إلى طرابلس الغرب، ونشر فيها العقيدة الأشعريّة، وفي المهدية اتّخذ مسجداً لدراسة العلم، وركّز على علم الأصول وأحدث فوضى في البلاد؛ بسبب أسلوبه في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ثمّ توجّه إلى بجاية والتقى عبد المؤمن بن علي الكومي، ثمّ غادرها إلى مراكش، فأغمات، وبويع على أنّه المهدي المنتظر... وبعد فترة ارتحل إلى تلمسان، ثمّ فاس، وطرد منه، ودخل أغمات قريته بالسوس الأقصى واستقرّ هناك. وتشير كتب التّاريخ بأنّ كتبه وخطبه كانت السّبب في انتشار الأشعرية بالمغرب، حيث مزج بين المذهب الظاهريّ في دعوته لمحاربته التّقليد والاحتكار المذهبيّ، بهدف التّقليص من نفوذ المالكية في عهد المرابطين وبخاصّة كتابه المشهور (أعزّ ما يطلب) وفيه حديث عن ممارسة السّياسة لتجسيد عقيدة؛ قوامها التّوحيد والتّنزيه المطلقان. وذهب إلى أبعد من ذلك، فقرّر وجوب العلم بالتّوحيد وتقديمه على العبادة، ثم قرّر أن إثبات العلم بالتّوحيد لا يكون إلاّ عن طريق العقل. وبكلّ ذلك أقرّ الموحدون بإمامته، والتي تشكّل ركناً من أركان الدعوة الموحّدية نفسها. وبدأ دعوته سنة 1121م والتي قامت على فكرة المهدي بن تومرت. ودعا قبائل مصمودة إلى مبايعته، وكوّن منهم جيشاً قوياً جعل على رأسه عبد المومن بن علي قائداً أعلى لجيشه للقضاء على المرابطين، ولقب أتباعه بالموحّدين، ووضع بذلك أسس الدولة الجديدة هي **الدولة الموحديّة**. ويعتبر ابن تومرت صاحب اختراع صك النّقود الموحديّة المربّعة.

ـ **ابن تومرت والحركة العلميّة:** لقد ركّزت عليه كتب التّاريخ بأنّ الأسس الدينيّة لابن تومرت والتي بنى عليها دعوته تعتمد على الدعوة إلى التّوحيد، وهي صفة الوحدانيّة، ومن الأسماء الحسنى ولكن صفة **المهدي المنتظر** تُخلّ بهذه الصفة المطلقة لله، ويقول: "أنا المهدي المعصوم، أنا أحسن النّاس معرفة بالله ورسوله" وغَيّر نسبه الأمازيغيّ إلى نسب الحسين بن علي حفيد النبي محمد ﷺ وبالتّالي فإنّه يلزم الاقتداء به في جميع أفعاله، وقبول أحكامه الدينيّة والدنيويّة،

وتفويض الأمر إليه في كلّ شيء . ونحن لا نناقشه في قضايا الأخلاق التـــي دعـــا إليها من خلال خطبه الكثيرة، والتي كان يدخل إلقاء خطبة الجمعة بالمازيغيّة حتى يسهل استيعابها من مختلف الشّرائح الاجتماعيّة . كما لا ننكر ما قام به في أمـــور السّياسة من وضع أسس مستمدّة من السِّيرة النّبويّة من مثـــل: مجلـــس العشـــرة+ مجلس الخمسين+ جماعة الطُلْبَة... وهي تنظيمات تلتقي مع الأعراف التي كانـــت في النّظام البربريّ قبل الإسلام. كما لا ننكر أنّ الكثير من كتبه كان لها الصّـــدى والوقع الجيّد في عصره، والدليل تلك الأتباع الكثيرة والتي تلاحقـــت أولاً بالفعـــل ولكنّها في النّهاية بالقوّة. ومن كتبه الكثيرة نقرأ العناوين التّالية: العقيدة المرشـــدة+ أعزّ ما يطلب+ كتاب الطّهارة+ اختصار مسلم الصّغير+ كتـــاب الغلـــول+ كتـــاب تحريم الخمر+ الكلام على العبادة+ الكلام في العلم+ كتاب أدلة الشّرع+ الكلام في العموم والخصوص+ المعلومات+ المحدث+ القواعد+ الإمامة+ العقيدة الكبـــرى+ توحيد الباري+ تسبيح الباري+ تسبيح آخر للباري+ ما ذكر في غربة الإسلام فـــي أوّل الزّمان وغربته في آخره. وتشير المصادر بأنّ كتابه (المرشدة) كَتَبَه لجماعتـــه الموحّدية بالبربريّة تحدّث فيه عن التّوحيد، لكنّه انحرف في بعـــض مســـائله عـــن مذهب أهل السّنة، ومن ثمّ وضع كتاباً بالعربيّة يفتتحه بقوله: (أعـــزّ مـــا يُطلـــب) فأصبحت هذه الجملة عنواناً لكتابه نقله عنه تلميذه/ ضابطه الأوّل عبد المؤمن بـــن علي، واتّهم من خالف المرشدة بالتّجسيم وأباح دمه، ودخل في سفك الـــدماء لنيـــل الرياسة المُوحّدية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية لا ننسى أنّ الحياة الثقافيّة عرفـــت الازدهار رغم توتّر العلاقات الاجتماعيّة، فظهر العالم المفكّر (ابن رشد) يســـتكمل الحياة العلميّة في جوانبها العلميّة، والطبيب (ابن سينا) وعاشـــت بـــلاد المغـــارب حركة دؤوبة لعلماء دون حدود يتنقّلون في حواضر الـــبلاد المغاربيّـــة، ويتلقـــون التّرحاب في بلاطات الملوك ببسط أفرشة الاســـتقطاب للعلمـــاء والشّـــعراء، بـــل ويتنافسون بينهم من يستقبل أولئك العلماء، وهناك من يبني لهم المدارس بأســـمائهم ويغرونهم بالبقاء في حواضرهم لنيل الشّهرة، واستعمال أقلامهـــم/ ألســـنتهم عنـــد

الملمات. كما لا ننسى تلك الحركة النّشيطة للتبادل التّجاريّ البريّ والبحريّ، وتلك العلاقات والاتفاقيات التي بنيت مع بعض الدول الأوربية في إطار تبادل المنفعة والمصالح المشتركة، وكلّ هذا كان له دور مهمّ لأيام المجد للموحّدين رغم التّضارب السّياسيّ بين أسلافهم المرابطين، فكان الاختلاف في المنهج ظاهراً، بل عرف التّناقض الظّاهر، وطفت الخلافات للعلن، وكان ذلك من أسباب التّناحر الذي أدّى بالدولة الموحّدية أن تندحر في الأخير، وتزول للعيان، تاركة بعض الثّغور التي تقول: **من هنا مرّ الموحّدون.**

أيّها الحضور، لا شكّ أنّ لصاحب المرشدة أفضالاً على بجاية أيام حكمه أو مروره، وقد ترك بصمات من خلال تلك الأمالي أو المخطوطات، فنروم أن تكون محلّ دراسات ومناقشات، وتكون متوناً نستقي منها ما يخدم المواطنة اللغويّة من خلال ذلك التّكافؤ البينيّ بين العربيّة والمازيغيّة التي كانت فيها العربيّة لغة الدولة والمازيغيّة اللغة الوظيفيّة التي يعتزّ باستعمالها، وما أدخلت لغة على أخرى الضّيم وما عرفتا الصّراع، بل تعايشتا في تكامل وتوافق علميّ؛ تُكملان بعضهما البعض. وكان فيها الخطّ العربيّ يجمل بتلك اللغة البربريّة الحاملة للمتون والأفكار التي دوّنت بها كلّ المنتوج البربريّ، وما كان من إبداع، وبخاصّة ذات العلاقة بقضايا الدين الإسلاميّ.

ـ **ابن تومرت في الميزان:** ومع كلّ ما يمكن أن يقال، فإنّ للبشر سقطاتٍ وعثراتٍ، فنترك المسألة للباحثين يستكنهون فعل ما تحمله كتب ابن تومرت، في معناها وفي مبناها قياساً بزمانها. كما لا نناقش المسائل التي سوف يفتي فيها المختصّون، بقدر ما نقول إنّنا اطلعنا على الكثير من النقود التي وُجّهت لفترة الموحدّين، فترة حكم ابن تومرت، فنالت تلك النّقود شخصيّة ابن تمرت السّياسيّ العالم بالدين وأخذنا منها ما يلي:

–لا ننفي أنّ دعوات ظهرت باسم الدين، ولبست ثوب الإسلام لتحقيق مطامع ومطامع ضاربة لذاتِ الدين؛

- لا يجب استغلال الدين للإطاحة بحكم قائم، ووصفه بغير الدينيّ، ومحو آثار السّلف والبداية من جديد؛

- ننكر المواجهات المسلّحة التي أدّت إلى الدخول في معارك عنيفة بين المرابطين والموحّدين باسم الدين السّليم؛

- لم تسكت كتبُ التّاريخ على أنّ ابن تومرت ادّعى النّسب القرشيّ وطوائف تنكر ذلك وتقول: إنّه من المصامدة البربريّة، وهذا ليس ذوباناً في آل البيت بقدر ما هي تخلٍ عن الأصول؛

- وصفته بعض الكتب بالعنيف الشّرس، وبصاحب الرأيّ الذي لا يجادل وهو الآمر النّاهيّ وكلّ من يخرج عن أقواله يُقابل بالعنف؛

تخلّيه عن أفكار أهل الجماعة والسنّة، وتبنيّه لخليط من أفكار الأشاعرة والرافضة والمعتزلة؛

- مبايعة نفسه بالإمامة والعصمة، ومن ثمّ تكفير كلّ من لا يتعلّم مبادئ دعوته ويعمل بها؛

- أعمل ابن تومرت بعض التّغيير في بعض الأحاديث النبويّة الشّريفة لتتناسب مع دعوته وكانت فتنة على أهل زمانه؛

- هناك من العلماء من وصفه بأنّه من المُخادعين لعوام النّاس وبُسطائهم فلا يحمل الإقناع ولا العلم، فهو من السّطحيين الذين لا يعرفون من الإسلام إلاّ القليل السّطحي، وهذا ما قاله شيخ الإسلام (ابن تيمية) عند تعليقه عن كتاب المرشدة؛

- هناك من عدّد جرائمه واستحلاله لأهل الكتاب والسنّة، ورأى بأنّها لم تخدم الإسلام، بقدر ما عملت على إحداث الخدوش في الإسلام الصّحيح؛

- هناك من الشّطط والمُغالاة التي حكم بها ابن تومرت، بل فعل بها وجعلت الكثير من أتباعه ينصرفون عن الأسُس الإسلاميّة الصّحيحة، فغالوا في تعظيمه لدرجة العبوديّة؛

– إسهام ابن تومرت في ضياع الفردوس المفقود في ما بعد، بسبب تلك الخلافات التي وجدت مجالاً من خلال دولة الموحّدين.

وعلى العموم، تُعدّ شخصيّةُ ابن تومرت من أكثر الشّخصيات إثارة للجدل والخلاف في الأوساط العقديّة وعند أصحاب الفِرَق والمِلَل والجماعات، ولهذا يجب أن تُؤخذ دراسةُ شخصيّته بحذر، وأن يكون التّحليلُ مبنياً على أسس عقليّة وغير نقلية ولا عاطفيّة، ويكون التّنبيه إلي بعض القضايا التي لا يمكن أن تجد مقاماً في وقتنا المعاصر. فما أحوَجَنا إلى من يُكمّل مسيرةَ السّلف الصّالح؛ بالدعوة إلى ترك العبث بالفتن فإنّها مُنْتنة، نحن بحاجة إلى وَحْدَة المسلمين، وهي أولى من إنكار المنكر، وكان الرسول ﷺ يدعو إلى إصلاح ذات البيْن. لسنا بحاجة إلى التّشدّد ولا إلى المُغالاة، فقوّتنا في: الإسلام السّنيّ الوسطيّ، وإلى الاعتدال والاستقامة وحُسْن الخلق. قوّتنا في ما يحمي بلداننا من التّطرّف ومن كلّ أشكال التّشدّد بحاجة إلى لملمة بعضنا البعض، كفانا فُرقة وتفريقاً، بحاجة إلى **الوسطيّة والوسطيّة ثمّ الوسطيّة.**

ــ العبرة من هذا الملتقى: إنّه لمن الوعي الجمعيّ أن نقول:

– لبلاد المغارب أفضال على تأسيس دول عرفت الحضارة والتطوّر والازدهار؛

– بعد الفتح الإسلامي قامت ثلاث عشرة (13) دولة مازيغيّة في المغارب تحكم باسم الدين الإسلاميّ، وباختيار عقيدة التّوحيد، وطريقة التّجسيد، ولغة التّدبير، بجانب لغة التّسيير؛

– من بين الدول المازيغيّة من كانت لها بصمات في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وكانت لها امتدادات في البلاد العربيّة؛

– من بلاد المغارب قامت حضارة مشرقيّة في الفسطاط؛

– من بلاد المغارب خرج العلماء ينشرون العلم، ويؤسّسون حواضر العلم في: تومبكتو والسينغال وأقاصي أفريقيا الكبرى؛

– من بلاد المغارب عرفت الحضارة العربيّة الإسلاميّة علماء أفذاذاً، ويذكرهم التاريخ بأنّهم من صانعي مجد الإسلام والمزوغة والمغربـة والعروبـة، ويكفـي الإشارة إلى ابن خلدون والزهريّ وابن البيطار، وابن ماجد...؛

– من بلاد المغارب خرج أولئك الذين عملوا على تغيير حال البلاد التي حلّوا بها من سيء إلى الأحسن، ونفتخر بتلك الأسماء التي تردّد: الطّـاهر الجزائـريّ بيرم التونسيّ، عبد الكريم الخطابي المغربيّ، وولد أباه الشّنقيطي، والشّريف الليبي؛

– من بلاد المغارب خرج البحّارة والرحّالة والمستكشفون والمطوّرون، ومـن لفّ لفهم من أصحاب الحرف والمهن؛

– في بلاد المغارب قامت دول عظيمة وقويّة دخلت التّاريخ بما قامت به مـن تطوير العلوم ومختلف الفنّون؛

– ما قامت دولة على التشدّد إلا ونال الحيفُ أتباعها، ومن ثمّ التخلّي عنها؛

– العدلُ أساسُ الملك، وما دامت دولة قائمة على التّشدّد والرأي الآحاد.

ـــ **خاتمة:** إخواني، ندعو رجال التّاريخ، وأهل الاختصاص إلى قراءة عميقـة لتراثنا المغاربيّ في شكله العامّ، كما ندعو إلى مزيد من الكشف عن تلك الجوانـب التي لا تزال مظلمة في ما قدّمته بلاد المغارب للغرب وللعلم أو للحضارة الإنسانيّة بصفة عامّة. بلاد المغارب في جناحه الغربيّ المغرب الأقصى، وجناحه اليمينـيّ الأدنى، وما له من علماء أفذاذ كانت لهم صولات عالميّة، بل بقيت آثـارهم إلـى الآن، وإلى القلب النّابض المغرب الوسيط، وما عرفته الحضارة الإسـلاميّة مـن خلال حواضره العلميّة الراقيّة في تلمسان وتيهرت ومجاجة وبجاية، ويكفيه فخـراً أنّ بجاية الحضارة والتّاريخ كانت محجّاً للعلماء، وفيها عاش الغبرينـي صـاحب (عنوان الدراية في من عُرف من العلماء في المئة السّابعة ببجاية) وفيها حاضـرة أكاديميّة يأتيها الطّلبة والبحثة من مختلف الجهات الوطنيّة، ويكفيها أنّهـا ازدانـت بعلماء أمشدالة الذين رفعوا اسمها في تلمسان والأزهر ودمشق وصقليّة، كما أتاها أهل الغرب وهم الذين كانوا يدرسون الرياضـيات بالعربيّـة، وولعـوا بجمالهـا

وسمّوها الشّمعة المضيئة، وكلّ ذلك كان في عصرها الــذهبيّ المضـــيء، وبلغــة العربيّة تستضيء. في بجاية مرّ ابن خلدون، وكان حاجباً لأحد أمرائها، وإلى بجاية ارتحل ابنُ عصفور صاحب (الممتع في الصّرف) ويؤسّــس المدرســة الصّــرفيّة وينقل العلوم العربيّة من المشرق والأندلس. ابن عصفور يبني مدرسة كبيرة فــي بجاية؛ وهو يعود مع الموريسكيين من الفردوس المفقود إلى مدينة بجاية التي كانت تَعرِف الازدهار في مختلف جوانب الحياة، وأبى أن يعود إلى المشــرق. وتجمــل حاضرةُ بجاية بأبي مدين شُعيب الملقّب بالغوث الذي مكثَ فيها مدداً ولكنّه غادرها إلى تلمسان وقَصَدَ العُباد، وقال قولته الشّهيرة "**في العُباد يحلو الرّقــاد**". مشــاهير العالم من فنّانين أمثال (ليوناردو دافينشي) الذي يطلّ على بحرهــا؛ وهــو يرســم جمال لون الشّمس في المغيب، وفي بجاية السّاحرة عاشَ الكثيــر مــن العبــاقرة الكبار، ومن لذّ له طِيبُ المُقام باعتبار. ونرفع لكم آيات الشّكر والاقتدار، ووفقكــم الله لخدمة أوطاننا بحسن إدبار.

صناعة المثال في التعليم المبرمج♥

ـ **كلمة شكر:** باسمي وباسم زملائي في المجلس الأعلى للّغة العربيّة، أرفع آيات الشّكر والتّقدير للسيد مدير المدرسة العليا للأساتذة الأستاذ الدكتور (لعموري عليش) الذي فتح للمجلس باب الشّراكة العلميّة مع هذه المدرسة الممثّلة في (مخبر علم تعليم العربيّة) كما أرحّب بالإخوة الذين قدموا من الدول الشّقيقة ونقول لهم: أنتم بين ظهراني إخوانكم، وألف شكر على إسهامكم في هذا المحفل العلميّ الذي يُنظّم في هذه المؤسّسة التّعليميّة العلميّة الرائدة، والشّكر إلى كلّ الفاعلين في المدرسة العتيدة: أساتذة وطالبات وطلبة وعمالاً. ومن لا يشكر الله لا يشكر النّاس فنحن من الشّاكرين الذين يشكرون العاملين على خدمة الشّأن العامّ، والذين يشكرون من يتقنون فنّ خدمة الشّأن العامّ، هم من الذين ينتجون الأفكار، ومنهم هؤلاء الذين يسهرون على تنظيم فعاليات هذا الملتقى من هذا النوع، فَأَنْعِمْ بكم أيّها المنظّمون! وأرى كلّ المنظّمين خليةَ نحل واحدة منتظمة كلّ في مكانه وفي مقامه وفي ما كلّف به، وهي علامة النّجاح لفعاليات هذا الملتقى الدوليّ.

ـ **ديباجة:** إخواني الباحثون، لا يخفى عليكم أهميّة اختيار هذا العنوان، وما يشكّله في العمليّة التّعليميّة التّعلّميّة، فهو أداة إجرائيّة لوصف اللغات وتعلّمها ويستعمل المثال من أجل تقريب المفاهيم، وضبط التّمثلات، وتثبيت المعارف. وتكمن أهميته أيضاً في تقريب المفاهيم والمفاتيح التي تقرب العمليّة التّعليميّة في البرامج المبرمجة في التّعليم. ونراكم اليوم تخوضون ميدان الآليات السيكولوجيّة المتعلّقة بالمثال واستعماله، وكيفية تفسير بناء المثال معرفياً. ونروم أن ينال

♥ ـ ألقيت هذه الكلمة في المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، في افتتاح الملتقى الدوليّ حول (صناعة المثال في التّعليم المبرمج) بتاريخ 29 أكتوبر 2018. ونشير بأنّ فعاليات هذا الملتقى جرت بالشّراكة مع المجلس الأعلى للغة العربيّة.

الموضوع كشف الغطاء عن ماهيّة الفعل التّربويّ للمثال في هذا الملتقى ضمن إجراءات تطبيقيّة؛ تكون محلّ ممارسة أثبتت نجاحها، أو عن طريق تجربة في هذه المدرسة التي تُخرّج إطارات التربيّة والتّعليم. ويحدونا الأمل من خلالكم، ومن خلال السّيرورات التربويّة بأنّ هذا المجال يحتاج إلى تدقيق وتنميط، وإلى أفعال ناعمة؛ تربط بين القوّة والفعل؛ وهذه الأفعال تحتاج إلى مشاريع فرق تقوم على سدّ الفجوات في تعليم العربيّة لأهلها، ولغير أهلها، مشاريع نضعها أمام المختصّين لتكون برامج تطبيقية تُعالج على الآماد الثّلاث المطلوبة في النّمطيات العالميّة. والمهمّ في الأمر أن نبدأ بفتح هذه المشاريع، وما يقابلها من المشاريع ذات العلاقة والطّريق تصنعه الأقدام، كما يُقال، تعالِ نقترح، تعالِ نتشارك، تعالِ نفكّر.

ــــ **الموضوع:** لست مختصّا في هذا الميدان، وما جئت لأبيع مائي في حارة السّقائين، بل أريد إثارة بعض القضايا ذات العلاقة بالموضوع، وقد رأيتها تخدم العملية التّعليميّة من خلال هذه المدرسة التي تعدّ معلمي الجيل الجديد، من مثل:

ــ **عدم القطع النّهائيّ مع النّماذج التّربوية التي أثبتت فعاليتها:** تلك هي سنة الحياة، فأن نبدأ في كلّ مرّة بدعوى الحداثة والموضة، وفي كلّ مرّة نتراجع عمّا أنجز، فنعم للمراجعة لا للتراجع، وبذلك نبني السير في خطّ يقبل الإضافة والتّعديل، ولا التّغيير الجذريّ، وهي معادلة يؤخذ بها لدى الدول التي تعمل على استنباط النظريات من غيرها، وتعطي لها الصفة الخصوصيّة، وهكذا تبنى الأشياء ولا تأتي من العدم.

ــ **التفتّح على العالمية:** لنكون على أهبة الركب في القطار السريع، كان علينا معرفة التوجّه الذي يسلكه، وما هي الأشياء التي يحقّقها، وإلى أين يصل بنا القطار. ومن هذا المنطلق تتزاحم النّظريات التّربويّة، فاين محالنا منها، وأين موقع بصماتنا من خلال أنماطها ومفرداتها، وكلّ ذلك كان يجب أن تكون لنا بصمتنا من هذا التفتّح؛ حيث نعطي ونأخذ، ونقف موقف النديّة.

ـ **الأخذ بنظام التّعليم مدى الحياة:** وهذا ما يفرزه الواقع المعاصر، حيث مجال العمل ضروريّ لكلّ فرد في الحياة، وكان أن يكون طالباً وهو موظّف في قطاع ما، وكيف نجعل التّعليم هو الذي يأتي للطالب، دونما حاجة إلى النّظام التّقليديّ: معلّم+ مدرسة+ كتاب مدرسي+ فضاء للمكتبة... أضف إلى ذلك تلك الخدمات التي تقدّم للطالب/ المتعلّم من حيث انتقال الدروس إلى جوّاله، وانتقال المكتبة إلى بيته دون أن يكون أثر للورق، فالإنسان يتعلّم مدى الحياة.

ـ **ضرورة الدراية بتحدّيات التعلّم المعاصرة:** عرف هذا العصر تطورًا كبيرًا ومتسارعًا في المعرفة والتقدّم العلميّ في مختلف مجالات الحياة، وقد أدّى ذلك إلى تحدّيات واجهت التّربيّة واستدعت إحداث التّغيّرات التي شملت بنية التّربيّة ووسائطها، وطرائق تقويمها، والتحوّل من التّعليم للتعلّم ومن المعلّم للطّالب، ومن التّخطيط غير النّظاميّ إلى التّخطيط بأسلوب النّظم، ومن الكتاب المدرسيّ المقرّر إلى مصادر التعّلم المتعدّدة، ومن التّعليم الجمعيّ إلى التّعليم المفرد.

ـ **الأخذ بأنظمة التّعليم المبرمج المعاصرة:** الذي يعتمد على فكرة تقسيم المنهج الدراسيّ إلى مجموعة من البرامج (الخُطط الدراسيّة) حتى يسهل فهمها. ويجبُ على المتعلّم أن يُحققَ مُتطلبات النّجاح في كلّ جزءٍ دراسيّ حتى يتمكنَ من الانتقال إلى الجزء الذي يليه، وهكذا يتمكنُ مِن الانتهاء مِن سلسلةِ الوحدات المُخصّصة لبرنامجِ التّعليم المبرمج خلال السنة الدراسيّة.

ـ **الاستفادة من التّكنولوجيّة في العملية التّعليميّة التّعلميّة:** ونعلم بأنّ لها دوراً هامّاً في مجال التّعليم، وفي مواجهة المشكلات التي تعيق تحقيق أهدافه في المجالات المختلفة. وإنّ التّعليم بالضّرورة يستلزم توفّر مجموعة معيّنة من طرائق وأساليب ومصادر التّعلّم، ومن أبرز الأشكال أو الطّرائق التّعليميّة البديلة المستخدمة في الدول المتقدّمة وفي بعض الدول الناميّة ما يأتي: التّعلّم الذاتيّ التّعلّم

المهنيّ أثناء الخدمة، التّعلّم المفتوح. وإنّ هذه الأشكال تستخدم أساليب متنوّعة في إيصال المادة التّعليميّة للمتعلّمين، وحسب الظّروف والامكانيات المتاحة لكلّ متعلّم.

ـ **الانغماس في المخترعات غير الميكانيكيّة**: وهي التي تتميّز بالبساطة والرخص مما يسمح بتداولها وانتشارها بين الدارسين على نطاق واسع، ومنها تختار استجابة واحدة من بين عدة استجابات، والأخرى تتطلّب أن ينشئ المتعلّم استجابته بنفسه مثل البطاقات واللوحات المثقبة (المخرّمة) أو الملصقات وغيرها كلّ تلك المخترعات غير الميكانيكيّة تستخدم في حالة البرامج الصّغيرة والبسيطة.

ـ **استعمال الكومبيوتر كوسيلة للتعلّم**: إنّ هذا النّوع من الآلات وضعت لتعليم الموضوعات البسيطة والصّعبة؛ لأنّها تتميّز بإمكانيات هائلة تخدم العمليّة التّعليميّة أكثر من باقي الوسائل الأخرى؛ اذ تستخدم من النّاحية النّظريّة في توفير وعرض أية تفصيلات أو أسئلة بديلة، وتمتاز بالسّرعة الفائقة في استرجاع المعلومات. وإنّ كلّ التّطوّرات التي حصلت بالوسائل لا تحلّ محلّ المتعلّم، بل ازدادت أهميّته لأنّه هو الذي يحضّر هذه المعلومات ويبرمجها ويسيطر على الآلة (الكمبيوتر).

ـ **الدراية بالبرمجيّة**: وهي تلك البرمجيات التي تقوم على تحليل المادة الدراسيّة أو التّحصيليّة لأجزاء مستقلّة يسمى كلّ منها إطارًا، حيث يسير التّعلّم وفقًا لهذا النّمط بخط مستقيم لا يمكن أنْ ينتقل المتعلّم إلى مهمّةٍ أخرى قبل أنْ ينتهيَ من المهمّة التي يتعلّم فيها، ووفقًا لهذا النّوع فإنَّه يوجد نموذج ومستوى واحد للمحتوى التّعليميّ المبرمج.

ـ **البرمجيّة التّعليميّة**: والغاية منها إدراك مفهومها، وخصائصها، ومعاييرها العامّة والخاصّة وعناصرها، وخطوات تصميم البرمجيّة، وشروطها. وهي تلك البرمجيات التي تمّ تصميمها وبرمجتها بواسطة الحاسوب بإحدى البرامج التّطبيقيّة

أو لغات البرمجة التي تحتوي على مواد تعليميّة من مقرّرات دراسيّة مقسّمة إلـــى أطر وأجزاء صغيرة متسلسلة بشكل منطقيّ.

ــ **الدراية بخطوات تصميم البرمجيّة التّعليميّة وإنتاجها:** ومن الضّـــروريّ استكناه ميكانيزمات هذه البرمجيات، وما يتبعها من خطوات، وقد ذكرها البـــاحثون من مثل:

1ــ تحديد الموضوع ؛

2ــ تحديد الدّرس أو الدّروس ؛

3ــ تحليل المادة الدراسيّة ؛

4ــ تصميم الشّاشات على الورق ؛

5ــ صياغة الأهداف السلوكيّة ؛

6ــ التّعليمات والإرشادات ؛

7ــ الاختبارات والتّطبيقات ؛

8ــ تقويم الوسيلة ؛

9ــ دليل المتعلّم ؛

10ــ صياغة البرنامج بصورته النّهائيّة ؛

11ــ إعداد الاختبارات المرافقة للبرنامج.

ــ **وأخيراً**: إنّه ليس من السّهولة الإلمام بهذه العمليات التّعليميّة، بقدر ما نريـــد إثارتها في هذا الملتقى، ويكون الطّالب المُتعلّم والمُعدّ للتأهيل أو للتّـــدريس علـــى دراية بها، بل يصبح مُنتجاً لها. وكان لا بدّ من خوض ميدان التّدريبات فـــي هـــذه النّماذج الحديثة، والعمل بها وفق برامج التّدريب والممارســـة، وبـــرامج الألعـــاب التّربويّة، وبرامج المُحاكاة، وبرامج لغة الحوار، وبـــرامج القـــراءة والاســـتيعاب. وأكتفي بهذه الملاحظات البسيطة التي بَصُرْت بها من خلال هذا البرنامج المكثّــف الذي يعمل المُختصّون على تقريبه للحضور من المُختصّـــين وغيـــر المختصّـــين ونروم أن تكون مُدوّنة الملتقى في القريب في يدّ المستعمل والباحث التّربويّ الذي

ننشد أن يكونَ ابنَ مصره وعصره، ووفق آليات حداثته، يفتح أبواب منزلــه، ولا يقلع سقفه، ولا يكون صورة لغيره.

ـــ **وفي الختام**: من الضّروريّ بمكان أن نلفت عناية الــزّميلات والــزّملاء والطّالبات والطّلبة والضّيوف الكرام، بأنّ المجلس الأعلى للّغة العربيّة يتوفّر علـــى موقع متميّز، ويشتغل دون انقطاع وهو hcla.dz ونرجو العودة إليه لرؤية أعمالنا وما يقدّمه المجلس من خدمات في: النّشر في مجلاته المعتمدة+ مشاريع كبـــرى+ الانضمام إلى فرق المجلس، الاستكتاب+ الملتقيات الوطنيّـــة+ النـــدوات+ الأيـــام الدراسيّة+ إحياء الأيام القارّة+ الاحتفائيات العلميّـــة باللّغـــة العربيّـــة+ اســـتعمال منشورات المجلس+ بناء المنصّات+ شراكات علميّـــة، تحميـــل كـــلّ منشـــوراته مجاناً... كما يمكن زيارة أعمالنا عن طريق الفَسْبَكَة/ Facebook ويعطي لك كلّ المرغوب، وفيه يمكن طرح الأسئلة التي ينوي الباحث طرحهـــا؛ تتعلّـــق بمهـــام المجلس. ونفس الشّيء في التّوترة Tweeter ويكفي فقـــط أن تكتـــب: **المجلـــس الأعلى للّغة العربيّة**. ويسعد المجلس بكلّ من يُقدّم/ يقترح/ يُثري/ يُعطي لنا قيمـــة مُضافة تعمل على حسن التّسيير، ونرجو منكم تقديم فضل التّـــدبير، واهـــدوا لنـــا عيوبنا لنتحسّن. وإنّنا على استعداد لبناء شراكات دائمة مع كلّ من يطلبنا فالمجلس الأعلى للّغة العربيّة من سدنة العربيّة لغة الضّاد التي تنـــال الصـــدارة باســـتمرار وهي لغة الحضارة الإنسانيّة فأنْعِمْ بها من لغة! والمجلس دائماً في الاستماع إلـــى من يقدّم خدماته في مجال تطوير اللّغة العربيّة.

الطّوپونيميّة/ Toponymie:

المواقعيّة/ الأماكنيّة/ إيموكان/ ثاوالت♥

ــ **شكر:** مرحباً بكم في هذا اللقاء العلميّ؛ لقاء تعوّدنا أن نراكم وتستمعوا إلينا وإلى ما يلقيه الخبراء، فاللقاء لقاح كما يقال، وكما يقول الشّعر العربي:

وما بقيت من اللذات إلاّ مفاكهة الرجال ذوي العقول

أيّها الحضور، لا يشكر الله من لا يشكر النّاس، فالشّكر للمعدّين لهذا الفعل العلمي، وممدود إلى أساتذتنا الباحثين الذين شطت بهم النوى للمجلس، كما شطت بآخرين قبلهم وما وصلوا إلى هنا إلاّ وهم يحملون على كواهلهم عبء الكفاح عن العربيّة، فماذا عساني أقول في حقّهم: تضيق العبارات التي تليق بالمقام، والتي تبلغ القلبَ المرام، وتستكين إليها الأفئدة العظام، وتعقلها عبارات الكرام، ومرحباً بكم تبلغ ذروةَ السنام. وكلّ الشّكر للحضور على فعلهم النّبيل وما يقومون به في هذا السّبيل ولستُ أدري بما أجزل به إليكم من ترحاب، تفيكم إخلاصكم المُهاب وفيكم أردّد قول الشّاعر:

لقد نبتتْ في القلب منكم محبةٌ كما نبتت في الراحتين الأصابعُ

ــ **ديباجة:** من الأهميّة بمكان أن يقع الاهتمام بعلم الطّوپونيميّة، في الوقت الذي نستعمل أسماء لأماكن لا ندري من أين/ كيف/ لماذا أُطلقت عليها هذه التّسميات؟ كما نستعمل بعضها على تحريف خاطئ، وبعضها حدث من المزج اللغويّ ولا ندري طريقة ذلك، وبعضها لفظ أجنبيّ بعيد عن خصائصنا... وبقينا

♥ ــ محاضرة ألقيت في الملتقى الوطنيّ حول: الطّوپونيميّة وأبعادها اللغويّة. الجزائر: 4-5 نوفمبر 2018 بالمكتبة الوطنية الحامّة بالجزائر.

على جهل ببعض منها، والبعض فيها الخطأ ونورّثه للأجيال القادمة دون البحث في تلك التّسميات التي لها تاريخ وطني، وله ارتباط بمدلول ينماز به، فهي لم تُطلق اعتباطاً، بل إنّ التّسميات لم تطلق إلاّ لطبيعة جغرافيّة أو نسبة لشخص أو لحادثة، أو لفرض أجنبيّ، أو لاستبدال الأصل بالجالب... والمهمّ أنّ الذي أطلق عليها ذاتَ التّسميّة ربَطَ بين الدّال والمدلول بعلاقة رآها/ فرضها، ووقع توارثُ ذلك، وربّما وقع انحراف فيها دون وعيٍ منّا، ودون البحث في كُنه الدِّلالة هذا من جهّة، ومن جهّة ثانية، فإنّنا نبغي –من خلال هذا الملتقى- التحسيس بأهميّة البحث في أمر الأماكنيّة، وأن يقع البحث المؤدّي إلى تصحيح/ تثبيت أصالة التّسميات الأماكنيّة دون الوقوع في التمحّل في توضيح دلالتها، ونعمل على ربطها بخصوصياتنا، وتصحيح المُعوّج منها، والابتعاد عن تلك الأسماء التي تخدش الحياء العامّ وندعو من يهمّه الأمر إلى الاتّفاق على الاسم/ المصطلح الموحّد الذي يتعلّق بهذا العلم، وما ينجرّ عنه من مصطلحات.

هي دعوة للمؤسّسات ذات العلاقة لاستعادة الهويّة الأماكنيّة لمناطقنا وأسمائنا وإعطاء التّسميّة الأصل؛ وفقاً لخصوصياتنا اللغويّة والتّاريخيّة والدينيّة، وفي ذات الوقت دعوة المختصّين إلى إيلاء العناية بالهُوية المواقعيّة لوطننا، ودعوة المخابر ومراكز البحوث إلى التفتّح على محيطنا والكشف عن المسخ الذي لحق، وفي ذات الوقت العمل على تصحيح المُنحرف منها. هي دعوة إلى المُجتمع المَدني والمُنتخبين إلى التّعاون لردّ الاعتبار للخصوصيّة الهُوياتيّة في مجال التّسميات في كلّ أبعادها، وعدم الخروج عن مِسطرة الأجداد الذين أحسنوا تمتين الهُوية في أبعادها الثّلاثة: **المُزووغة+ العُروبة+ الإسلام.**

ومع كلّ ما يمكن أن يُقال، فإنّه يبدو لنا بأنّ الحديث عن الممتلكات الرّمزيّة في المجال الجزائريّ يتعلّق بالباحثين أو بالمختصّين في هذا المجال؛ بتقديم مقاربات ميدانيّة دقيقة أكاديميّة موضوعيّة؛ وفق ما عرفته بلادنا من حضارة وتاريخ لأجل ملاءمة الهُويات الأصيلة، ومن ثمّ التّعرّف على الحِقب الزّمانيّة: بربر/ عرب/

إسپان/ تُرك/ فرنسيين، وما هي المؤثّرات الأسمائيّة التي تركتها تفرخ وتعيش ومن ثمّة تستعمل بيسر أو بسهولة، وأصبح تداولها من الشّأن العامّ المتّفق عليه بعفويّة، دون البحث في ما طرأ عليها من تحريف او تغيير أو مخالفة الاسم السّابق بقصد... وهذه كلّها لها أثر في تلك الوشْمات التي عملت على تجسيد محطّات الأماكينيّة/ الجغرافيّة، وأصبح لها التّداول بصورة من الصّور والبعض منها لا نعرف مصدرها ولا تاريخها ولا ما طرأ عليها من إبدال صوتي. كما نريد أن يتواصل هذا العمل للانفتاح على الأطالس اللغويّة، وما لها من احتكاكات لغوية، أو افتراضات، أو تداخل لغويّ يتعلّق بلغة المستدمر، أو بانتقال القبائل/ العروش من منطقة لأخرى أو لعوامل طبيعيّة، وما ينجرّ عنها من تغيير وتبديل، أو لعامل دينيّ أو عرفيّ، وغير ذلك.

ــ **مقدّمة:** إنّ الطّوپونيميّة علم يعنى بدراسة أسماء الأماكن وتحليلها بالاعتماد على مجموعة من العلوم المُساعدة كالتّاريخ والجغرافيا والأنثروبولوجيا وعلم اللغة الاجتماعيّ. والبحث في الطّوپونيميّة بحث في قيمة أسماء الأماكن وعلاقتها بالبحث التّاريخيّ، عبر الإجابة عن أسئلة تعمل على إبداء ملاحظات عن تاريخ المجال اعتمادًا على هُويته باعتبار الطّوپونيميّة آلية من آليات البحث التّاريخيّ؛ فبمقدورها أن تُسهِم في تجديده أو إعطاء القيمة الاعتباريّة القديمة وكيف وصل إلى ما هو عليه بتحريف أو بتغيير أو بفرض. وبمعنى آخر هو البحث عن الجسور المؤسّسة للعلاقات التّاريخيّة، التي تكشف عن بعض الجوانب من ذاكرة المكان انطلاقاً من اسمه.

إنها خطوة نحو إعادة بناء **ذاكرة المكان**؛ بإضاءة مكتسحة رامية للتّعريف بأسماء الأماكن؛ فهي خطوة لن تتحقّق إلاّ بالاستناد على منهج علميٍّ صارم؛ يقوم على الدقّة في توثيق المعلومة والرّواية، والحفر في عمق النصّ المصدريّ عبر خطوات علميّة واضحة، والتّحليل المركّز السّاعيّ إلى البناء النّظريّ عبر نماذج تمثّل مظهراً من مظاهر الوعيّ بالمكان وذاكرته. وهكذا يقتضي البحث الطّوپونيميّ البدء بالطّوپونيميّة المازيغيّة منذ دولة نوميديا وعبر مراحل الرومان والبيزنط

والفترة الإسلاميّة، ثمّ مروراً بعهد الإسپان والأتراك والفرنسيين، وكلّ من هؤلاء مروا في هذا البلد فتركوا بصمات في جغرافيتنا، وحصل التّداول لسجلّاتهم اللغويّة. ولهذا يحتاج منّا البحث الطّوپونيميّ والتّنقيب المستمرّ، ومراكمة الإنتاج للفرز الصّحيح في آخر الأمر، وإعادة الأسماء والأماكن والألقاب إلى وضعها الصّحيح **المازيغيّ العربيّ**.

ــ **الإشكاليّة:** لا شكّ أن من يتفحّص أسماء المدن والقرى والقبائل والجبال والمجاري المائيّة والسّهول والحقول والخلجان والأودية يجدها وقد طالها الكثير من التّحريف والطّمس، وهنا قد يكون الطّمس كلياً أو جزئياً أو تحريفاً مُخلاً بالمعنى العامّ، أو مَسخاً به. كما سعى كلّ الوافدين على الجزائر إلى محو التّسميات القديمة للمكان واستبدالها بأسماء أخرى كاستراتيجيّة لإثبات ملكية المكان. وإنّ الأسماء المواقعيّة تُعدّ من مقوّمات الحياة اليوميّة للشّعوب، ويجدر القول بأنّها لا تقلّ أهميّة عن مدلولاتها، سواء أكانت عناصر بيئيّة أم آثارًا بشريّة مرئية أم شفويّة تجريديّة. وإلى جانب وظيفتها التّوطينيّة والتّعريفيّة، تلعب أسماء الأماكن والأعلام دوراً نوعياً للتّعبير عن الشّخصيّة والتّميّز، وعن جملة الموارد الثّقافيّة السّائدة.

1ــ ما الطّوپونيميّة؟ بحث لمعرفة المسارات الكثيرة للتّاريخ الجماعيّ لمجموعة بشرية معيّنة يهتمّ بدراسة وتحليل الطّوپونيمات أو أسماء الأماكن واستخراج مضامينها ودلالاتها المختلفة ورموزها المشحونة بشتّى الدلالات والمعانيّ، ولا يمكن أن تكون علماً خالياً من أيّة إيديولوجيّة وربّما الاعتباطيّة في بعض المقامات، باعتبار أنّ بعض المبادلات الرّمزيّة الإنسانيّة تكون عُرضة للخضوع للطموحات ذات الصّبغة البراگماتية السّياسيّة. ومع ذلك، فإنّ الطّوپونيميّة أو مباحث الأماكينيّة أداة قويّة من أجل البرهنة على التّجذّر التّاريخيّ للإنسان المالك الأصليّ للأرض.

2ـ الأبعاد الطّوپونيميّة: ليس من السّهولة القبض على كلّ الابعاد، بقدر ما نقول: إنّ الكثير من العلوم تتعلّق بالبحث الطّوپونيميّ، بل يمكن استعمال الكثير من العلوم لفهم الدلالة لاسم/ مكان ما لأنّ التّسميّة لها أبعاد متداخلة من مختلف العلوم. ولهذا نجد الأبعاد اللغويّة في الأماكن وتتمثّل فيها التّسميات المازيغيّة المبدوءة بالتّاء من مثل: تيزي/ تافاث... أو بالهمزة أسوال/ إغيل... ممّا يدلّ على أنّ السّاكنة مُتشبّثون بلغتهم. وكذا هذا البُعد المازيغيّ يظهر في أسماء النباتات والأشجار من مثل: أحشيش/ أزمور... ويضاف إليها البُعد الجغرافيّ مع ما عرفته البلاد من تحوّلات طوپونيميّة، وفيها ما يمكن تسميته بالتّسميات العروبيّة لارتباطها بسياسة تدبير المجال من خلال الأسماء العربيّة، أو ما يمكن أن نُسميه بالصَّيرورة الطّبيعيّة للحاكم. كما تمّ تغيير أسماء الأماكن بسبب فَرْض الاستعمار (الإسپانيّ+ الفرنسيّ) للتسميات التي يروم منها البقاء هنا، والتّخلّي عن الأسماء القديمة، كما أطلقت الكثير من الأسماء التّركيّة على مناطقنا ومحالنا بأسماء حُكام التّرك، كما أنّ بعض المناطق أخذت أسماء جديدة بسبب كارثة طبيعيّة أو بمقتل ساكنيها؛ حيث تقرّ الجغرافيّة بأنّ التّاريخ مُعطى ثابت في الطّوپونيميّة؛ معطى يستدعي ضرورة تناول أسمائها ودلالاتها، بما هي مَعالم تكشف عن جانب مُهمّ من تاريخ المكان وترسم سُبل الوصول إلى التّعرّف على الحلقات المَفقودة من تاريخها، ممّا يُبرز جانباً بالغَ الأهميّة للطّوپونيميّة ليس في علاقتها بالمكان فحسب، بل في علاقتها بالإنسان الذي يعيش في المكان. ومن مظاهر هذا البُعد ما يرتبط بأسماء القبائل أو الأُسُر أو الجماعات أو العروش. وكذلك البُعد المائيّ/ السّواقيّ وما له علاقة بالمجال الفلاحيّ. وبذا نرى بأنّ الطّوپونيميّة ذاكرة جماعيّة في صورة ناطقة، ومن ثم يصبح مجال بحثها نافذةً أساسيّةً على المجتمع بمختلف تجلّياته، علاوة على ذلك أنّها أداة عمل لازمة لإدارة الخِدْمات والمصالح والفضاءات المختلفة إدارة ناجعة فأسماء الأماكن بوصفها إشارات تموْضع، تسمح بالاهتداء السّريع بنُظُم المعلومات GPS أو عن طريق السّاتل الذي يُمدّنا بالمعلومات الدقيقة والآنيّة، ولا شكّ في أنّ

هذا لن يتمّ إلاّ بتوفّر المعلومات الوصفيّة المواقعيّة الدقيقة حول العناصر التي تنتشر عبر الأمْكنة المُتّسعة. وبذا فإنّ مُجتمع المَعلومات المُعاصر يتطلّب استراتيجيّة استقطاب الرّوافد المَعرفيّة عبر شبكة مُتطوّرة من أنظمة المَعلومات بحيث يكون المَوقع الجغرافيّ مَدخلاً أساساً للأبعاد الأخرى. فالمَواقعيّة مَدخل أساس لإنشاء البوابة الإلكترونيّة للجزائر يكون فيها اسم المَكان أو المَنطقة منفذاً إلى قواعد المُعطيات الأخرى؛ من مثل نظام GPS المذكور سلفاً.

ولا شكّ أنّ الطّوپونيميّة في جوهرها علم مُحايد، إلاّ أنّ دورها الأساس في بناء الشّخصيّة وحفظ الذاكرة الجماعيّة جعلها تتأدلج إلى درجة أصبحت معها أداة للهيمنة الفكريّة، فهي لا تخلو من التّغليف الإيديولوجيّ حيناً والتّأويل السّياسيّ ذي البُعد الاستراتيجيّ أحيانا أخرى. ومن خلال هذا العمل، فإنّنا مدعوون للحفاظ على أصالة الأسماء ذات الدلالة المازيغيّة والعربيّة عبر المادتين: الثّالثة (3) والرابعة (4) من الدّستور من أجل إحقاق التّكامل بين اللغتيْن الرسميتيْن لبلدنا وتحقيقاً للانسجام الجمعيّ الوطنيّ. وعلى المجتمع المدنيّ والمنتخبين العمل على الحفاظ على كينونة هذه الأعلام وترسيخ هُويتها الأصيلة، وأن يَعَوْا قيمةَ هذا الإرث اللاماديّ الذي يُفترَض أن يكونَ مصدرَ فخرٍ لكلّ الجزائريين؛ بالنّظر إلى تَجذُّره التّاريخيّ العميق وحمولته الحضاريّة الكبيرة، وعلينا جميعاً تثمين العمل في هذا الاتّجاه، بتصحيح الوضع، وتثمين الخصوصيّة الجزائريّة بكثير من الفخْر والاعتزاز.

ـ التّوصيات:

1ـ دعوة المختصّين للبحث تراتبياً في تصحيح أسماء الأماكنيّة.

2ـ دعوة الإدارة إلى تصحيح الأسماء والألقاب التي تُشين بأصحابها.

3ـ دعوة المخابر الجامعيّة إلى البحث في مصطلحات علم الطّوپونيميّة.

4ـ دعوة مراكز البحوث الوطنيّة إلى تكثيف أمثال هذه اللقاءات العلمية التي تقدّم هذه الإشكاليات التي تعمل على تقريب الرؤى التّناظريّة بين المختصّين.

5ــ دعوة المسؤولين الجامعيين إلى إقرار مادة الطوپونيميّــة فــي المقــرّرات الجامعيّة.

ــ خاتمة: إنّنا مدعوون جميعاً للإسهام في تصحيح الأوضاع اللغويّــة عبــر التّفاعل الإيجابيّ مع المحيط، وفهم المشروع التّنمويّ فهماً مُوسّعاً يُنْصف الماضي ويتفاعل مع الحاضر، ويتفاعل بالمستقبل. وإنّ الواجبَ الوطنيّ يستلزم منّا الاهتمام برأسمالنا اللامادّيّ وتثمينه، وتمكينه من فرص الحياة والنّماء، وإنّنا جميعاً مُطالبون بالانفتاح الحقيقيّ على الأبعاد الثّلاثة: **المُزوغة+ العُروبــة+ الإســلام**، وتجــاوز مرحلة الحَذَر والحَظَر تجاوزاً عملياً يقرِن الشّعارَ بالممارسة. ومــن الضّــروريّ التّدقيق في كتابة التّاريخ الجزائريّ وبأقلام نزيهة وعلمية لردّ الاعتبار للشّخصــيّة الجزائريّة، ودورها الكبير في بناء الحضارة بشمال أفريقيّة. ومن ثمّ؛ فإنّ البحــث التّاريخيّ بهذه البلاد يقتضي الإلمام بالمحيط اللغويّ العربيّ والثّقافيّ المازيغيّ فــي أبعاده الكبرى، ومعرفة مختلف التّطوّرات التي حصلت بفعل صــيرورة الزّمــان وتقلّبات الأحوال.

أيّها الأصدقاء نريدكم أن تكونوا معنا، والأخذ بهذا الموضوع مأخذ الإحصــان بتقديم الأفضل نحو التّصحيح وما يقتضيه من استحسان، لتقــويم قواعــد الأســماء بصحيح البُنيان، وليس التّراجع عن فعل الزّمان، بقدر ما هي إعطاء الرأيّ بإمعان في هذه المسألة التي تحتاج إلى فكّ ما هو من الحيْران، في إطلاق تلك التّســميات على المكان، ونروم أن تكون دون نقصان، تقبلها الأذنُ والعينان، وتُعيد لأســمائنا الثّقل والميزان، وفي ذلك فليتنافس المتنافسان، والسّلام عليكم يا إخوان.

الزّاوية التيجانيّة في قلْب الحَدَث♥

بسم الله الرّحمن الرّحيم، والصّلاة والسّلام على أشرف المُرسلين، خاتم النّبيين الذي نحتفي به اليوم، هذا السّراج المنير، وهادِي الخلْق أجمعين. اللهمّ بارِكْ لنا جميعاً هذه المناسبة الكريمة التي تحتاج إلى التّأمّل والتّدبّر في سيرة البشير النّذير محمد النبيّ العربيّ الكريم؛ الذي أخرج البشريّة من الظّلمات إلى النّور، وكيف لا نحتفي به ولولاه لكنّا في الضّلال المبين. وإنّ محمّد ﷺ لم يبعث ليجمع حول اسمه أناساً قلّوا أو كثُروا، إنّما بُعث صلّة بين الخلق والحقّ الذي يصحّ به وجودهم والنّور الذي يُبصرون به غاياتِهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ النّساء 174.

ــ **ديباجة:** أيّها الجمع الكريم، الشّكر كلّ الشّكر على ما أنزلتموني به من عِلية المكانة فأعطاكم الله الصّدارة، وقد فتحتم ليَ البابَ بابتسام، وقلتمْ ادْخلوها بسلام فها أنذا في الزّاويّة التّيجانيّة، سليلة الّطريقة الصّوفيّة الربّانيّة، والتي أعطتني مفتاحَ الهمّة، حتى اجتمعَ عليَ أهلُ الحلْقة، ووجدت نفسي أطلب كراماتِها من رجالها الصّالحين، وأن يمدّونا بدعائهم المبين فكراماتُهم لا تُنكر، ومناقبهم أكثرُ من أن تُحصر، واللهَ نسأل أن يجمعَنا بهم يوم المَحشر. والشّكر إلى بلدة تماسين، وسكانها الميامين، وعليكم أيّها الحضور أجمعين، وبعد؛

ماذا عساني أقول: سررتُ أيّما سرور، وأنا في رحاب هذه الزّاويّة الغرّاء، بما لقيته من ترحاب فاق كلّ ما يُتصوّر، وعهدي أنّ هذا الفعلَ الحضاريَّ ليس غريباً على السّاكنة، إن لم يكن هو من الطّبع والسّجيّة، وما غرستْه الزّاويّةُ الميمونةُ، من تربيّة أخلاقيّة وروحيّة، وما بذرتْه في النّفوس من البشاشة، وهذا أثر بيّن لزاويّة

♥ ــ كلمة أُلقيت بمناسبة عيد المولد النّبويّ الشّريف، في الزّاوية التّيجانيّة بتماسين، بتاريخ: 11 ربيع الأوّل 1440 هــ/ 19 نوفمبر 2018م.

مولانا العارف بالله، وخادم الحضرة الأحمديّة الشّريف الحسنيّ سيدنا أبـو الحسـن الحاجّ علي التّماسيني رضي الله عنه، فأنْعِمْ بها من زاويّة!

ـ **قوْلٌ في الزّاويّة:** إنْ كان لي من قوْل، فهو قوْلُ شاهدِ عيان، على ما نقـرأه من بيان للغليان العلميّ الذي تقوم به الزّاويّة لدرجة الفيضان، على يدّ الشّيخ محمد العيد التّيجانيّ حفظه الله بالمنان، الذي جعل الزّاويّةَ مركزَ إشعاع حضاريّ منيـر ممّا جعلها زاويّة اليوميات والدائمات والمناسبات، وحسبي أنّ هذه الزّاويّة بما لهـا من تعدّد الاختصاصات، تعجّ على مدار العامّ بكلّ المناسبات، بأُهْبـات دينيّـات أو وطنيّات، وتُسهم بشكل إيجابيّ بما يربط الزّاويّة بالحداثة. فلا نجد القطيعة في فكر المسيّرين بين الدين والدنيا، فتضع الزّاويّة رجلاً في الأصالة ورجلاً في الحداثـة؛ بما تقوم به من وعيّ اجتماعيّ، كونها العضوة في المجتمع تُسهم في علاج أحداثه ولا تنغمس في لذاته، كما لا تنقطع عن دونه. وكذلك الحال في دورها النّضـاليّ، فكانت لها الأقدامُ البيضُ على الحركات الوطنيّة، وثورة نوفمبر العظيمة، وقائمـة الشّهداء طويلة، فهذا سيدي محي الدين الينبعي، وسيدي محمد الطّيب التّيجاني بـن الشّيخ سيدي أحمد، ومقدّميه، وسي أحمد بن سيدي العيد بن سالم التّيجاني، وحمّـي بلقاسم، والطّاهر التّيجاني...الخ.

إنّ الزّاويّة التّيجانيّة زاويّة علميّة لها القرابة الرّوحيّة والعقليّـة، وهـي الرّبـاط الوحيد بين التّفاني في خدمة الآخرة والعمل للدنيا. زاويّة ومجمع ثقافيّ تعمل علـى بناء الصرح العلميّ المتنوّر وتسبق الوعيَ على الوعظِ، وتهذّبُ النّاشئة على حسن الأخلاق، وشمائل الصّفات، بما سنّته من منهج تنوير العقول، والمُضي بهـا إلـى مراتب الازدهار الفكريّ الحضاريّ، وهذا ما أهّلها لتنال شرف تدشـين المجمـع الثّقافيّ من قبل **فخامة رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة** يـوم الثّلاثـاء 20 مارس 2001م، والسّيد الرئيس منذ تولّيه سـدّة الحكـم أعـاد الاعتبـار للزّوايـا باعتبارها من قلاع العلم ومن الحصون التي منعت الشّعبَ الجزائريَّ من الـذوبان فلولاها ما حصل لنا هذا الانسجام الجمعيّ، ولا قامت لنا قسمة التّراضي.

ـ **الزّويّة التّيجانيّة في قلب الحدث:** إخواني الشّيوخ، أيّها المسيّرون لهذا الصّرح الدينيّ، لقد أتقنتم فنَّ خدمة الآخر، بما للزّاويّة من إبداع تتماز به، وبما لها من فنّون التّثقيف من كلا الجنسين وما تحويه المكتبة من مخطوطات وكتب، وما تنجزه من أنظمة رقميّة تسير به على هدْي الحداثة تحت شعار: **علم- عمل- عبادة**، وهذا ما كان شيوخُنا في زوايا منطقة القبائل يوصون به ويعملون على الجمع بين الدين والدنيا إلى آخر الرّمق، بقولهم: **مع المَحْبَرة إلى المَقْبَرَة**. وهو في الحقيقة تطابق أو تجسيد لثلاثيّة سيدي الحاجّ على التّماسيني "**عليكم بالسّبيحة واللويحة والمسيحة حتى تخرج الرّويحة**".

شيوخَنا الأجلاء، لقد لمستُ تفانيَكم في العمل، وفي خدمة الشّأن العامّ، وهذا من خلال تلك الورَش التي جسّدتم فيها لَمْساتِ التّميّز، من احتكاك الزّاويّة بالصّناعات التّقليديّة، والخياطة واستقطاب الأنثى، والمشاركة في المعارض، وهي لَمْسات لا توجد في كثير من الزّوايا، وهذا فعلٌ نبيل، كما ربطتم ذلك بمختلف فنّون الإبداع من رسم، وسماعات صوفيّة؛ تعمل على تهذيب النّفوس، وهذا ما تجسّده شروط الطّريقة التّيجانيّة في بنودها الثّلاثة والعشرين (23): فمن استكملها كلّها فهو من أهل الطّريقة الفائزين المحبوبين المُقرّبين، ومن استكمل الإحدى والعشرين فقط فهو من الرّابحين المحبوبين وإن لم يساوِ الأوّلين.

ـ **في مناقب الزّاويّة التّيجانيّة:** أيّها الحضور الكريم، تُعتبر الزّاويّة التّيجانيّة بتماسين إحدى أكبر الزّوايا في الوطن من خلال الدّوْر الذي تقوم به منذ إنشائها وهو تحفيظ كتاب الله للنّاشئة والمحافظة على التّقاليد الدّينيّة والإسلاميّة للمجتمع الجزائريّ المسلم، بالإضافة إلى المحافظة على الموروث الإسلاميّ في الأوقات الحرجة التي عاشتها الجزائر. وتتجاذبني تلك النّزْعات العلميّة، وأنا في حاضرة هذه الزّاويّة، وأقول: ما الفرق بين حواضرنا وحواضر: الزّيتونة والقرويين والقيروان والأزهر؟ وبصرت بأنّ الجوهر واحد، وعملنا أفضل، وربّما حسن تصريف بضاعتنا أضعف. فمتى يقع الاهتمامُ بمناراتنا العلميّة، وكيف يمكن

التّعويل عليها لمواصلة رسالتها في تحصين وتحسين وتدريب وتنوير المجتمع، وقد حان الوقت لنعطيَ الفرصةَ لهذه المنارات؛ للتدخّل في توجيه الشّباب الــذي تأكلــه المُخدرات، وتتجاذبه مُختلف التّيارات؟

أيّها الشّيوخ الأفاضل، أيّها الحضور، أريد أن أختم بهذه الكلمات بخصوص دور هذه الزّاوية فإنّه ليشرّفني أن أكون بينكم اليوم، في هذه الحاضرة العلميّة الكريمــة ذات المجد والسّمعة الرّفيعة، وإنّه لفخر كبير أن أحظى في هذه اللحظة المباركــة السّاميّة بتكريمكم وتقديركم الذي أقدّره أيّما تقدير، وأعتزّ به أيّما اعتزاز، فقد كــان ينبغي أن أَسْبِق أنا في تكريمكم وتقديركم الذي تستحقّونه، ولكنّكم سبقتم أنتم، فشكراً لكم أيّها الشّيوخُ الأفاضلُ، وأيّها السّادةُ العلماءُ، وما هذا أمر بغريبٍ عــنكم وعــن مأثور عاداتكم وتقاليدكم، ولا بغريبٍ عن الزّاوية التّيجانيّة العريقة التي اضــطلعت بتقدير النّاس، والتّشجيع على حسن الإتقان، وردّ الجميل لمن يخدم الوطن، وهذا ما تجسّده تلك التربيّة التي تدرَّس في الزّاويّة، هي تربيّة الرّوح، وتــرويض الجســد على الاستقامة والارتقاء في المقامات والأحوال، فكان لها أن امتدّت آثارُها شــرقاَ وغرباً. هذه الزّاويّة العلميّة التي كانت على مرّ التاريخ مدرسةً في الوطنيّة حــين كانت الوطنيّةُ في مِحنة، ومدرسةً في العربيّة حين كانــت العربيّــة فــي ضــيْق ومدرسةً في الدين حين كان الدينُ وأهلُه في غُربة، فكانت خيرَ حامٍّ للدين، وخيــرَ خادمٍ للوطن، وسيكتبُ لكم التّاريخُ أنّكم حافظتم على تلك الرّوح التي حمتِ الــوطنَ يومَ عزّ الحُماةُ، ولم تُولّوا يوم الزّحفِ حين ولّــى المُتولّــون، وقَعَــدَ القاعــدون. احتضنتمُ الفقيرَ والمحتاجَ والضّعيفَ، وأمّنتمُ الخائفّ والمــذعورّ، وأحســنتمُ إلــى الغريب وابن السّبيل، وآويتمُ المتعلّمَ والمعلّمَ، وفتحتمُ أبــوابَ حاضــرتكم العلميّــة والخيريّة لمن يأتي طالباً العلمَ. وقبل ذلك فتحتم قلوبَكم لحبّ النّاس، ولقد صدقتم في عملكم؛ فأنعمَ اللهُ عليكم من فضله، وأحببتم الله فحبّبكم عند أهلــه، وأخلصــتم فــي نياتكم، فثبّتكم اللهُ على الحقّ، فَنِعْمَ ما كنتم عليه! ونِعْمَ أجرُ العاملين!

لقد آلى أباؤكم من قبلكم أن تكونَ رسالتُكم محليّةً ووطنيّـــةً وأفريقيّـــةً وإنســـانيّةً وبذلك فتح اللهُ عليكم الآفاقَ، وسدّد خُطاكم بالتّوفيق؛ حتى بلغتم برسالة السّماء إلـــى الأماكن البعيدة، وبهَدْيِ محمد سرتم في الطّرائق السّديدة، فشرّفتم ديـــنَكم وبلـــدَكم وأهلَكم، وجمعتم حولَكم الخيرَ وأهلَه من كلّ اللغات والأجناس، فكنتمُ خيـــرَ خَلَـــفٍ لخيرِ سلَفٍ، وكنتمُ خيرَ سلَفٍ لخيرِ خَلَفٍ. وها أنتمُ اليوم تُواصلون عملَكم في تنميّة الوطن؛ بما تُقدّمون من أعمال في مجالات الثّقافة والتّربيّة الرّوحيّة ومـــا تُقدّمونـــه من نصائح ومشورات، ومن سَنَد ومساعدة من أجل تحقيـــق الوَسَـــطيّة، وســـلوك طريق الحوار والتّعاون؛ وكلّ ذلك من أجل الارتقاء بمفهوم المواطنة إلـــى رُتبـــة المُؤاخاة التي أرادها اللهُ ورسولُه، فمكّن لكم القدرةَ على تمثّل قِيَمِ التّصوّف المُثلـــى التي تُساعد الفردَ والمجتمعَ على دفْع التّحديات الماديّة، وتجاوزِ الكثيرِ من الآفـــات التي تُورّث البغضاء والعداوة والفُرقة والصّراع والتّشرذم والخلافات التي نلحظهـــا اليوم بين الفِرَق الإسلاميّة.

لقد حافظتِ الزّاويّةُ التّيجانيّةُ في الجزائر على مفهوم الأمّة والهُويّة، وأســـهمتْ في حلّ النزاعات وكانت مع الحقّ في الصّراعات، وتسامحت مـــع مـــن مـــارس التّعنيفات، بزرع نفحات التّصوّفات وهي نفسها روحُ الدين الإســـلاميّ، وقـــوانينُ التّخلّق الدينيّ؛ التي جاء رسولُنا الكريم ليتمّمها وختم أقطابُ المتصـــوّفة أعمالهـــا وأنتم من مريديها، وكلّ السّابقين في هذه الزّاويّة من شيوخها وقـــد تركـــوا تراثـــاً روحياً ثرياً تشهد عليه آثارهم، وتدلّنا عليه خزائن مكتوباتهم، وخيـــرُ دليـــل تلـــك المخطوطات التي تزخر بها مكتبةُ الزّاويّة، وما لها من إشادة.

وها نحن أيّها الشّيوخ الأفاضل، أيّها العلماء الأجلاّء إنّنا في المجلس الأعلى للغة العربيّة نعمل في ذات الفضاء الذي تعملون فيه، ونسعى إلى تحقيق النّتـــائج التـــي تَسْعَوْن إليها، نسعى إلى دفع العربيّة حتى تحقّقَ ازدهارَها في المجالات المختلفـــة وبخاصّة في المجالات الحسّاسة والمهمّة مثل التّرجمة، وتعميم استعمال العربيّة في العلوم، وفي الإعلام وفي الإدارة وفي الاقتصاد وفي الزّراعة وفي التّجـــارة وفـــي

التّكنولوجيّة ، وغيرها، ولتحقيق ذلك أقمْنا العديدَ من النّدْوات والمؤتمرات، وطبعْنا المنشورات، وأخرجْنا المعاجم والقواميس ووسّعْنا عملنا ونقلْناه إلى المدن الداخليّة فتعاونّا مع الجامعات، وعقدنا العديد من المُلتقيات التي تخصّ ازدهار اللغة العربيّة، وأجرينا حوارات ونقاشات مع العديد من الوزارات والمجالس والمؤسّسات، ومع المنتخبين والمجتمع المدنيّ؛ من أجل تنسيق العمل اللغويّ وتوحيد الرّؤية للوصول إلى أفضل النّتائج. وإنّنا نهتمّ في المجلس الأعلى للغة العربيّة بكلّ الموروث الثّقافيّ الجزائريّ تأريخاً وجمعاً ودراسةً ونشراً ونتمنّى أن يكون هذا اللقاءُ مدخلاً لتعاون المجلس مع الزّوايا في الجزائر، والزّاويّة التّيجانيّة بالخصوص؛ فثمّةَ مُشتركاتٌ ثقافيّةٌ كثيرةٌ، يمكن أن تتجسّدَ في أعمال تشاركيّة مثل الجامعة الصّيفيّة، ولنا تجربة مفيدة وثرّية في هذا المجال.

الشّكر لله أولاً، والشّكر لهذا الوطن المفدّى، وللقادة السّياسيين، ولأولئك الذين لا تنام عيونهم والشّكر لكم أنتم في كلّ ربوع هذه البلدة الطّيبة، وجعلكم الله لهذا الوطن ذُخراً، وللعلم سراجاً وللدين حِصْناً؛ لتتجسّد بكمُ الأمّةُ الوَسَط التي ارتضاها لنا سبحانُه وتعالى، وأوصلنا إلى مرتبة التقرّب بالذّكر وبالعبادة وبالعمل؛ لنصبحَ أفراداً يقظين تدفعنا اليقظةُ إلى الاجتهاد في طلبِ وسائلِ الكمالات التي تأخذ بمبدأ التّخلّقِ الأكملِ. وقد جاء محمّدٌ ﷺ حاملاً كلامَ الله؛ فمن اهتدى بهديه فقد سلكَ كما أنّ هديَ محمّد ﷺ لا يجرّنا إلى الجنّة، وإنّما هديُه جاء ليقذفَ في ضميرنا البصيرةَ التي نرى بها الحقَّ، ووسيلتُها كتابٌ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ وهو ما تسعى إليه التّربيّة الرّوحيّة والتّجربة الإيمانيّة الحيّة، والوَسَطيّة في الباطن وفي العلَن.

ربِّ اجعلْ هذا البلدَ آمناً، وارزقْه من الطّيباتِ، والسّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

الانسجام الجمعيّ في ظلّ التنوّع اللّغويّ♥

ــ كلمة شكر: أيّها الحضور، أحمل لكم أشواق كلّ العاملين في المجلس الأعلى للغة العربيّة وهم ينتظرون من علمكم وعلومكم ومعرفتكم واطلاعكم الكثيــر ممّــا تعطونهم، وأرى الجمال في هذه الوجــوه، وألمــس أخلاقَهــا وطباعَهــا ولطفَهــا ويتراءى الجمال الذي يُبهر ويُسحر، فمرحباً بكم جميعاً ونجعلها إشارة إلــى تلــك المعاني العظيمة المستكنّة في القلوب، فلكم نقول: من ولاية إلى ولاية مرحباً بكــم وسهلاً ومن جامعة إلى جامعة، ومن كلّ مكان أتيتمونا، حللتم وهللتم ومرحباً بهــذا الجمال المتنوّع، وتخونني كلمات التعبير عن المناسبة، وكيف أعبّر بالمنتهي عــن غير المنتهي، وفيكم أقول:

قــد يُطــاق الجمــالُ فــرداً، ولكــنْ كــلُّ هــذا الجمــالِ كيــف يُطــاق!

ديباجة: يسعد المجلسُ الأعلى للغة العربيّة أن يعقد هذا الملتقى الموســوم بـــ (التّعايش اللّغويّ في الجزائر بين العربيّة والمازيغيّة في ظلّ التّعــديل الدســتوريّ الجديد) وقد وقع التّنصيص على هذا الموضوع نظراً للتّحوّلات الحديثــة والمقبلــة والتي نراها اجتماعياً واقتصادياً وتآلفياً، وما طرأ من تعديل دستوري مسّ الجانــب اللّغويّ في منظومتنا التّشريعيّة، وهذا الجانب له انعكاس إيجابيّ علــى المنظومــة اللّغويّة الوطنيّة بوعي يدفعنا لنقول: إنّه **لا نهوض وطني دون هويّة وطنيّــة، ولا تقدّم دون انفتاح، ولا انسجام دون وعيّ الذات.** ورأينا بأنّ العربيّة والمازيغيّة في خندق واحد، وهما بحاجة إلى وعيّ لغويّ يُعيد **نسجَ العلاقات التّكامليّة فــي ظــلّ الثّقافة الإسلاميّة** وإنّنا –أيّها المختصّون–بحاجة إلى نظرة علميّة بغية إعادة ترميم

♥ ــ ألقيت الكلمة في الملتقى الوطنيّ حول (التّعايش في الجزائر بين العربيّة والمازيغيّة فــي ظلّ التّعديل الدستوريّ الجديد) الجزائر: 27–28 نوفمبر 2018 بقصر الثقافة.

ذلك الثّبت القديم؛ ثَبْتُ السّلف الصّالح الذي أبان عن انسجام نوعيّ، وكان فيه الجمال بتنوّع مُضيف، ولم يكن تنوّعاً مُنيفاً.

إخواني الحضور، لقد دَعَونا لهذا الفعل العلميّ نخبةً من الباحثين العاملين على البحوث اللّسانيّة والدراسات الاجتماعيّة، ومن لهم الدراية بالتّخطيط اللّغويّ والتّربويّ؛ بُغية الكشف عن مزيد من التّصاهر اللّغويّ بين هاتين اللغتين المنتميتين إلى أرومة واحدة (شجرة اللغات الحاميّة الساميّة) على رأي أكثر الباحثين، وهما من الشّجرة الكبيرة المُسمّاة (اللغات العروبيّة/ اللغات ألفروآسياوية) وقد تكاملتا قواعدياً من حيث المبنى، لا من حيث المعنى، فالمعنى غير ثابت وهو يخضع للتطوّرات وللاستعمال وللمحيط الاجتماعيّ، ويتغيّر باستمرار، وهذه سنة اللغات. وسبق من خلال العديد من المنابر أن قلنا ما خلاصتُه: اللغة هوية تميّز الناطق وتجعله في خانته وتعطيه مواصفات يعرف بها، ونحن نتماز بالمحافظة على هذه الخصلة التي جعلتنا نتموقع عالمياً ضمن تراب جغرافيّ، ولغة تراثيّة تقبل التطوّر دون أن تذوب، وبما نملك من استعمال لغوي كنّا ولا نزال "**فالمازيغيّة إرثنا والعربيّة غِراء اجتماعيّ توحيديّ؛ فبالمازيغيّة كنّا وبالعربيّة نرقى وبالإسلام نشكّل العروة الوثقى**".

وضمن هذه المواصفات نعمل بقانون القوّة والفعل، في أنّنا جسدناها مع مؤسّسات ذات العلاقة (المجلس الإسلاميّ الأعلى+ المجلس الأعلى للغة العربيّة+ المحافظة الساميّة للأمازيغيّة) جسّدنا التّكامل البينيّ اللّغويّ في عمل بتاريخ 7 نوفمبر 2016م بمقرّ المجلس الإسلاميّ الأعلى ويومها ألقينا محاضرة وسمناها (التّمزيغت والعربيّة تكامل لا تنافر) في ندوة حول **التّثاقف والتّكامل بين اللّغة العربيّة واللّغة المازيغيّة**. كما لمّحنا إلى عِبَرٍ مستخلصة من تلك الشّعوب التي قامت فيها حركة اقتصاديّة بلغاتها، وهذا ما أثبتته الدراسات الحديثة أنّه ما من أمّة تستطيع أن تنهض إذا لم تُعنَ بلغتها؛ اليابان تعلو نانونياً بلغتها، ونهوض كورية الجنوبيّة كان بلغتها الكوريّة، والصين وحّدت لغاتها بلغة العاصمة (الهان) فقامت

بعد ذلك حركة علميّة رَفَعَ اقتصادَها إلى مرتبة كبيــرة فـــي اقتصـــاديات العـــالم وإسرائيل أحيت لغتها وبها تدير التكنولوجيّة... ومن خلال هذه النّماذج نحن بحاجة إلى وعي المسألة اللّغويّة بكلّ مكوّناتها وعياً يستوعب التّكامل لمواجهـــة العولمـــة الشّرسة، والعربيّة الفصيحة وحدها –في الوقت الحاضر– التـــي يمكـــن أن تثبـــت واللغة المازيغيّة تأتي عضيدها في الحفاظ على الخصوصيات.

1 ــ الأحاديّة اللّغويّة والثّنائيّة من خلال الدّساتير العربيّة: تنقسم الدّساتير العربيّة في مسألة رسميّة اللغات إلى قسمين:

ــ قسم أوّل، يضمّ اثنتي عشرة (12) دولة عربيّـــة هـــي: الأردن+ ســـورية+ عُمان+ البحرين+ فلسطين+ قطر+ الكويت+ مصر+ اليمن+ السّعودية+ الإمـــارات العربيّة المتحدّة+ السّودان الشمالي، وتنصّ دساتيرها على أحادية اللغة العربيّة.

ــ قسم ثان، ويضمّ عشر (10) دول، وهـــي: الجزائـــر+ جـــزر القمـــر+ جيبوتي+ السودان الجنوبيّ+ الصّومال+ العراق+ لبنـــان+ المغـــرب+ ليبيـــا+ موريتانيا، وتنصّ دساتيرها على التّعدّد اللّغويّ، وتجعل اللغات المحليّة/ لغـــات الأقليات بأوضاع خاصّة قرينة مع العربيّة. ومعظم هذه الدول تُنـــزل العربيّـــةَ المرتبةَ الأولى تراتبياً وبعضها تُساوي في كلّ شيء. وفي القسم الثّاني تتمركز الجزائر برسميّة ووطننة لغتين هما: **العربيّة+ الأمازيغيّة**. وهذا ما نصّ عليـــه دستور 2016 في المادّة الثّالثة ومفادها "اللغة العربيّـــة هـــي اللغـــة الوطنيّـــة والرّسميّة. **تظلّ العربيّة اللغة الرسميّة للدولة**. وأما المادّة الرّابعـــة، فتـــنصّ تقول: "تمازيغت هي كذلك لغة وطنيّة ورسميّة. تعمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكلّ تنوّعاتها اللّسانيّة المستعملة عبر التّراب الوطني".

وإنّها لمن بدهيات الأمور أن يقع التّنصيص على أكثر من لغة رسميّة في بلدنا. ومن خلال هذا الفعل الحضاريّ والمصالحة مع الذات التّراثيّة والثّقافيّة ونثمّن عالياً جهد فخامة السيّد **الرئيس عبد العزيز بوتفليقة**، وكانت له جرأة كبيرة في المســـألة اللّغويّة التي تركت دون حلول وكانت جرأته في الإقرار **بالمواطنة اللّغويّة**، فـــأَنْعِمْ

به من رئيس جريء! فلأول مرّة في تاريخنا القديم والمعاصر ومنذ المملكة المازيغيّة الأولى يحصل للمازيغيّة أن تكون لغة رسميّة، وهذا من خلال دستور 2016. لقد وقع الإقرار بها؛ وها هي اليوم تُمارَس وتُدرّس ويقع البحث فيها وبها وهذا شرف عظيم أن نحتكم إلى المنطق الجامع. وبذلك نقول: **إنّ المازيغية والعربيّة لغاتُنا، والإسلامَ ثقافتُنا، وبالعربيّة نمارس وجودنا العلميّ والفكريّ وبلغاتنا الوطنية الرسميّة نمارس وجودنا العلميّ والثّقافيّ والفنّيّ في تعايش وتكامل** وفي كلّ هذا نحن بحاجة إلى تخطيط دقيق يحمي لغاتِنا، ولا بدّ من نظرة مستقبليّة تُراعي المتغيّرات الداخليّة والخارجيّة، وتُحدّد الأولويّات، وتُوحّد الجهود وكلّ ذلك في إطار جدول زمنيّ يعمل على تدبير الازدواجيّة بسلطة ناعمة مندمجة، يتمّ فيها بناء سياسة لغويّة وتربويّة يتحدّد على ضوئها المبدأ اللّغويّ الهامّ:

1ـ التّعدّد اللّغويّ إثراء للهويّة: وإنّ تعلّم اللسان –مهما كان–يعمل على تحقيق المعالم في تجديد الذهن؛ وهو تجديد الحياة، والتّسامح وقبول الاخر، وفيه تغيير شبكة رؤية العالم بمنظوريْن متكامليْن. فاللغة الثّانيّة تحمّلك على خلق تشابكات جديدة بين المعلومات، وتخلق درجة عاليّة من المرونة والنّجاعة في شبكة التّرابطات والتّفاعلات، وانكسار الطّوق اللّغويّ الذي يحاصر المرء نفسه من خلال لغة واحدة، وينفتح إدراكه أمام أمور جديدة، إضافة إلى انكسار شوكة التّعصّب للغة واحدة.

2ـ تعلّم لغة جديدة قيمة مضافة: ومن باب الزّيادة يجب العلم أنّ تعلّم لغة غير لغاتنا المّ ليس ترفاً وزيادة؛ إنّما حاجة ثقافيّة وأخلاقيّة، وسوف يرى المتعلّم أنّ كلّ لغة جديدة لها اتّساع في مساحة التّسامح اللّغويّ ولها القدرة على التّأثير والحوار. وإنّه فتح لنافذة جديدة تضاهي نفسياً بدايات تعلّم لغة الأمّ اللغة الجديدة ولادة جديدة للذهن، وتحفيز لما خبا وفُتِرَ من ملكاته. وبكلّ ذلك يحصل الخروج من ألق اللغة الواحدة، والتفتّح على هويّة جديدة، وفي ذلك يحصل تجديد الذهن+ إثراء للهويّة+ دعوة للتسامحّ، قبول الآخر.

3ـ إدراك القيمة المطلقة لموقع اللغات الوطنيّة: وهذا ما يمكن أن يكون عبر التّراتبات المحليّة من مسارات تتحدّد عبر استراتيجيات وطنيّة تكون مدعاة للفعل السياسيّ والتربويّ يحصل من خلال التّخطيط اللّغويّ المبنيّ على مراحل وخطط من مثل:

- موقع اللغتين من اللغات الأجنبيّة؛
- تقديم خطّة مستقبليّة للغتين في كلّ مرحلة من مراحل التّعليم؛
- الاهتمام بضرورة تقنين التّدوين والمقابلات اللّغويّة؛
- إعداد خطّة لغوية واضحة، والإفادة من الوسائل التّقنية المعاصرة؛
- تعاضد المؤسّسات والوزارات وكلّ الشّركاء في تنفيذ الخطّة؛
- استصحاب ذلك بالجوانب المكمّلة من: وثائق+ كتب+ مطبوعات...؛
- المتابعة المنظّمة للتنفيذ، وتعديل ما ينبغي تعديله؛
- تنفيذ خطّة شاملة لمحو الأميّة؛
- رصد ميزانيّة للتنفيذ.

4 ـ ضرورة الوعيّ بالمطلب الهوياتيّ: يبدو لنا الأمر سهلاً أن يقع الفهم والاهتمام بأنّ الوعيّ بالمسألة اللّغويّة في بلدنا مطلب ضروريّ وحضاريّ والغاية منه يكون ضمن محدّدات تقرّها القوانين والأعراف والسّلوك الاجتماعيّ، وما ورث من السّلف الصّالح. إنّه وعيٌّ بالمواطنة اللّغويّة الإيجابيّة ليس إلاّ، ويكون التّركيز على **التّعايش اللسانيّ**، من خلال

-إظهار مواطن القوّة في هُوياتنا، وتكون قراءاتنا قراءات مضيفة لا تحريضيّة؛

-عدم القياس على الظّواهر الانعزاليّة الفرديّة، وأحياناً تصدر كردّ فعل، فلا يجوز الاتّكاء عليها لتمتين المستقبل؛

- الإقرار الحقيقيّ بأنّ ساكنة شمال أفريقيا تبنّوا الإسلام عن قناعة وتعلّموا الدين الإسلاميّ بتدبّر ورويّة، ونشروه خارج مواطنهم، وجعلوا لغة الإسلام تنال الصدارة؛

– حصول الوئام والتّناسق والتّجاور بفعل الإسلام الموحّد الذي يرفض الاعتداء مهما كان نوعه؛

– عمل التّعايش الاجتماعيّ على تمتين الرّوابط اللّغويّة إلى حدّ الاستئناس الاجتماعيّ المتصاهر؛

– إقرار المختصّين بالتّداخل والاقتراض اللّغويّين، وأثر العربيّة ظاهر في كثير من اللّغات، وهذا ما يقرّ به الباحث (سالم شاكر) بأنّ القبائلية بالخصوص تأثّرت بالعربيّة بشكل مُلفت للنّظر يصل إلى 49 % وهو من الدّخيل، فكيف الحال في اللّغات الأخر؟ وهذه النّسبة في بعض السّجلات اللّسانيّة تصل إلى 65%؛

– الاستشهاد بالقوالب العربيّة في لغاتنا الشّفاهيّة وفي المسكوكات والمتلازمات وفي الأمثال وفي الحكم، وفي بعض النّوادر، وفي القاموس اللّغويّ بصورة عفويّة.

ومن وراء كلّ هذا، إنّ العربيّة والمازيغيّة ليستا في حالة تعايش، بل في حالة تبادل دائم، وما ينقص هو العمل على تجسيد الإسمنت الوطنيّ الذي يقوّي العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد كما قال Schnaper ومع ذلك يجب تجسيد هذا المبدأ عبر التّنشئة الاجتماعيّة، وتُغذيها المدرسةُ مهما تعدّدت ألسنة تلاميذها وتضفيها جمالاً مؤسّسات الدولة مثل هذه المؤسّسات التي نمثّلها اليوم، وتسعى إلى تثبيت المكوّنات الوَحْدَويّة المجسّدة في السّلوك الاجتماعيّ؛ لأنّه عندما ترتبط اللّغة بهُويات وطنيّة لا يمكن أن تحصل الفُرقة ولا الضّغينة ولا الخلاف، وقد يحصل الاختلاف المنهجيّ، لكنّ الهدف واحد. ومن الضّروريّ المحافظة على الخريطة اللّغويّة المعاصرة بتكييف نفعيٍّ غرضه توزيع استعمال لغويّ نفْعي يَتَمَاشى وتطلّعات السّاكنة. ولذا كان لزاماً علينا إعادة النّظر في بعض القضايا التي تعمل خارج التّكامل، وعدم التّماهي في ميكيافيليّة الآخر، أو التّفاعل مع الصّراعات المفتعلة، وهذا كلّه للوصول إلى الوعيّ بالتّكامل اللّغويّ الطبيعيّ المؤدّي إلى مزيد من الانسجام الجمعيّ.

5ـ مفخرة فِعل الأجداد: إنّ أسلافنا عملوا في إطار موحّد، رغم المنعطفات التّاريخيّة الصّعبة التي عانوها في بعض المِحَن، ولكنّهم ما مسّوا الفتن، فهي مُنْتِنَة فلقد كانت نظرتهم إلى أنّ وَحْدة اللغة من وَحْدة الفكر؛ ويعني وَحْدة المصير وعاملوا اللغة العربيّة بميزة خاصّة، لارتباطها بالوحي، وهذا ما لا يدركه كثير من النّاس ويعدون اللغة وسيلة اتّصال فقط، وهذا خطأ كبير يجب التّنبيه إليه. إنّ اللغة وسيلة اتّصال وشخصيّة وثقافة وتراث وحضارة وتفكير... فالعربيّة توصلنا بماضينا وبتراثنا الدينيّ، وتعلّم/ تعليم العربيّة يعني التقرّب إلى الله والمازيغيّة توصلنا بماضينا الكبير وبالعُمق التّاريخيّ في الزّمان. لقد ورثنا مُدوّنات عن أجدادنا الذين قالو: "**بالعربيّة نمارس وجودنا الثّقافي والعلميّ وبلغاتنا الوطنيّة نمارس وجودنا الفنيّ والفكريّ والتّخصّصي.** من خلال مكوّنات: الإسلام+ المُزوغة+ العُروبة، هذا الثّلاثيّ الذي أنتج طارق بن زياد+ ابن خلدون+ العباس بن فرناس+ ابن بطوطة+ ابن معط الزّواويّ+ الوغليسيّ+ المشداليّ+ التّنسيّ+ الأمير عبد القادر+ الوهرانيّ+ التّلمسانيّ+ الحفناويّ الديسيّ+ ابن باديس+ الشّرفاويّ وغيرهم؛ فهو نتاج التّلاحم الأخويّ البربريّ العربيّ، ففي ظلّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة المازيغيّة ظهر هؤلاء المازيغيّون في خدمة العروبة والإسلام فلا تناقُضَ بين هُويتهم الثّقافيّة العربيّة وهُويتهم المازيغيّة.

إخواني الحضور، إنّ المازيغيّة لم تُصارع العربيّة؛ حيث تحدّدت مجالات كلّ واحدة منها بشكل طبيعيّ، كما لم يمنع القرآن ولا الإسلام استعمال اللغات والألسنة الأخرى، **وبذا عاشت العربيّة بلهجاتها، والمازيغيّة بلهجاتها وتأدياتها جنباً إلى جنب طوال القرون الماضيّة، ولم يحصل بينهما أيّ صراع، بقدر ما كان التّكامل والتّداخل تلاقحاً وتبادلاً في الأدوار والوظائف.**

ــ **الخاتمة:** في الأخير نروم من هذه النّدوة دعوة المختصّين للبحث في قضايا تجمعنا، قضايا الشّأن العامّ؛ قضايا الوَحدة، كما لا نعدم الاحتكام إلى فعل الأجداد الذين نظروا إلى المسألة اللّغويّة نظرة تكامل لا صراع. وفي هذا المجال لا نعدم تلك المقولة لأبي يعلى الزواوي تـ 1952م، الذي أشار كتابه (تاريخ الزّواوة) إلى أنّ هناك علاقةَ تقارب كبيرة بين الحميريّة والبربريّة. وهكذا ترون أنّ مسألة **الهُويّة اللّغويّة** في الجزائر مفروغ منها؛ فهناك تعايش لغويّ منذ دخول الفاتحين هذه البلاد؛ فلقد تخصّصت كلّ لغة بمجال معيّن، وما حدث صراع يمكن الإشارة إليه. فهنا نقول: إنّ **المازيغيّة والعربيّة صنوان متكاملان غير متصارعيْن يكمّلان بعضهما البعض، ويتوجّهان لمستقبل مشترك، ووحدة المصير، فأَنْعِمْ به من تكامل!** ومرة ثانيّة لا أطرح خطاب وعظ، وإنّما أردت تأكيد أهميّة الاهتمام بالجانب اللّغويّ لمعايشتي أحداثَه ولخطورة ما يمكن أن ينتج عن رماده، ولما يمكن أن يغرس من مساوئ في منظومة قِيَم شبابنا إذا لم يكن موضع توجيه، وما يمكن أن يؤثّر على العلاقات بين الأفراد داخل المنظومة الاجتماعيّة الواحدة. وبذا أرى ضرورة استجلاء جوانبه، والتزام فقه الدعوة المسالمة، إلى جانب وقفة جادة تضبط الأمور، وتضع الحدود الفاصلة بين ما يجوز البحث فيه وما لا يجوز، وما يمكن أن نعمل على مراجعته، وما لا تجوز فيه المراجعة، وهذا عملنا جميعاً بدءاً من شيخ الكتّاب إلى معلّم المدرسة، إلى التّاجر، إلى المسؤول، وإمام المسجد، **ويزع الله بالسّلطان ما لا يزع بالقرآن**. ويجب أن يتجسّد الخطاب الدينيّ والمدرسيّ والأدبيّ والنّفسيّ والاجتماعيّ والعلميّ في أنّ المعطيات الجديدة والعولمة تفرض علينا التّعامل مع غيرنا، بَلْهَ الحديثَ عن العلاقات بيننا، وتجبرنا على إقامة علاقات صحيّة مع الآخرين المختلف معهم لغةً وتاريخاً وحضارةً وتلحّ على فتح أبواب الحوار، ورفع الحواجز، وعدم القفز على حدود الزّمان والمكان، أو العمل بطريقة إلغاء الخصوصيات. كان لا بدّ من بناء علاقات إنسانيّة، وحسن الجوار فالشّعوب تتقارب أو توشك على ذلك، وتلتقي على أمر قد قُدر، كما تعولَمَ النّسيج البشريّ

رغماً عن الانعزال في حوزات مغلقة بعيداً عن تجارب الآخرين، فلا بدّ أن ننفتح على بعضنا، ونقبل بعضنا البعض ونتكيّف بإرادتنا أفضل من أن تُفرَض علينا أشياءُ ربّما لا تليق بمقاسنا ومقامنا... وآمل أن نتعاون ونتبادل الفضل لترسيخ الوئام كما جسّده أسلافنا تجسيداً حقيقياً في المجتمع الجزائريّ، وهذا ليس صعباً علينا، فإنّه ما استعصى علينا منالٌ؛ إذا صدقتِ النياتُ، وثبتتِ العزائمُ والشّاعر العربيّ يقول:

وما استعصى على قوم منالُ إذا الإقدامُ كان لهم منالاً

والشّاعر المازيغيّ يقول: سَداوْ أوپريذ ما شي ذاپريذ، سنيگ أوپريذ ما شي ذا پريذ، ذيثلماس أيفريذ إذا أپريذ.

والله تعالى يقول: ﴿وقل اعملوا فسيرى اللهُ عملَكم ورسولُه والمؤمنون﴾. وأعلن افتتاح الملتقى الوطنيّ الموسوم (التّعايش اللّغويّ في الجزائر بين العربيّة والمازيغيّة في ظلّ التّعديل الدستوريّ الجديد) والله المُوفّق، وبه نستعين.

إصلاحات كتب الجيل الثانيّ في المدرسة الجزائريّة♥
واقع وآمال

شهدت الدّولة الجزائريّة في العصر الرّاهن مُستجدات ومتغيّرات في المنظومة الاجتماعيّة بفعل العولمة التي عملت على التّغيير في كلّ الأنماط الاجتماعيّة، وأدّى ذلك إلى المساس بسلّم القيم العلميّة والثّقافيّة، وربطها بعالم التّقانات الحديثة التي تعمل على التّقريب والتّنميط عبر النّافذة الكوكبية، مع ما يلحق ذلك من مستجدّ في كلّ الجوانب. ومن الجوانب الّتي مسّتها المستجدات والاصلاحات الجديدة في وطننا في الجانب التّعليميّ التّربويّ، هو السّعي إلى الدخول في الجيل الثّانيّ، وذلك على مستوى المناهج، وبناء الكتاب المدرسيّ، والطرائق التّربويّة الحديثة.

هذا الجيل الثّاني الذي يعيش مع سلسلة من التّقانات التّكنولوجيّة الحديثة، والتي فرضها نمط حياتيّ جديد، فما هو الحلّ المناسب للسير مع الجديد؟ أن نغلق الباب دونه وهذا معناه الفناء والقضاء على أنفسنا، أن نتماهى فيه تماهياً دون بصمات، وهذا مسخ أيّما مسخ، بل هو ذوبان في الآخر. فما الحلّ؟ الحلّ يكمن في السّير لمباركة هذا الجيل، لكن بخطى واضحة غير عجلى، لضمان النّجاح، كيف ذلك؟ يبدو لي أنّ الأمور يجب أن تكون وفق خريطة طريق مقترحة كما بصرت بها، وهي:

1ــ تحديد معالم كبرى لهذا الجيل الثّاني في مبادئه العالميّة ؛

2ــ تخطيط وطنيّ يراعي استراتيجيّة الدولة في استقلاليتها وخصوصياتها ؛

3ــ تحديد معالم التّخطيط التّربويّ في أبعاده الثّلاثة ؛

♥ ــ كلمة ألقيت في فعاليات الملتقى الوطنيّ حول (إصلاحات كتب الجيل الثّاني في المدرسة الجزائريّة: واقع وآفاق). تيپازة: المركز الجامعيّ عبد الله مرسلي، بتاريخ: 11 ديسمبر 2018م.

4ــ ترصيص ما هو من الثّابت بخصوص: اللغات الرّسمية، وكيفيــة الانتقــال النّاعم في تجسيد سياسة تربويّة ناعمة، مع ما يصاحبها مــن تبصــرة نفعيّــة إزاء اللغات الأجنبيّة ؛

5ــ التّطبيق التّدريجيّ بخصوص: الكتاب المدرسيّ+ تكوين المكوّن.

إزاء هذا الفعل، لا شكّ أنّ الكتاب المدرسيّ سيكون الوعاء الأساس الذي تبنـــى عليه منظومة الجيل الثّانيّ، فكيف يكون بناؤه؟

على المختصّين أن يدلوا بأفكارهم في هذا المجــال، وهــذا لا يعنـــي إحـــداث القطيعة مع الكتاب القديم، أو الجيل الأوّل، بل سيكون إصـــلاحاً لإصـــلاح ســـابق بمراعاة نقاط القوّة لدعمها، ونقاط الضعف لتفاديها، وهذا ما ينصّ عليه مـــؤتمركم يعني دراسة الواقع، بما فيه واقع الكتاب الحاضر لكي نستشرف القادم. وكلّ هـــذا يجب ان يقوم على تراتبيّة مبنيّة على المرتكزات العلميّة التّاليّة:

- تعليم كلّ لغة في ذاتها ولذاتها؛
- اختيار النّصوص المناسبة للأزمة والأمكنة، ومتطلّبات الأصالة والحداثة؛
- جزأرة نسبيّة لنصوص الكتاب؛
- استهداف: المواطنة+ التّفتّح+ التّاريخ الوطنيّ+ حـــبّ الـــوطن+ العلميّـــة+ المرجعيات الوطنيّة؛
- الشكّ للوصول إلى اليقين؛
- البناء التّدريجيّ لقواعد اللغة؛
- تيسير تدريجي في عمليات توصيل النّحو بطريقة ضمنيّة؛
- توظيف مناهج تعليميّة اللغات؛
- اختيار منهجيات التّلقين التي تناسب هذا الجيل؛
- كثرة التّدريبات الشّفاهيّة والكتابيّة.

أيّها الأساتذة، كلّكم تعرفون بأنّ المنظومة التّربويّة تقوم على التّلقين والتّدريس بالمقاربة بالأهداف، وبعدها حدثت تغييرات أتت بالمقاربة بالكفاءات؛ أي جعل المتعلّم محور العمليّة التّعليميّة التّعلميّة، ثمّ تغيّرت المناهج بصفة جديدة، وذلك لعدم جدواها في العصر الرّاهن، ولربّما عدم مسايرتها للجيل الرّاهن، فراحت تسعى لبناء مناهج جديدة تقوم على المقاربة الاجتماعيّة الثّقافيّة؛ والتي تسمّى (المقاربة الشّاملة) أي ربط المتعلّم بصفة عامّة بالمجتمع والمحيط الذي يعيش فيه من منطلق تقاليده وعاداته؛ بغية أن يكتسب طرائق جديدة للتعلّم، أضف إلى أنّه يتمكّن من عمليّة ترتيب أفكاره وتحليلها واستنتاجها، لاستثمارها في محيطه. وكلّ هذا لا نريد ان نستفيض فيه؛ لأنّي أريد أن تكون المسألة في يدّ من يهمّه الأمر بين فرعين: **الباحث** في الجامعة ينتج الأفكار **والباحث/ المعلّم/ المفتّش** في الميدان التّربويّ يعمل على أخذ تلك الأفكار، ويقوم بما يمكن أن يفيد مرامي إصلاحات الجيل الجديد؛ سواء في مضمون الكتاب المدرسيّ، أم في نظام التّخطيط والتّسيير والغرض من هذا إيجاد العلاقة التّكامليّة بين منتجي الأفكار وصانع القرار.

والحقيقة أنّ صنع مدرسة الجودة يتعلّق بكثير من الأطراف، فإذا تعاضدت يمكن الوصول إلى إنشاء مدرسة نوعيّة منسجمة تخدم المجتمع خدمة راقيّة؛ لأنّ المدرسة هي المستقبل ومنها تخرج الإطارات، وفيها يتعشّش الفكر العلميّ وينتج المطلوب، ومنها تأتي أفكار النّهضة. ولهذا نحتاج مدرسة تُسبق الوعيّ، وتقوم على العلميّة، وتبنى أفكارها على المشاريع الكبرى، وعلى تعدّد الاختصاصات، وتحترم الوقت، وتحدّد المفاهيم. وما قامت نهضة أمّة في العالم إلاّ بالاستثمار في ميدان التّربيّة، بل في الإغداق على ميدان تكوين التّنميّة البشريّة، فاعطني شعباً مكوّنا أعطيك اقتصاداً عالياً. الاقتصاد يقوم على رفده الفكر، والفكر يأتي من البشر والبشر ينتج العلم، وفق تراتبيّة علميّة، بل نمطيّة تجمع بين العلم والإبداع.

وحقيق بالذّكر، فإنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة يثمّن هذا المستجدّ الرّاهن في إطار استعمال وتعميم اللغات الوطنيّة والرّسميّة والتّعامل بها، والحدّ من التلوّث

اللغويّ تحقيقاً للانسجام المجتمعيّ وقد سبق للمجلس أن قد عقد شراكة مع وزارة التّربية الوطنيّة، ووزارة التّعليم العاليّ والبحث العلمي، والتّكوين والتّعليم المهنيين بخصوص تعضيد الإصلاحات الّتي باشرتها وزارة التّربيّة الوطنيّة؛ بغية إحداث نقلة نوعيّة في المدرسة الجزائريّة الرّاهنة في جانبها الإصلاحيّ التّربويّ؛ فالمجلس بدوره يطمح إلى إحداث نقلة نوعيّة لإحداث التّفعيل الذّاتي المعاصر، فمن غير المعقول أن ندخل سنة 2019 بعقلية السّبعينيات؛ فالمدرسة الجزائريّة لا بدّ عليها أن تتأقلم وتنفتح على محيطها وعلى مجتمعها وعلى ثقافتها بما لها من رصيد تاريخيّ ومعاصر. وعليه من الضّروريّ تعضيد مناهج الجيل الثّاني؛ بمرجعيات وطنيّة مراعية لحضارتنا وجيلنا وتاريخنا ودستورنا؛ لتجسيد مدوّنة مدرسة المستقبل مدرسة الجودة في عصر كلّه تقانات حديثة، ومن بعد ذلك لا بدّ من مسايرة هذه التّقانات إذا كنّا نطمح لمدرسة لها مقامها بين مدارس العالم.

إذاً إنّ مسألة الجيل الثّانيّ والمناهج التّعليميّة المعاصرة أضحت من الضّروريات في المدرسة الجزائريّة؛ لأنّ رفع مستوى الجيل العلميّ هو من رفع مستوى الدّولة في حدّ ذاتها؛ لذا يرى المجلس الأعلى للّغة العربيّة أنّ التّعليم من الرّكائز النّهضويّة لأيّة أمّة، فهو الدّعامة والرّكيزة لتطوّرها، وبخاصّة في ظلّ ثورة المعلومات والتّقدّم التّكنولوجيّ السّريع، وفي ظلّ التّحدّيات الّتي تواجهها دول العالم الثّالث، فمن الضّروريّ مراعاة متطلّبات هذا الجيل في الجانب التّعليميّ.

كما يجدر القول التّركيز على المدرسة؛ باعتبارها وجهَ البلد، بل هي المشتلة التي تزوّد كلّ القطاعات، وقد أصبحت الإصلاحات وبناء المناهج، ووضع الهياكل الجديدة ضرورة ملحّة بناءً على الواقع الاجتماعيّ، وما تفرضه العولمة، وما تنتظر من هذا القطاع الدولة الجزائريّة للدخول في **مجتمع المعرفة**.

إنّ ما يصيب العالم اليوم في كافّة المجالات يدعو إلى تغييره وتجويده، ومراعاة المنظومة التّربويّة الحديثة (للمقاربة الشاملة) وهي من المُستجدّات الّتي تسعى الجهة الوصيّة إلى تحقيقها من خلال:

– تكوين معلّمين أكاديميين أكفاء يمتلكون مهارات نوعيّة في شتّى المجالات؛

– السّعي إلى التّفوّق في مجال الابتكار التّعليميّ، وتكوين تلاميذ وطلبة قادرين على مواجهة غزارة المعلومات وقوة الاستنتاج؛

– إشراك كلّ الأطراف في إدارة المؤسّسات التّعليميّة منها: المتعلّم والمعلّم والمسيّر؛ ووليّ التّلميذ؛ ليصبحوا جزءاً مُسانداً لبرنامج التّكوين؛

– بناء مُتعلّم مُتعايش مع المُجتمع؛ من خلال إعداد الناشئة للمستقبل، وتزويدهم بالقدرة على التّكيّيف مع المُستجدات الّتي سيحملها الزّمن المُعاصر؛

– إنتاج وسائل تعليمية مُعاصرة تجمع بين الحداثة واستيعاب الماضيّ؛

– السعي الدائم لبناء مدرسة الجودة في ظلّ تكافؤ الفرص؛

– تشجيع المواهب، ودعمهم للحضور الوطنيّ والعالميّ؛

– الإعداد للجيل القادم الذي يدخل في تخطيط تربويّ، وما سوف يكون عليه الوضع القادم؛

– بناء مدرسة ثابتة منافسة للمدارس المُجاورة، وتقف للنديّة مع المدارس المتقدّمة؛

– بناء فكر حرّ يحترم ثقافة الاختلاف، يحترم المرجعيات، ويقدّس الوطن ويعمل على تجسيد المواطنة؛

– السّعي للتّجاور والاستفادة من الغير، دون الذّوبان فيه؛

– تحديث الكتاب المدرسيّ باستمرار مراعاة للمُستجدات؛ وتطعيمه بنسبة من منتوج المبدعين والمثّقفين الجزائريين؛

– الاهتمام بالثّقافة الوطنيّة دون الانغلاق عليها، وعدم الاستغناء عن اللغات الأجنبيّة بوصفها نوافذ للمعارف؛

– الدعم الماديّ لقطاع التّربيّة كونه يبني الأجيال؛ فيحتاج إلى الإغداق الماديّ.

وآمل من معالي السّيد وزير التّعليم العاليّ والبحث العلميّ، أن تستمرّ الشّراكة بين المجلس الأعلى للغة العربيّة، في ما يخدم الشّأن العامّ، **تحقيقاً لبرنامج فخامة**

رئيس الجمهوريّة السّيد عبد العزيز بوتفليقة؛ الرّامي إلى تفعيل التنميّة الشّاملة لمواكبة حركيّة التّطوّر في مختلف الميادين.

شكراً على دعوتكم الكريمة، وعلى حسن الإصغاء، واللهَ نسأل التّوفيق للجميع.

عالميّة اللّغة العربيّة♥

ــ في اليوم العالمي للغة العربيّة دعونا نستعمل في التحيّة الصباحيّة كلّ اللّغات السّتّ العالميّة ونقــول لكــم: صــباح الخيــر/ Good morning / Bonjour/ 早上好/ دوبري دين/ Доброе утро /Buenos dias/ زاو وان.

ــ **شكر:** معالي الوزيرة إيمان؛ منذ بدأنا الشّراكة مع وزارتك، تجسّدت معــاني الأمان، ونشتغلّ مع فريقك في تفان، من أجل بناء **مَعْلَمة المخطوطات** بالبُرهان وقد تجسّد هذا المشروع مع ثنتان، في **معجم الثّقافة الجزائريّة** دون جُبران، فأَنْعِمْ بــك معالي الوزيرة لخدمة لسان القرآن! ونراك اليوم تفعلين فعل الشُّجعان، فلــم يكــن السّبق في إخراج **طابع للّغة البيان،** وهو الأوّل عالميــاً بإمعــان، ونرســمه آيــةَ العيدان، فأَنْعِمِ بْك في مقام الشُّهران! ونحسبُ أنّك خيرُ مُعان، وتألّقي يا هدى فــي كلّ زمان.

ــ **عالميّة اللّغة العربيّة:** تكمن عالميّتها في عدّة معالم؛ فهي تحتكم إلى أقــدم أبجديّة مدوّنة في التّاريخ، كما نصّ على ذلك عباس محمود العقاد، وتحتوي رموزاً منظورة لا رسوماً مقلّدة وحفظ لها تراثها الشّعريّ العاليّ الجودة، مما لا نضــير له في أيّة لغة. وهي لغة قُدمى من بين اللّغات، وأقدم لغة ســاميّة لا تــزال فــي تواصل ماضيها بحاضرها. وهي لغة التّراث الإنسانيّ التي خــدمت كــلّ اللّغــات فأعطتْ وأخذتْ، وهي لغة حفظت اللسان العربيّ الذي نزل بلسان عربــيّ مبــين. ويجب العلم بأنّها اللّغة التي كتبت بها مختلف الديانات، وتُتلى بها الآن في الكثيــر من الكنائس؛ ويعني إنّها لغة الخدمات البشريّة التي قامت على إنارة العــالم أيــام وجودها في الفردوس المفقود. هي لغة عربيّة تملك آليات الحداثة وما اكتسحته في

♥ كلمة أُلْقيَت بمناسبة الاحتفال باليوم العالميّ للّغة العربيّة بتاريخ 18 ديسمبر 2018 بالمكتبــة الوطنيّة، الحامّة

عصور التّاريخ فهي لغة ديناصوريّة قائمة قُدمى. لغة متّصلة بلسان العلم والثّقافة والفلسفة، وأداة تسجيل الحضارة العربيّة الإسلاميّة وفي ذاتّ الوقت لغة استيعاب الحضارات وامتصاص رحيقها وصياغته صياغة عربية إسلاميّة ولغة العلم التي كانت لها أفضال على الغرب، ويقول لويس ماسينيون/ Louis Massignon "اللّغة العربيّة هي التي أدخلت في الغرب طريقة التّعبير العلميّ وهي من أنقى اللّغات فقد تفرّدت في طريق التّعبير العلميّ والفنّي" ويقول الأديب الإسپاني كاميليو جوزي سيلا/ Camilio Gozy Silla "إنّ لغات العالم تتجّه نحو التّناقص، وأنّه لن يبقى إلاّ اربع لغات قادرة على الحضور العالميّ، وهذه اللّغات هي: الإنجليزيّة والإسپانية والعربيّة والصّينيّة". فعالمية اللّغة العربيّة تكمن في:

1- أصواتها التي تشمل جمهرة الأصوات اللّغويّة الإنسانيّة.

2- غزارة مفرداتّها وأساليبّها.

3- قدرتها التّوليدية للصيّغ الوظيفيّة.

4- كفاءة وسائلها الذاتيّة لمنع اللّبس في الأسماء والأفعال والجمل.

5- استيعابها للمضمون وللمحتوى الذي يوضع في أوعيّة اللّغة وأنظمتها.

6ـ مقولات مُنصفة ترى بأنّها لغة العالم والحضارة الإنسانيّة، ويمكن الإشارة إلى شهادة Ernest Renon الذّي يقول: هناك ثلاث لغات هيمنت على العالم: اليونانيّة+ اللاتينية+ العربيّة انتشرت اللّغتان وأصبحتا لهجات، والعربيّة كانت لغة ولا تزال فهي اللّغة القريبة من بين اللّغات كانت فصيحة وبقيت فصيحة، وصمدت وأعطت، فهي في حالة حراك مزدهر.

7ـ دعوة المختصّين إلى قراءة ما كتبه العلماء في مجال عالميّة هذه اللّغة ويكفي استكناه كتاب: أسلافنا العرب... Nos ancêtres les arabes ce que notre langue leur doit . Edetion J. C Latté. Paris 2017 لـ Jean pronost،

وكلّ هذا جعل العالم يُعيد نظرته التي يحملها تجاه هذه اللّغة بقولهم: إنّها لغة مُتحفيّة عفا عليها الزّمان، وهي لغة محدودة... وكان الأولى بها أن تكون لغة العالم باعتبارها لغة الحضارة الإنسانيّة، وما كان على المجلس التّنفيذي لليونسكو في دورته التّسعين بعد المئة (190) في أكتوبر 2012 من تحديد يوم 18 ديسمبر من كلّ سنة للاحتفاء باليوم العالميّ للغة العربيّة وعزّز هذا بتأمين:

1- التّرجمة الفوريّة إلى العربيّة من خلال دورات تكوينيّة.

2- التّرجمة الكتّابيّة المطلوبّة مثلها مثل اللّغات الخمس.

وربط هذا بالفعل الذي أقيم للّغات الخمس (5) بترسيم تاريخ عالميّ يُحتفي بها وهي:

- 20 مارس يوم اللّغة الفرنسيّة، بميسم اليوم الدّولي للفرنكفونيّة؛

- 20 أفريل يوم اللّغة الصّينيّة، تخليداً لذكرى (سانغ جيه) مؤسّس الأبجديّة الصّينيّة؛

- 23 أفريل يوم اللّغة الإنگليزيّة، وارتبط بالذّكرى السّنويّة لوفاة الكاتب المسرحيّ الإنگليزيّ ويليام شكسبير/ William Shakespeare؛

- 6 جوان يوم اللّغة الرّوسيّة، وارتبط بالذّكرى السّنويّة لميلاد أمير شعراء الروس ألكساندر بوشكين/ Alexander Pushkin ؛

- 12 أكتوبر يوم اللّغة الإسپانيّة، ارتبط بيوم الثّقافة الإسپانيّة، نظراً لتوسّعها عبر القارّات الخمس.

إخواني، لسْنا في موقع الدّعوة إلى نُصرة العربيّة، بقدر ما نريد الكشف عن معالم هذه اللّغة وإزالة ما يُشاع عنها بأنّها لغة عاجزّة، وأنّ الأملّ فيها شبهُ مُستحيل، ولا أملّ في عودة الرّاحل أو تغيّرِ الحال. ورغم هذا لا ننكر أنّه شهدت في السّنوات الأخيرة تراجعاً، وأوجدت قلقاً بالغاً لدى المهتمّين بالتّعليم والثّقافة في كافّة المراحل وهذا مبعث الألم، ولكنّه ليس ذلك محبط السّكوت بل هي دعوة لتغيير الأوضاع اللغويّة وللعمل وللنّهوض من جديد. فدعوني أقول للشّباب: إنّ

الذي يتخلّى عن ماضيه وعراقته يتخلّى عن حاضره، ومن لا حاضر له لا مستقبل له، واعلموا بأنّ اللّغة هي مفتاح الهويّة والعمود الفقريّ لكينونة الأمّة. فبكم تكون اللّغة، وبدونكم لا تتكسر فأنتم تفقدون هُويتّكم، وهي تتصدّر بما لها من خصائص وبما حفظت في الصّدور. وتفاءلوا بالعمل من أجل رفدها وتطويرها **ولم يثبت أنّ أمّة ارتقت بغير لغاتها**، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنّه ما من أمّة تستطيع أن تنهض إذا لم تعنَ بلغتها؛ اليابان تعلو نانونياً بلغتها، ونهضت كورية الجنوبيّة بلغتها الكوريّة، والصّين وحّدت لغاتها في لغة بكين (الهان) فقامت بعد ذلك حركة علميّة رفعت اقتصادَها إلى مرتبة كبيرة في اقتصاديات العالم، وإسرائيل أحيت لغتها وبها تدير التّكنولوجيّة، وأنّ الكبار/ الفريق الثّمانيّة G8 وكلّ واحد ارتقى علمياً واقتصادياً بلغته.

ومع كلّ المضايقات التي تعرفها اللّغة العربيّة، نقول: **إنّ العربيّة بخير**، بل هذا ما يدفعنا إلى رسم سياسّة لغويّة تربويّة جديدّة؛ تعمل على فكّ الأسر والسّماح للعربيّة بالازدهار. لا بدّ لنا من سدّ الفجوات التّاليّة.

1-سدّ فجوة المحتوى الرّقميّ العربيّ.

2-العمل على توطين العلم باللّغة العربيّة.

3-تعزيز الدّراسات في مجال هندسة اللّغات.

4- تكثيف الجهود في مجالّ المعاجم الحاسوبيّة

5- تكثيف الأعمال العلميّة في المحتوى الرّقميّ.

6- إنتاج برمجيات ومحلّلات صرفيّة ونحويّة ذكيّة للمعالجة الآليّة.

7- التّوسّع في استخدام ذخائر النّصوص المحوسبّة.

وإنّه من الأهميّة بمكان، تشجيع البحوث في هذه المجالات؛ لتطوير خوارزميات جديدة تُحسّن أدّاءَ أنظمّةٍ وتقنياّتِ المعالجة الآليّة للغة العربيّة وارتباطها مجاناً في الشّابكة، وبذلك نحمي لغتنا من الهَجْر، ونجعلُها لغةً مرغوبّةً لا طاردّة. وفي هذا

ننشد منظومةً عربيّةً موحّدةً لوضع المصطلحات العربيّة العلميّة، وتعريبها وإدارتّها بشكل يخدّم مستخدّم العربيّة، وندعو إلى:

– الحثّ على تكثيف الجهود للمعالجّة الحاسوبيّة للعربيّة وللبحث العلميّ في الدّراسات العليا؛

– متابعة حقل التّرجمة الآليّة بين مختلف اللّغات؛

– الوعيّ اللّغويّ بمنظور العلاقة التّكامليّة بين اللّغة والهُويّة، واللّغة هي مظهر الهُويّة، ووسيلة التّواصل الأولى، **وإنّه ما قامت نهضة لأمّة إلاّ بلغتّها**؛

– الوعي بأنّ العربيّة هي الطّريق الأمثل إلى مجتمع المعرفة، وهي طريق الحرير الذي يعطي لها الخصوبة والتّألق ونشدان ودها في الداخل وفي الخارج

– جعل التّرجمة ضرورة عربيّة لتنويع مصادر المعرفة.

وفي هذه الحال، لا نركن إلى قول المنافحات، بل نشدّ على قول الفعل والقوّة فنقرن بين العمل والتّمنيّ والفعل المنهجيّ، في إطار نشدان سياسة تربويّة رشيدة تقوم على تحكيم إنزال اللّغات الوطنيّة المقام الأعلى، وحُسْن تدبير سياسة الازدواجيّة، والتفتّح على اللّغات العالميّة؛ بما يضمن المصالح المُرسلة، وبما يحفظ الخصوصيات اللغويّة، في إطار اللّغة الجامعة التي تحفظ لنا انسجامنا الجمعيّ. وهذه الأخيرة تحتاج إلى التّركيم اللغويّ الفعليّ لبناء مكانز وذخائر تمدّ العربيّةَ بمبتكرات وبرمجيات تقوم على وقوفها أمام اللّغات المنتجة للعلم. ولأنّه لا يمكن أن تُواجه العولمة إلاّ بالعربيّة الفصحى، وبلغة لها الوزن الثّقيل في الإنتاج/ لغة الفيل على قول صاحب حرب اللّغات چان لوي كالڤي/ Jean Louis Calvet، وفي تركيم المتن اللغويّ الذي لا يصلح إلاّ بلغة لها ما يحميها في الماضي والحاضر والمستقبل، **وهذا لا يتوفّر إلاّ في العربيّة**. ونختتم هذا اليوم العالميّ للغة العربيّة التي تشهد اليوم التّظاهرات التاليّة:

ـ **أولاً:** تفتحُ دولةُ قطر موقع (معجم قطر التّاريخيّ للغة العربيّة) في الشّـــابكة أمام الباحثين في الذّخيرة اللغويّة في مدوّنة أوليّة بعدد ثلاثة (3) مجلّدات؛ تُغطّـــي 200 سنة من العصر الجاهليّ إلى بداية العصر الإسلاميّ.

ـ **ثانياً:** يفتحُ اتّحادُ المجامع اللغويّة والعلميّة العربيّة بالقاهرة منبـــره للاحتفـــاء بهذا اليوم الخالد بالكشف عن مدوّنة المعجم التّاريخيّ؛ بتخزين ما ينيف عن مليـــار كلمة في منصّة المعجم التّاريخيّ في الصورة الأوليّة، وسوف يتراكم التراث إلـــى مليارات من الكلمات التي يستقى منها المعجم التّاريخيّ في صورة غيـــر مكـــرّرة لمعجم قطر.

ـ **ثالثاً:** تزيح معـــالي وزيـــرة البريـــد والمواصـــلات الســـلكيّة واللاســـلكيّة والتكنولوجيات والرقمنة بالجزائر الستّار عن طابع بريديّ عالميّ يُخلّد المناســـبة. وهذا يعني أنّ الحكومة الجزائريّة والدولة الجزائريّة ترعـــى المواطنـــة اللغويّـــة بأريحيّة علميّة وهمّها المناسبة العالميّة، بل هي الوجه المشرق للغة الهُويّة الجامعة (العربيّة). هذه اللّغة التي كانت ثابتة في دساتير الدولة الجزائريّة بصورة معـــزّزة محميّة بالدستور، كلغة وطنيّة ورسميّة، وأقامت لها المؤسّسات التي تعمـــل علـــى رفدها وتعميمها، وتشهد الآن نقلات علميّة في مختلف مجالات العلوم.

ـ **رابعـــاً:** تقوم تظاهرات علميّة في كلّ جامعات العالم، وعلى مستوى وزارات التّربيّة، والثّقافة والإعلام في الوطن العربيّ، وفـــي مختلـــف المجـــامع اللغويّـــة والمجالس العلميّة بالاحتفائيّة بهذه المناسبة العالميّة، وتكون مصحوبة بما يليق بهذه اللّغة من احتفائيّة في تمجيد العربيّة، وما قدّمته للحضارة الإنســـانيّة، ولا شـــكّ أنّ طروحاتِ المُضايقات التّقنيّة التي تعانيها العربيّة تكون على طاولة الحوار العلمـــيّ والمناقشات التقنيّة.

ـ **خامساً:** تُقام على مستوى اليونسكو+ الألكسو+ الأسيسكو+ منظّمات تابعـــة للأمم المتّحدة ذات العلاقة باللّغة والثّقافة، وبعض المؤسّسات التّراثيّـــة، والمعاهـــد والكليّات والأقسام العربيّة احتفائيات في مســـتوى عظمـــة هـــذه اللّغـــة الطّبيعيّـــة

الإنسانيّة، وتكون عوْناً لكلّ من يبحث عن التّطوير اللغــويّ بالعربيّــة، وحوســبة مكانزها في إطار مساعي التّحديث، والبرمجة، والتّرجمة الآليّة.

ــ **سادساً:** ستعيش العربيّة اليوم يومها العالميّ، بما يحصل من تنافس وإبــداع في مختلف النّشاطات التي تعمل على الإبداع في الشّعر، وفي إنتاج المنصّات وفي البرمجيات العاملة على التّنوير والمسح السّريع في إطار حوسبة الذّخيرة العربيّــة الطّويلة التّاريخ، وتكون هذه المنافسات مصحوبة بجوائز تشجيعيّة؛ تعمــل علــى تقويم اللسان، ومُعطيات آلة البيان، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وهي من السّنن التي تحتاج إلى تنويه وتشجيع وإغداق ماديّ مأمول.

ــ **سابعاً:** هي فُرصة كبيرة ومُثمرة لكثير من الجمعيات التي تُناصــر العربيّــة بأن تستنهضَ الهِممَ، وتبعثَ الأملَ، وتُبعد اليأسَ والتيئيس، وتُعيدَ الثّقــةَ فــي لغــة الهُويّة، ولا مجالَ للتّحديث اللغويّ العربيّ خارج أنماطها. ولا شــكّ أنّ منافحــاتٍ كثيرةً سوف تحصل في هذا اليوم الذي يكون عُرساً خاصّاً بالعربيّة فــي مشــارق الأرض ومغاربها، بل في كلّ القارات الخمس، بلْهَ الحديثَ عن الــدول الإســلاميّة التي تُمجّد هذا اليوم بالشّعر وبالتّكريمات لمن خدم ويخدم العربيّة فنرجو أن نكــون في مستوى هذا الحدث العالميّ.

ــ **الخاتمة:** يجب الحذر والتّنبيه والاستعداد للتّعامل مع مميّزات عصرنا الــذي أصبح عصر المتغيّرات الكبيرة، وفيه هيمنة القوى العظمى، وسلاحهم فــي ذلــك امتلاكهم المعرفة العلميّة والتّقنيات الحديثة للسيطرة على المشهد الثّقــافّي العــالميّ ومنه إحكام القبضة على مختلف المجالات الفكريّة؛ مبتدئين باللّغة التي تُعتبر مرآةَ الشّعوب، ومُقوّماً مُهمّاً من مُقوّمات التّماسك القوميّ للمجتمع. وهذا تنبيــه يجــب الحذر منه؛ للخروج من الكسل الذي أصبح فينا عادة، والجهــل وســادة والتّواكــل عبادة، كما أضحى البكاء عادتنا، والإحساس بالألم نهج حياتنا، ألا يمكن الخــروج إلى معالجة الأزمة اللغويّة النّفسيّة؛ بما لنا من همّة. وإياكم والتّهــاون فــي اللّغــة الجامعة **(اللّغة العربيّة)** فهي الهُويّة، وبدونها الضّياع. وكما يقول الشّاعر:

أيّهـــا العـــرب إذا ضـــاقت بكـــم مـــدن الشّـــرق لهـــول العاديـــات
فاحـــذروا أن تخســـروا الضّـــاد ولـــو دحرجـــوكم معهـــا فـــي الفلـــوات

دراسة في عمود (قُلْ ولا تَقُلْ) للأستاذ محمد فارح♥

ــ **ديباجة:** الأستاذ (محمد فارح) صيّاد الأخطاء، وباحث عن الصّــواب، نــال شهرة في سبعينيات القرن الماضي، حتى لقّب بسـيبويه الجزائــر/ جهبــذ اللّغــة العربيّة. عمل ما وسعه الجهد في توجيه الإعلاميين، والقرّاء، والباحثين إلى البحث عن جمال استعمال اللّغة العربيّة، بتقديم بعض البرامج الإذاعيّة التي تعمــل علــى حسن الأداء اللغويّ الفصيح والمتقعّر؛ سواء من خلال العمود **(قــلْ ولا تقــلْ)** أو ببرنامج (لغتنا الجميلة) وفي كلّ ذلك يتنزّل (محمد فارح) في القنــوات الإعلاميّــة مُنافحاً عن أصول اللّغة العربيّة. وكان في كلّ ذلك يتقزّز من تلــك الاســتعمالات اللغويّة التي تخرج عن القاعدة النّحويّة التي أقرّتها قواعد العربيّة في نمطها القــديم ويعتبر ذلك هو النّموذج اللغويّ الذي أقرّه القرآن الكريم ولا بديل عنه.



♥ ــ ألقيت الكلمة بمناسبة احتفاء المجلس الإسلاميّ الأعلــى بالــذكرى العشــرين لتأسيســه (1998- 2018) في المكتبة الوطنيّة، بتاريخ 26 ديسمبر 2018.

ــ **مقدّمة:** يجدر بي كباحث السّعيّ لجمع المادة اللغويّة حول هذا الأستاذ الــذي ما عاصرتُه ولا هو من جيلي، رغم أنّني كنت أقرأ عموده باستمرار، بل أعتزّ بما غرسه فيّ من تصويبات لغويّة فقد أفادتني كثيراً في حياتي المِهْنِيّة، كما تعلّمت منه الكثير من التّوجيه اللغويّ، وكنت أعمل ببعض الملاحظات وأستنكر أخرى، وأنـــا طالب ومدرسّ، وكم من المرّات أرى بعض التّعسّف في التّصحيح المقتـــرح دون تعليل ويبدو لي فيه بعض الفرض غير اللازم، وأنا أعرف أنّ اللّغة أوسع من أن نضيّق عليها بقوانين مثل: قل ولا تقل/ هذا غير مسموع عند الأوائل/ هــذا غيــر قياسي...

ولا يجب أن أخفي أنّ غياب المكتوب أو المدوّنة الشّخصــيّة للباحــث (محمــد فارح) تركت فراغاً كبيراً في عمليات الحصول على المطلوب. وفي كلّ ذلك تتنزّل المادة اللغويّة التي جمعتُ متنها من:

– عموده **(قُلْ ولا تقُــلْ)** في صورة عشوائيّة لغياب المدوّنة كاملة فــي عمــل علميّ تكون مرجعاً للباحثين، دون اعتماد المدوّنة كاملة أو محــدّدة فــي أبعادهــا الزّمانيّة والمكانيّة كما تنصّ عليه الدراسات الحديثة، وتحديد نوعيّة الدراسة أتكون سانكرونيّة/ Synchronique أم دياكرونيّة/ Diachronique؟

– الرجوع للشّابكة للحصول على المادّة المطلوبة، وهي شحيحة.

– العودة إلى السّماع من أفواه معاصريه[1] والــذين كــانوا معــه فــي بغــداد وعاصروه في الجزائر أيام كان مّنافحاً عن العربيّة، وبخاصّة فترة السّبعينات التي تُعدّ عند أصحابه الفترة الذهبيّة للأستاذ محمد فارح؛ حيث كانت مادّته تُتــابع مــن جمهور كبير من المعرّبين، وتصادف انطلاق عمليات تعميم استعمال العربيّة فــي مختلف المجالات الحياتيّة اللغويّة (التّعريب).

– الاطلاع على بعض المادّة من خلال الصّحف الوطنيّة التــي كتبــت عــن الأستاذ (محمد فارح) وهي قليلة كذلك.

– الاستنتاج، ووضع الباحث موضع الدراسات اللغويّة التي تنقد المادة اللغويّة وتعطي البديل النّوعيّ.

1ـ سيرة موجزة: وُلد (محمد فارح) في 5 أيار/ مايو 1930 بقرية زرزور بلدية ميلة ولاية جيجل وحفظ القرآن بمسقط رأسه، ثمّ انتقل إلى زاوية سيدي الشّيخ الحسين بميلة، ليتحوّل بعدها إلى معهد ابن باديس بقسنطينة سنة 1950م حيث كان من الطّلبة الأوائل، ليستقر بالزّيتونة سنة 1955م ثمّ غادرها إلى العراق بعد نيله شهادة التحصيل « الباكالوريا » ومنها تحصّل على شهادة الليسانس.

ــ مجاهد وله خدمات قدّمها أثناء حرب التّحرير.

ــ عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ــ عضو المجلس الإسلاميّ الأعلى.

ــ محمد فارح صاحب أخلاق عاليّة وخصال وافيّة اجتمعت في شخصه، ولئن كان ابن جيجل، فإنّه ابن الجزائر التي ناضل من أجلها بالسّلاح والقلم، فَأَنْعِمْ به من رجل أحبّ وطنه وأحبّ لغة وطنه! آمن باللّغة العربيّة حتى النّخاع، ويراها العروة الوثقى التي تجمع شمل الجزائر وتوحّد صفوفهم، وتعطيهم صفة الانتماء العروبيّ وهي الدِّعامة الأساس لمشروع النّهضة الحضاريّة المرتقب، ولذا فإنّ إتقانها ضرورة لازمة بل واجب قوميّ على كلّ النّاطقين باللسان العربيّ.

يتوفّى سنة 2012، عن عمر 82 سنة. رحم الله الفقيد.

2ـ التّكريمات التي مسّت اللغويّ محمد فارح: في الحقيقة كرّم عن طريق تلك التّشجيعات التي نالته من قبل المُحبّين للعربيّة، وكانت خيرَ مشجّع على المُضي من أجل خدمة لغة القرآن التي خدمها بقناعة؛ لتكون اللّغة العظيمة التي لا تُجارَى في أساليبها وفي حسن أدائها مثلما تتطلّبها قواعد اللّغة.



1ــ تكريم في حياته من قبل جريدة الشّروق في حياته، بتاريخ 13 مايو 2009م.

2ــ تكريمه بعد مماته في مديريّة الشّؤون الدينيّة والأوقاف: بتاريخ 4-5 ديسمبر 2017م بولاية جيجل، بإقامة يومين دراسييْن موسوميْن (احتفائيّة الوفاء والعرفان للأستاذ محمد فارح).

3ــ تكريمه بعد وفاته، وفي هذا اليوم من قبل المجلس الإسلاميّ الأعلى اليوم 26 ديسمبر 2018م: وهذا يوم كبير؛ يُعيد فيه معالي رئيس المجلس الإسلاميّ الأعلى (د. غلام الله بوعيد الله) الفضل لأولئك الرؤساء والأعضاء السّابقين من خلال هذه المؤسّسة العتيدة التي تُحيي عشرينيتها بهذا العمل العلميّ التّكريميّ المُصاحب بندوة فكريّة حول من خدم هذه المؤسّسة، ويكون التّكريم مصحوباً بمدوّنة أعمال علميّة؛ تكون مرجعاً مهمّاً لكلّ الباحثين في الشّخصيات الوطنيّة التي خدمت المجلس الإسلاميّ الأعلى من التّأسيس إلى الآن.

3ـ منجزات الأستاذ محمد فارح العلميّة:

1ـ من المُسهمين في تأسيس جريدة الشّعب؛ بصفّته مدققاً لغوياً.

2ـ أوّل من بادر بتأسيس الصّفحة المشكولة بجريدة الشّعب.

3ـ أستاذ في الطّور الثّانويّ (معلّم+ مربّي+ موجّه+ مدقّق).

4ـ مُراجع لغوي للمواثيق والدساتير الجزائريّة.

5ـ مُسهم في نشاطات ملتقيات الفكر الإسلاميّ.

6ـ صاحب البرنامج الإذاعيّ (لغتنا الجميلة).

7ـ صاحب العمود المعروف (قُلْ ولا تَقُلْ).

8ـ صاحب أخلاق عاليّة؛ يشهد له أساتذته وأصحابه بأقوالهم التي تحمد أخلاق التلميذ محمد فارح، وتشير إلى تواضعه وعلمه وعصاميّته التي اكتسبها من بيئته والمقام لا يسمح بنقل تلك الأقوال الصادقة تجاه صديقهم، ويمكن الإشارة إلى: رضا حوحو+ عبد الرحمان شيبان+ إبراهيم مزهودي+ عبد القادر الياجوري+ محمد الصّالح بن عتيق+ عمار بوصبيع+ الطّاهر حرّاث... وكلّهم يثنون على خصاله الكبرى العاليّة والراقيّة، وهي من الصفات التي انماز بها في حياته، وجعلته يذكر بالخير في كلّ مقام.

9ـ لقد وجدتُ اسم (محمد فارح) في مذكّرات الشيخ (محمد خير الدين) نائب رئيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين سابقاً، ويشير إلى تفوّق التّلميذ (محمد فارح) في شهادة الأهليّة بملاحظة (أحسن) وهذا سنة 1954، ويليه في القائمة: عبد الرزّاق قسوم+ سي العربي لحسن... ولعمري فإنّ (فارح) كان دائمً في طليعة النّجيبين، فقد ترك بصمات في المثابرة والإخلاص في التّحصيل وهذا يعود إلى ذلك الذكاء والمثابرة والصّبر، وهي كلّها من مكتسبات العصاميّة.

10ـ محمد فارح من ذلك الجيل الخالد الذي أسهم في الجهاديْن: الأصغر والأكبر ويُضاف إلى تلك السّلسلة الكبيرة لعلماء هذا البلد المِعطاء، وتطول القائمة، ويكفي أن نذكر من كانوا أنداده، أو عاصرهم، أو كانوا من النّماذج العالمة التي

تحتذى، ونفتخر بهم كثيراً: أحمد حمّاني+ مبارك الميلي+ عبد المجيد حيرش+ أحمد بوشمال+ محمد الطّاهر ساحلي+ محمد الميلي+ عبد المالك بن حبيلس+ محمد الشّريف قاهر+ عمار بوحوش+ أبو العيد دودو+ محمد الصّديق بن يحيى+ عبد الحكيم بن الشيخ+ فرحات عبّاس...

4ـ المؤثّرات العلميّة: هي مؤثّرات جعلته يتأثر بها في حياته المهنيّة والعلميّة، وهي:

1ـ دراسته في بغداد، وفي قسم اللّغة العربيّة وآدابها، كلية الآداب.

2ـ دراسته على كفاءات لغويّة عراقيّة من مثل: **مصطفى جواد** صاحب "قلْ ولا تقلْ". ولا أخفي على القارئ بأنّه عدت إلى كتاب (مصطفى جواد[2]) ووجدت (محمد فارح) يعود له في كثير من تلك المختارات التي يعمل على تصحيحها، بل كان يقدّم تلك التصويبات ذاتها، والخلاف أنّ" (جواد) يتعمّق في البحث والتفصيل ويعود إلى الأصوليين، بل يستكنه قضايا الخلاف والاتّفاق، ومن ثمّ يقترح التّصويب الذي يراه مناسباً، وهذا ما لم نلمسه في عمود (فارح) وتفسيري البسيط أعيده إلى أنّ الكتاب يحتمل هذا التّفسير والتّوضيح، عكس عمود (فارح) له مساحة ضيّقة.



3ـ نجاحه في التّدريس الذي قضى فيه مدداً.

4 ـ تقرّبه إلى أصحاب القرار لتكون له الحظوة في الخطاب الرّسميّ للدولة الجزائريّة.

5ـ برامجه اللغويّة الإعلاميّة التي جعلته معروفاً في عالم الثّقافة: الثّقافة للجميع+ الخطأ والصّواب+ لغتنا الجميلة.

6ـ اشتغاله في الجرائد الوطنيّة: الشّعب+ المساء+ أضواء+ الأصيل+ العصر+ الجزائر اليوم...

5ـ دراسة في عموده (قلْ ولا تقلْ): يجب العلم بأنّه لم يحصل إجماع في الأخطاء حسب جنس المادة، ولهذا نجد المشترك في الخطأ. وعندما نبحث في هذا المشترك نراها من أخطاء العادة المستحكمة. وهذه الأخطاء لا يجدي تحرير الخطأ بالتنبيه الفوقي أو بأمر (قُلْ ولا تقُلْ) بقدر ما يمكن دراسة تلك الأخطاء والتعرّف على مصدرها، والعمل على تحييدها في مراحل مسبقة؛ يعني تهيئة الوعي النظري بالمقنع الذي نستطيع تدارك الخطأ على بيّنة.

بالنّسبة لعمود (محمد فارح) يمكن تقسيم المسكوكات اللغويّة التي يستشهد بها إلى ثلاثة أقسام:



ـ **القسم الأوّل:** قسم يحتاج إلى توجيه ونقد وتصحيح. وهذا القسم أحسب أنّه مُستقى من تلك المقولات اللغويّة الخاطئة والتي تحدث لدى الصّحافيين الجزائريين وإليكم بعض النّماذج:

1ـ قلْ الجُمهور والجُمهوريّة؛ ولا تقلْ الجَمهور والجَمهورية.

2ـ قلْ الثّبات في الحرب؛ ولا تقلْ الصّمود في الحرب.

3ـ قلْ هؤلاء السُّيّاح جواسيس؛ ولا تقلْ هؤلاء السُّوّاح جواسيس.

4ـ قلْ دحرنا جيش العدو، فجيش العدو مدحور؛ ولا تقلْ اندحر جيش العدو فهو مندحر؛ وذلك إذا كان هزْمه وكسْره ناشئين عن خسرانه في الحرب.

5ـ قلْ هذا الحزب محلول، وهذه الجمعيّة محلولة؛ إذا كانا قد نسخ قيامهما بأمر آمر، وقهر قاهر، من غير أعضائهما؛ ولا تقلْ هذا الحزب مُنحلّ، وهذه الجمعيّة مُنحلّة إذا كان قد بَطُل قيامُهما وزال قوامُهما، من تلقاء أنفسهما.

6ـ قلْ تأكّدت الشّيء تأكداً؛ ولا تقلْ تأكّدت من الشّيء.

7ـ قلْ تخرَّج فلان في القسم؛ ولا تقلْ تخرج من القسم الفلاني.

8ـ قلْ الشّيء الذي ذكرته آنفاً، أو سالفاً، أو المذكور أنفاً؛ ولا تقلْ الشّيء الآنف الذكر .

9ـ قلْ فلان يكافح الاستعمار، ويحاربه؛ ولا تقلْ يكافح ضد الاستعمار ويحارب ضده .

قل: استُشْهد فلان في الحرب؛ ولا تقل: استَشْهَدَ فلان في الحرب.

10ـ قلْ دعسته السّيارة دعساً، وداسته دوساً؛ ولا تقلْ: دهسته دهساً.

ـــ **تعليق:** وهذا القسم لا جدال فيه، بأنّها من أخطاء الصِّحافة، ويجدر بالأستاذ توجيه الصِّحافيين إلى الصّواب اللغويّ عن طريق القواعد التي تنصّ على الضّبط ولا أن نقول له: لا تقلْ، وكفى، وبهذا نغلق عليه باب الاجتهاد في البحث عن الصّواب.

ـ **القسم الثّاني:** وهو قسم كان لا بدّ أن نعمل فيه النّظر. فشيخنا لم يتأنّ جيّداً وينسى أنّ بعض التّحريفات اللغويّة من المجازات، ولا تُعامل على أنّها أخطاء إطلاقاً. وفي هذا كان يجب على الشّيخ ألا ينسى أنّ **اللّغة وضع واستعمال،** فإذا تعارض الوضع مع الاستعمال، **فالاستعمال أولى.** بل هناك من **الأخطاء الشّائعة** التي أباح الشّرعُ اللغويُّ استعمالَها على الخطأ بقوّة الشّيوع واللّغة ملك للمستعمل فما كان يجب أن تُرمى هكذا بالخطأ. ونرى الشّيخ (محمد فارح) وكأنّه شرطيّ اللّغة العربيّة، ويحكم بفساد أمثال هذه المسكوكات والاستعمالات اللغويّة، ويأتي بصوابها وهي من الجوازات التي تقبل بها اللّغة العربيّة؛ وبخاصّة عربيّةَ الصِّحافة المعاصرة، وإليكم نماذج منها:

1ـ قلْ كتاب شائقُ الموضوع، وموضوع شائق؛ ولا تقلْ كتاب شيّقُ الموضوع، ولا موضوع شيّقٌ .

2ـ قلّ الباب مفتوح، وهو باب مفتوح؛ ولا تقلْ الباب مفتوحة، والباب واحدة .

3ـ قلْ أنا آسَفُ عليه، وأومن بالله؛ ولا تقلْ أأسف عليه، وأؤمن بالله.

4ـ قلْ نذيع بينكم، وفيكم؛ ولا تقلْ نذيع عليكم.

5ـ قلْ أُسِّست هذه المدرسة في السّنة الأولى من حكم فلان، وأُسس المسجد على عهد فلان؛ ولا تقلْ تأسّست المدرسة، وتأسّس المسجد .

6ـ قلْ في الأقلّ، وفي الأعمّ، وفي الأغلب، وفي الغالب؛ ولا تقلْ على الأقلّ وعلى الأعمّ وعلى الأغلب، وعلى الغالب .

7ـ قلْ عُمران البلاد؛ ولا تقلْ عِمران البلاد.

8ـ قلْ هذا على وفق شروط، ولا تقلْ هذا وفق شروط.

9ـ قلْ الدين الإسلاميّ السَّمْح، والديانة الإسلاميّة السَّمْحة، والرجل السّمح والمرأة السّمحة؛ ولا تقلْ الديانة السّمحاء.

10ــ قلْ ما زال الخلاف قائماً، ولم يزل قائماً، وما زلت أقرأ؛ ولا تضع في مثل هذه التّعبيرات (لا) بدل (ما) فلا يستقيم استعمال (لا) مع فعل الاستمرار (زال) إلاّ بأحد شرطيْن: إما تكرارها، وإما أن تكون الجملة للدّعاء، أو للرّجاء...

ــ **تعليق:** كنت وددت من الأستاذ (محمد فارح) ألاّ يسرع في الحكم على هذه الاستعمالات قبل أن يعمل العقل، فقد أعمل النّقل فقط، وهذا لا يكفي؛ لأنّ اللّغة تقبل التّطوّر، ويراعي فيه أوجه المخالفة والتي قد يقبلها العقل رغم نفيها من قبل النّقل والنّاقل. وأن يضع المستعمل في وقته، لا أن يعيده إلى زمن الفصاحة التي لا يوجد فيه: التّرجمة الفوريّة+ التّأثير اللغويّ الأجنبيّ+ الهجين اللغويّ...

ــ **القسم الثّالث:** هذا القسم لا يمكن أن نُعِدَّه من الأخطاء التي تعمل على كسر القاعدة النّحويّة أو تُخلّ بالأداء اللغويّ. وهذا من الكلام الذي يعكس قلْ ولا تقلّ **قلّ ولا حرجَ عليك.** فالأستاذ (محمد فارح) يُعدّها من الأخطاء. وهي في الحقيقة من الصّواب اللغويّ التي لها مبرّراتها المرجعيّة من خلال قرارات المجامع اللغويّة، ومن خلال الاجتهادات المعاصرة التي تُبيح استعمال بعض الأساليب الرّائجة في اللغات الأجنبيّة وهي لا تكسّر قاعدة اللّغة العربيّة، إن لم نقل إنّها تُجبر القاعدةَ النّحويّةَ العربيّةَ في صورة الاستعمال النّمطيّ الذي يفرض مسكوكات مقبولة لشرعيّتها من حيث:

1ــ قرارات المجامع اللغويّة[3].

2ــ التّرجمة وما تفرزه من بعض الانزياحات المقبولة.

3ــ شرعيّة الاستعمال الجاريّ على أفواه النّاس، وسيبويه يُعِدّه من الكلام الفصيح.

4ــ التّغيّر الدلاليّ المؤدّيّ إلى تحريك الصّيَغ الصّرفيّة؛ لمواكبة ما يولد في اللغات من خلال استقبالها في عشّ القاعدة النّحويّة العربيّة.

5ــ الإقرار بشرعيّة لغة الصّحافة/ اللّغة الثّالثة، فهي التي أمدّت العربيّة بزخم معاصر جعلتها تعيش الحداثة.

وإليكم جملة نماذج صنّفها هو وغيره في باب الخطأ، وتحتاج إلى تصويب:

1ـ ممنوعُ التّدخين، والصّواب التّدخينُ ممنوع، أو ممنوعٌ التّــدخين، ويجــوز (ممنوعُ التّدخين) بتأويل رديء.

2ـ قصائد وقصص وروايات فلان، والأصوب قصائد فلان وقصصه ورواياته لأنّ الأشهر هو الفصل بين المضافات والمضاف إليه.

3ـ أعاقني عن المذاكرة، والصّواب: عاقني عن المذاكرة أو عَوَّقني، لأنّ الفعل (أعاق) غير مستخدم في العربيّة.

4ـ فلان هو الوريث الوحيد، وأعطِ الوريث حقه، والصّواب: الوارث؛ إذ لــم تسمع (وريث) في كلام العرب، ولم ترد في معاجم اللّغة. وكذلك نسمع الآن الحكم الراشد وهذا ليس من الصّواب.

5ـ المطار الدّوَلي بفتح الواو، والأصوب تسكينها دَوْلي، لأنّ الأصحّ أن ننسب إلى المفرد والمفرد: دوْلة، وواوها ساكنة.

6ـ كتبت الاستمارة، والصّواب الاستبانة، لأنّ لفظة (استمارة) لا أصل لها في عربيتنا.

7ـ اشتريت مجوهرات من معرِض مجــوهرات، والصّــواب جــواهر، لأنّ مجوهرات لم ترد في لغة العرب، ولم يُقَسْ عليها في المعاجم.

8ـ السّؤال بسيط، نقصد أنّه ليس صعباً، والصّواب سهل أو يسير، و(بســيط) معناها: مُمتدّ ومُتّسع، تقول أرض بَسيطة، ومكان بَسيط.

9ـ امرأة صبورة وحسودة، والصّواب صبور وحسود، لأنّ (فَعُوْل) إن كانــت بمعنى (فاعل) لا تؤنّث بالتّاء.

10ـ رأيتُ كافة الأصحاب، والصّواب رأيت الأصحابَ كافّةً، لأنّ (كافّــة) لا تخرج عن الحاليّة في الأشهَر، ومثلها قاطبة...

ــ **تعليق:** من مقتضيات هذا القسم أنّ الأستاذ (محمد فارح) جانبه الصّواب، فلم يكن يجاري عصره بمعطيات لغويّة نالت الشّرعيّة اللغويّة والإفتاء المقبـــول، وأنّ لغة الصّحافة فرضت أنماطها ممّا جعلت المجمعيين ينزلون من بروجهم، ويقبلـــون بتلك الاستعمالات وإلاّ يبقون خارج التّغطيّة. وفي هذا المجال كانت هناك دراسات حول الأساليب ومختلف الجوازات اللغويّة التي جعلت العربيّةَ تعــيش حاضـــرها وهي تتألّق بتلك الفتوحات المعاصرة التي نقلتها من مَقبرة المُحـــافظين المُحنّطـــين إلى جوّ الاستعمال الرَّصين.

6ــ الصّراع اللغويّ بين الصّفويين واللسانيين المعاصرين: هنـــا الأزمـــة اللغويّة التي تصادفنا باستمرار بين الماضي الذي نعتزّ به، والحاضر الذي لا نفرّط فيه، فعوداً إلى التّشريع اللغويّ المعاصر، وتقديراً لما اختطّه المجمعيّون في ســـبيل صياغة الضّوابط اللغويّة التي مرّت بمراحل من الفحص والمذاكرة، وقد تكفّل بهـــا القدر الوافيّ من التزكيّة والشّرعيّة اللغويّة. ووفاءً لروح التطوّر الذي تتّسم به كـــلّ اللغات مسايرة للمستجدّات، والعربيّة ليست نكرة بين اللغات، فإنّي حرصت علـــى مناقشة عمود (محمد فارح) الذي يُخَطِّئ أحيانـــاً المعاصـــرين؛ بـــدعوى أنّهـــم لا يجارون القدماء في ما سنّوه من قواعد. وتلبيّة لرغبة البحث والدراســـة، وتيســـيراً للرجوع إلى جانب كبير من أعمال المجمعيين رأيت أنّ هذا العمود، وغيـــره مـــن الأعمدة لا يجب أن تكون هي المحكّ والقاعدة، بل لا بدّ من العودة إلى الدراســـات المعاصرة، وفي نيّتي العزم أن نخضعها للعقل أولاً، ثمّ النّقل ويكون ذلك ضـــمن دراسة الجرح والتّعديل، ويتمّ كلّ ذلك في إطار الدراسات المعاصـــرة الأصـــوليّة ونشفعها بحوار لغويّ يعطي الشّرعيّة لأمثال تلك التّصحيحات أو يطعن فيها.

ومن خلال هذا أناقش بعض المسائل اللغويّة في جوّ عمليات الاحتجاج بالقـــديم ضمن الأخذ بالقياس في اللّغة، وقبول السّماع من المحدثين. وإليكم ما يلي:

1ـ **توهّم الصّواب اللغويّ هو النّموذج:** هو وهم رآه بعض العلماء بأنّ المنطق السّليم للغة محدّد ولا يجوز تجاوزه، وهذا وهمٌ كبير، وما كان يجب أن ننسى أنّ اللّغة لها منطق العالم الخارجيّ؛ يعني ألفاظ تولد، ومعاني تدرك، وقواعد تشدّها، وذات الألفاظ تموت ويتعرّض نحوها لبعض من التّغيير. والعلاقة بين اللّغة ومحيطها هي منطق العقل المتوافق مع وجوه التّأويل، وكذلك مذهب القوم في التّخريج المرتبط بنواميس عامّة منظّمة للظّاهرة اللغويّة، مثل استعمال الجواب بنعم لسؤال إنكاريّ بصورة عفويّة والقاعدة تعني النّفي، فبدل أن نقول: بلى= نعم نقول= نعم= النّفي.

2ـ **اختلاف الأقدمين:** نجد عند الأقدمين مقياس الصّواب درجات متعدّدة لا درجة متوحّدة ووقع الخلاف في مسائل اللحن، فكانت مذاهبهم شتّى؛ تتراوح بين طلب الفصحى العليا، وإجازة الظّواهر الجارية وما وُجد لها في العربيّة أصل[4] ويكفي أن نعلم أنّ عدد المسائل الخلافيّة في عصر التّقعيد بين المدرستين المؤسّستيْن 121 مسألة خلافيّة. ومبدأ القضيّة قول أبي عمرو بن العلاء 154 هـ حين سئل "عمّا وضعتَ ممّا سمّيته عربيّة؛ أيدخل فيها كلام العرب كلّه؟ فقال: لا. فسئلَ: كيف تصنع في ما خالفك فيه العرب وهم حجّة؟ فقال: أعمل على الأكثر واسمّي ما خالفني لغات[51]".

3ـ **اختلاف المُحدثين:** وقد ذهبوا مذاهب شتّى بين تخطئة وصواب؛ لأنّ معاييرهم مختلفة، كما أنّ سعّة العربيّة تساعد على أوجه القول للمسألة الواحدة. ولهذا، فالحكم بالتّصويب أو التّخطئة ليس حاسماً ونهائياً، وأنّ الكثير من المسائل تستدعي التّوقّف للتثبّت، وأنّ من ينتصر لمسألة لغويّة هو ظنّ أو رأي يبدو له فقط. وهكذا تفضي هذه المسائل إلى وجوه القول في العربيّة وسعتها إلى الاختلاف بين المحدثين، كما أفضت إلى الاختلاف بين الأقدمين.

---

[1]ـ طبقات اللغويين والنّحويين. الزبيدي، ص 34.

4ـ مدوّنة محمد فارح من مستوى لغة الأنس: لقد أخذ نماذج من أخطاء لغة الصّحافة، وهي لغة من المستوى الثّاني بعد الفصيح، وفي نيّته أن يكون الارتقاء بلغة الإعلام إلى الأقوى والأفصح، وهذا جيّد، ولكن الأحرى بمحمد فارح أن تكون مدوّنته لغة الخاصّة؛ لأنّه إذا وقع نقد لغة الخاصّة فالعامّة تتحرّج وتتحرّز من ارتكاب مثل تلك الأخطاء. ولهذا، نرى (محمد فارح) يتصيّد أخطاء اللّغة البسيطة؛ ولها ضعفها الظّاهريّ في انتسابها إلى وجوه مستوى خطاب الأُنس، لا مستوى خطاب الانقباض كما يقول (عبد الرحمان الحاج صالح).

5ـ الاشتغال على أخطاء يفسّرها جنس الصّحافي: في الحقيقة هناك تجاذب لغويّ بين صاحب الخطأ وما يرتكبه من أخطاء. والخطأ ينظر له من منظور معاصر وحسب الأرضيّة المعرفيّة لمنتج الخطأ، وربّما ما يبدو لنا خطأً هو صواب عنده؛ لأنّ التّجاذب المعاصر في مسائل اللّغة قائم بحكم غياب السّليقة وعدم استعمال العربيّة في مستواها العالم الفصيح، والتّرجمة، والازدواجيّة، وعدم التّدقيق في التّقديم والتّأخيروضعف تحصيل العربيّة عن طريق التعلّم وأدائها وفق الأصول المجرّدة، والمنطق العامّ في العالم الخارجي... وكلّه جعل الخطأ صواباً دون شعور.

6ـ تصنيف محمد فارح: يصنّف في خانة المتشدّدين من أمثال: البطليوسي وثعلب صاحب الفصيح، والزبيدي صاحب لحن العامّة، والحريري صاحب درّة الغوّاص، وابن الجوزي صاحب تقويم اللسان... وهؤلاء يجذبهم معيار الصّواب في القديم فقط، ونعرف أنّ من عاصرهم ينقسمون إلى متشدّد وهو الذي يطلب الأفصح، وكلّ ما عداه فهو لحن وإلى متساهل وهو كلّ ما تكلّمت به العرب، وما قيس على كلامهم فهو صواب.

1/6ـ محمد فارح والمبالغة في تشديد التّصحيح: هناك شاهد نموذجي وأحياناً مثال صناعيّ يكون النّمط القياسيّ الذي يعتدّ به. ولكن ما كان يجب أن نفضّل نمطاً هو النّهاية. ونحن نعلم أنّ لغات القبائل التي أخذت منها المدوّنة النّموذجيّة اقتصرت على ستّ قبائل فقط، في غياب لغات كثيرة، أضف إلى ذلك أنّ (ابن جني) تـ 392 هـ، يقول: "اختلاف اللغات وكلّها حجّة... وقد أشار إلى لغة التّميميين في ترك إعمال (ما) وإلى لغة الحجازيين في إعمالها، وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها، وأنّها ليست أحقّ بذلك من رسيلتها، لكن غاية مالك في ذلك أن تتخيّر إحداهما فتقوّيها على أختها[6]". وهذا ما لم ينتبه إليه محمد فارح، في أنّ العربيّة لها لغات يعتدّ بها، وهي لم تكن في مدوّنة الاحتجاج اللغويّ فبأيّ حقّ تُقصى من الاستعمال؟

2/6ـ القياس: يؤخذ بمبدأ القياس، وهي قاعدة لغويّة لا جدال فيها، لكن أن يكون كذلك على ما أقرّه المعاصرون، ويجوز الاجتهاد متى توفّرت شروطه.

3/6ـ قبول السّماع من المُحدثين: باعتبار اللّغة سماع، والمحدثون لهم لغتهم التي تميّزهم ضمن اللّغة الأصل. ونسمع الآن من يقول:

ـ الألفاظ المعقّدة الغير مفهومة.

ـ حصلت على بعض التّقديرات الغير ملائمة لجهدي الدائم.

ـ توجد في العربيّة الكلمات الغير المطابقة لمعاني العصر...

وهنا نرى القاعدة تنكسر في تعريف كلمة (غير) بأل. وهذا ما ينكره محمد فارح.

4/6 ـ دراسة وتتبّع الألفاظ والأساليب الشّائعة: وبخاصّة ما يسمع في الإذاعات والصّحف والفضائيات، والعمل على تحقيق قسط من التّهذيب والإصلاح لا الرّفض بـ (لا تقلّ).

5/6ـ قبول الاستعمال للألفاظ المولّدة: وهذا كان مرفوضاً أيام العصبيّة العربيّة، لكن علماء اللّغة أباحوا قسمين هما:

ــ قسم جرى على أقيسة كلام العرب من مجاز واشتقاق على أنّه عربيّ سائغ.

ــ قسم خرج عن أقيسة كلام العرب؛ باستعمال اللفظ الأجنبيّ لم يعرّب وحدث فيه تحريف أو جرى فيه تخريج على وجه صحيح، وهو ليس من الفصيح لكن يمكن أن يكون كذلك.

6/6ــ دراسة اللهجات والعاميات، والعمل على ردّها إلى أصولها دون نكرانها.

7/6ــ أسماء الآلة لا حصر لها، ولا يجب أن تكون القياسات في الصيغ الصّرفيّة الثّلاث الأولى ولا بدّ من صيغ جديدة تتناسب واسم الآلة ولو كان أجنبياً والمهمّ فيه أن تكون فيه على الأقلّ علامة واحدة من العلامات التي يقبلها الذوق اللغويّ العربيّ.

8/6ــ إجازة طائفة من جموع التّأنيث الشّائعة من مثل: بلاغات+ حسابات+ معاشات+ معجمات+ فراغات+ خطابات+ مفردات+ صمامات+ إطارات...

9/6ــ استعمال صيغتي تِفْعال+ مِفعال للكثرة والمبالغة.

10/6ــ عدم جواز وصف المرأة بدون علامة تأنيث في الألقاب والمناصب والأعمال، فلا يقال للمرأة: عضو/ نائب/ رئيس/ مدير...

11/6ــ جواز حذف (أن) في بعض الأساليب المعاصرة، مثل: كلّ جيل يريد يظهر خصوصياته.

12/6ــ الفصل بين المتضايفين بالعطف، فيجوز القول: نلتقي في مكان وموعد الحفل... وهذه الإضافات تؤدّى بشكل طبيعيّ مقبول ذوقياً، فهل نستبعدها من الاستعمال، ونرفض هذه المسكوكات السّليمة:

ــ إنّه في أحسن وأفضل الحالات العاليّة.

ــ جعلوها ذات أولويّة بتأثير من مبادئ الثّورة الفرنسيّة.

ــ نستطيع أن نتبيّن مدى دقّة وبلاغة الألفاظ في لغة الجاحظ.

ــ مهتمّ بمشاكل وظواهر العصر...

لإنّها مجموعة كبيرة من الجوازات النّحويّة مقبولة وفق متطلّبات الواقع اللغويّ القديم والحديث، فلا يجب أن نغفلها بدعوى المحافظة على اللّغة. إضافة إلى تلك التّيسيرات النّحويّة الكثيرة، وهذا كلّه كان يسبّب تجاذبات خلافيّة بين الصّفويين (أصحاب قلْ ولا تقلْ) والمعاصرين (قلْ ولا حرجَ عليك) بل هي خلافات منهجيّة بين من يرى أنّ اللّغة جافّة في وضعها الأوّل ولا مَحيد عنها، ومن يرى بأنّ اللّغة تتطوّر في فروعها، وهي ملك للمستعمل. وهنا الفجوة بين الطّرفين، فأيّهما على صواب؟

من هنا أقول: لا أنتصر كلّ الانتصار لعمود (قُلْ ولا تَقُلْ= محمد فارح) بقدر ما أنتصر لمن يقول: اللّغة ملك للمستعمل، والجماعة اللغويّة لا تقبل الخروج عن العرف اللغويّ، واللّغة لا تُضيّق بسياج حديديّ، بل هي أوسع بكثير من السِّياج المزعوم.

7ــ محمد فارح في الميزان: لا يمكن أن ننسى أفضال الأستاذ (محمد فارح) في خدمة الشّأن العامّ؛ والعربيّة من الشّأن العامّ، ونروم أن تُسجّل هذه الخدمات في ميزان حسناته. ولكنّ (محمد فارح) بشر له عثراته كما له محاسنه. وإذا جئنا لميزان النّقد اللغويّ يمكن تسجيل الملاحظات التّاليّة:

1/7ــ لا يُشتمّ من (محمد فارح) صفة الباحث اللغويّ الذي يُحلّل القضايا اللغويّة تحليلاً علمياً بل نرى تحليلاتِه سطحيّةً؛ اللهمّ تلك الأخطاء الظّاهرة.

2/7ــ إنّ برامجه التي كان يذيعها لم يكن له السّبق، بل كانت من البرامج القديمة في الإذاعات العربيّة:

- قلْ ولا تقلْ في بغداد؛
- لغتنا الجميلة في القاهرة، فاروق شوشة؛
- الأعمدة الخاصّة بالأخطاء في كثير من الصّحف العربيّة، والقنوات الشّرقيّة وبخاصّة قناة الجمهوريّة العربيّة السّوريّة.

3/7ــ غياب اطلاعه/ مسايرته للجديد مــن خــلال تلــك المــدوّنات اللغويّــة المعاصرة التي تأتي عن طريق المؤسّسات العلميّة/ المجامع اللغويّة، أو عن طريق الباحثين اللسانيين الذين أَثْرَوْا العربيّة بمدوّنات تجمع بــين اللغــة العربيّــة فــي تطوّرها.

4/7ــ لم يكن لمحمد فارح اطلاع بالدرس اللسانيّ الذي يُقسّم المادة اللغويّة إلى مستويات أربعة: **مستوى القاموس الجــافّ**، وهو المستوى الأوّل المُتقعّــر الــذي جمعت فيه اللّغة أوّل مرّة في حالتها البدوية الأعرابيّــة. المســتوى الثّــانيّ وهــو **المستوى الفصيح والمقبول** من خلال الاستعمال الجاري. **المستوى الثّالث الــذي أقرّته الجوازات القديمة والمعاصرة في أنّ اللّغة استعمال**، وما تقبل به الجماعــة اللغويّة لا يمكن أن يخضع للخطأ أو للرفض. **والمستوى السّوقيّ وهو المرفــوض** وبخاصّة عندما يتنزّل إلى المستوى الهجين. وكأنّي بالأســتاذ (محمــد فــارح) لا يخضع كلّ أنماط اللّغة إلاّ للمستوى الرّابع؛ وهو مستوى مرفــوض، ممــا جعلــه يرفض ما لم يكن في المستوى الجافّ، وهذا دليل على أنّه لا يزال فــي الماضــي الجامد، وكأنّ اللّغة قارّة وجافّة ولا تقبل التّطوّر.

5/7ــ لوحظ عليه أنّه لا يغوص في خصائص اللّغــة العربيّــة، فــي غيــاب المرجعيات التي كان يُفترض أن يستدلّ عليها في الخطأ اللغويّ، ولا يعــود إلــى أُمّات المراجع القديمة والحديثة التي تعني بالمسألة قبل أن يرميها في سلّة الأخطاء.

6/7ــ يسير (محمد فارح) في خُطى (مصطفى جواد) على وجــه الخصــوص وهناك أتباع آخرون من الحرّاس على العربيّة بالنمطيّة التّقليدانيّة، ويظنّــون أنّهــم يخدمونها بقدر ما يعملون على تسييجها وتركها في المُتحف القديم تنتظر المــوتَ. وهذه الحراسة الشّديدة وما يَصْحَبُها من الحرص يأتي في باب التّصدّي للغة علــى أن تكون غير متأثّرة بغيرها خوف التلوّث اللغويّ. هو في الحقيقة تحمل مضــاراً كثيرة وكبيرة أدخلوها على العربيّة بذلك التّشدّد اللغويّ في غياب كلّ تسامح لغويّ مهما كان نوعه.

7/7ــ تغييبه لكلّ الجوازات التي أقرّها القدماء والمعاصرون، والسّكوت عــن تلك اللغات القديمة والحديثة التي أجازها صنّاع القواعد، وقد دوّنها جمّــاع اللّغــة العربيّة من لسانيين كانوا مراجع في اللّغة العربيّة.

8/7ــ لا يزال (محمد فارح) في عهده القديم، وكأنّه شرطي العربيّــة؛ يقــرع النّاس على أخطائهم متناسياً **أنّ اللّغة استعمال**. فاللّغة عنده هي ما ورثه أو درســه أيام التّطلاب ببغداد وتتوقّف اللّغة العربيّة في ذلك الوقت. ويجتهــد فــي هندســة عموده الإلزاميّ (قُلْ ولا تقُلْ) وكأنّه مفوّض لغويّ يحرس علــى اتّبــاع القاعــدة النّحويّة، ومن يخرج عنها فسوف يُصنَّف في خانة غير العارفين للغة العربيّة.

9/7ــ محمد فارح تاريخانيّ قديم، لا يُجاري الحداثةَ، ولا يقرّ برفــع الحــرج اللغويّ: **قلْ ولا تقلْ**، وكأنّه منشئ اللّغة. وإنّه يُنمّط العربيّة فــي قوالــب مُصــبّرة تنتظر الموتَ والفناءَ. وينسى من يقول: **قُلْ ولا حَرَجَ في ما تَقُولُ.**

10/7ــ محمد فارح نَمَطِيّ قديم بقاعدة: أنا وقواعد اللّغة فقط، ولا أرى غيرها. وما كان يعلم أّنّ بعض اجتهاداته عفا عليها الزّمان، ولا يمكن أن يُقْبَلَ بها، فالزّمان لا يجاري المُحنّطات القديمة.

ــ **الخاتمة:** كثيراً ما نستنكر تعدّي (أعلم) بحرف الجرّ، وهــو يتعــدّى بنفســه ولكن لمّا نقرأ قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ العلق 14 ألم يعلم بأنّ الله يرى يــزول العجب من استعمال مثل هذا الأسلوب. كما نستنكر من يستعمل كلمة (عبارة) فــي الأساليب المعاصرة، ونغفل أنّ (ابن جنّي) قال: "والجثّة مــا كــان **عبــارة** عــن شخص". ويبدو لي بأنّه من الضّروري الحذر في مسائل التّخطئة وتنــاول الخطــأ على أنّه ظاهرة تستحقّ التّوقّف والتّحليل والتّفسير. تلك خطوة منهجيّة ضــروريّة من أجل التّصحيح اللغويّ السّليم.

الهوامش:

[1] ـ بعض المعلومات مُستقاة من معاصريه، ومن الذين كانوا طلاباً في تونس+ بغــداد وعرفوه عن قُرب/ بُعد. ومنهم زميله (حسن بهلول). مدير الدراسات في المجلس الأعلى للغة العربيّة.

[2] ــ قلْ ولا تقلْ، الجزء الأوّل والثّاني، ط1. بغداد: 1988، مطبعة الراية ببغداد.

[3] ــ ينظر ما يلي:

ــ مجموعة القرارات العلميّة في خمسين عاماً. مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة. 1984م.

ــ مجموعة القرارات العلميّة في ثلاثين عاماً. مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة. 1980م.

ــ قرارات مجمع اللغة العربيّة بدمشق.

ــ كتاب الألفاظ والأساليب في أجزائه الستّة. مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة.

[4] ـ نهاد ياسين الموسى، اللغة العربيّــة وأبناؤهــا، ط1+2+3. عمّــان: 2016، دار المسيرة للنّشر والتّوزيع والطّباعة، ص 69-80.

[5] ــ طبقات اللغويّين والنّحويّين، الزبيدي، ص 34. ع/ اللغة العربية وأبناؤها.

[6] ــ الخصائص، تح: محمد علي النّجار. القــاهرة: 1371/ 1376- 1952/ 1956 الجزء 2، ص 10.

تمّ إخـــرَاج وطبـــع بـ :

دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع

05، شارع محمد مسعودي القبة القديمة-الجزائر

الهواتف: 021.68.86.49-021.68.86.48-05.42.72.40.22

البريد الإلكتروني: khaldou99_ed@yahoo.fr